الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ الّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنّكَ يَشُعَيْبُ وَالّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنّ فِي مِلّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنّا كَارِهِينَ }..

يقول تعالى ذكره: قالَ المَلأُ الّذِينَ اسْتَكْبَرُوا يعني بالملأ: الجماعة من الرجال, ويعني بالذين استكبروا: الذين تكبروا عن الإيمان بالله والانتهاء إلى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذّرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم, وكفرهم به. لَنُخْرِجَنّك يا شُعَيْبُ ومن تبعك وصدّقك وآمن بك, وبما جئت به معك من قريتنا. أو لَتَعُودُنّ في مِلّتِنا يقول: لترجعَنّ أنت وهم في ديننا وما نحن عليه. قال شعيب مجيبا لهم: أوَ لَوْ كُنّا كارِهِين؟.

ومعنى الكلام: أن شعيبا قال لقومه: أتخرجوننا من قريتكم, وتصدّوننا عن سبيل الله, ولو كنا كارهين لذلك؟ ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو «أوَ لَوْ».

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نّعُودَ فِيهَآ إِلاّ أَن يَشَآءَ اللّهُ رَبّنَا وَسِعَ رَبّنَا كُلّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكّلْنَا رَبّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ }..

يقول جلّ ثناؤه: قال شعيب لقومه, إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها, وتوعدوه بطرده ومن اتبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم: قَدِ افْتَرَيْنا على اللّهِ كَذِبا يقول: قد اختلقنا على الله كذبا, وتخرّصنا عليه من القول باطلاً إن نحن عدنا في ملتكم, فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها, بأن بصّرنا خطأها وصواب الهدى الذي نحن عليه, وما يكون لنا أن نرجع فيها فندينَ بها ونترك الحقّ الذي نحن عليه. إلا أنْ يَشاءَ اللّهُ رَبّنا: إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أنا نعود فيها, فيمضيَ فينا حينئذ قضاء الله, فينفذ مشيئته علينا. وَسِعَ رَبّنا كُلّ شَيْءٍ عِلْما يقول: فإن علْمَ ربنا وسع كل شيء فأحاط به, فلا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن فإن يكن سبق لنا في علمه أنا نعود في ملتكم ولا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن, فلا بد من أن يكون ما قد سبق في علمه, وإلا فإنا غير عائدين في ملتكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11605ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قَدِ افْتَرَيْنا على اللّهِ كَذِبا إنْ عُدْنا فِي مِلّتِكُمْ بَعْدَ إذْ نَجّانا اللّهُ مِنْها وَما يَكُونُ لَنا أنْ نَعُودَ فِيها إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ رَبّنا وَسِعَ رَبّنا كُلّ شَيْءٍ عِلْما على اللّهِ تَوَكّلْنا رَبّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بالحَقّ يقول: ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله منها إلا أن يشاء الله ربنا, فالله لا يشاء الشرك, ولكن يقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئا, فإنه وسع كلّ شيء علما.

وقوله: على اللّهِ تَوَكّلْنا يقول: على الله نعتمد في أمورنا وإليه نستند فيما تَعِدوننا به من شرككم أيها القوم, فإنه الكافي من توكل عليه. ثم

فزع صلوات الله عليه إلى ربه بالدعاء على قومه, إذ أيس من فلاحهم, وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله بالطاعة والإقرار له بالرسالة, وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمني قومه من فَسَقِتهم العطب والهلكة بتعجيل النقمة, فقال: رَبّنا افْتَحْ بَـيْنَنا وبـينَ قَوْمِنا بـالـحَقّ يقول: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم, ولكنه عدل وحقّ وأنْتَ خَيْرُ الفاتِحِينَ يعني: خير الحاكمين. ذكر الفراء أن أهل عمان يسمون القاضي: الفاتح والفتّاح. وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب أنه من لغة مراد, وأنشد لبعضهم بيتا وهو:

ألا أبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُولاًفإنّي عَنْ فُتاحَتِكُمْ غَنِيّ

وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11606ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن مسعر, عن قتادة, عن ابن عباس, قال: ما كنت أدري ما قوله: رَبّنا افْتَحْ بَـيْنَنا وبـينَ قَوْمِنا بـالـحَقّ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أُفاتِحْكَ, يعني: أقاضيك.

11607ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: رَبّنا افْتَحْ بَـيْنَنا وبـينَ قَوْمِنا بـالـحَقّ يقول: اقض بيننا وبين قومنا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو دكين, قال: حدثنا مِسعر, قال: سمعت قتادة يقول: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله: رَبّنا افْتَحْ بَـيْنَنا وبـينَ قَوْمِنا بـالـحَقّ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتحك.

11608ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: افْتَحْ بَـيْنَنا وبـينَ قَوْمِنا بـالـحَقّ: أي اق ض بـيننا وبـين قومنا بـالـحقّ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, ق ال: حدثنا معمر, عن قتادة: افْتَحْ بَـيْنَنا وبـينَ قَوْمِنا بـالـحَقّ: اقض بـيننا وبـين قومنا بـالـحقّ.

11609ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, أما قوله: افْتَحْ بَـيْنَنا فيقول: احكم بيننا.

11610ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, ع ن ابن جريج, قال: قال الحسن البصري: افتح: احكم بيننا وبين قومنا, وإنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحا مُبِينا: حكمنا لك حكما مبينا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: افتح: اقض.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير, قال: حدثنا مسعر, عن قتادة, عن ابن عباس, قال: لم أكن أدري ما افْتَحْ بَـيْنَنا وبـينَ قَوْمِنا بـالـحَقّ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها: انطلق أفاتحك.

الآية : 90

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلأُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنّكُمْ إِذاً لّخَاسِرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وقالت الجماعة من كَفَرَةِ رجال قوم شعيب, وهم الملأ الذين جحدوا آيات الله وكذّبوا رسوله وتمادوا في غيهم, لآخرين منهم: لئن أنتم اتبعتم شعيبا على ما يقول وأجبتموه إلى ما يدعوكم

إليه من توحيد اللـه والانتهـاء إلـى أمـره ونهيـه وأقررتـم بنبـوّته, أنّكُـمْ إذًا لـخَاسِرُونَ يقول: لـمغبونون فـي فعلكم, وترككم ملتكم التـي أنتـم علـيها مقـيـمون إلـى دينه الذي يدعوكم إلـيه, وهالكون بذلك من فعلكم.

الآية : 91

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ فَأَصْـبَحُواْ فِـي دَارِهِـمْ جَاثِمِينَ }..

يقول: فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفـة, وقـد بـينت معنـى الرجفة قبل, وأنهـا الزلزلـة الـمـحرّكة لعـذاب اللـه. فأصْـبَحُوا فِـي دَارِهِـمْ جاثِمِينَ علـى ركبهم موتـى هلكى.

وكانت صفة العذاب الذي أهلكهم الله به كما:

11611ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وَإلـى مَدْيَنَ أخـاهُمْ شُعَيْبـا قـال: إن اللـه بعـث شعيبـا إلـى مَدْيَنَ, وإلـى أصحاب الأيكـة والأيكـة: هـي الغيضـة مـن الشـجر وكانوا مع كفرهم يبخَسُون الكيـل والـميزان, فدعاهم فكذّبوه, فقال لهم مـا ذكر الله فـي القرآن, وما ردّوا عليه, فلـما عتـوا وكـذّبوه, سـألوه العـذاب, ففتـح الله علـيهم بـابـا من أبواب جهنـم, فأهلكهم الـحرّ منـه, فلـم ينفعهـم ظلّ ولا ماء, ثم إنه بعث سحابة فـيها ريح طيبة, فوجدوا بـرد الريـح وطيبهـا, فتنادوا: الظلة, علـيكم بها فلـما اجتـمعوا تـحت السحابة رجـالهم ونسـاؤهم وصبـيانهم, انطبقـت علـيهم, فـأهلكتهم, فهـو قـوله: فَأخَـذَهُمْ عَـذَابُ يَـوْمَ الظّلّةِ.

11612ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: كـان من خبر قصة شعيب وخبر قومه, ما ذكر الله فـي القرآن, كانوا أهـلَ بخْـس للناس فـي مكايـيـلهم وموازينهم, مع كفرهم بـالله وتكـذيبهم نبـيهم وكـان يدعوهم إلـى الله وعبـادته وتـرك ظلـم النـاس وبخسـهم فـي مكايـيـلهم وموازينهم فقال نُصْحا لهم وكان صادقا: ما أُرِيدُ أنْ أُخالِفَكُمْ إلـى مـا أنهـاكُمْ عَنْهُ إنْ أُرِيدُ إلاّ الإصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ وَمـا تَوْفِـيقـي إلا بـاللّهِ عَلَـيْهِ تَـوَكّلْتُ وَإلَـيْهِ أُنِـيبُ قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فـيـما ذكر لـي يعقوب بن أبـي سلـمة إذا ذكر شعيبـا, قال: «ذَاكَ خَطِيبُ الأنْبِـياءِ» لـحسن مراجعتـه قـومه فـيـما يـراد بهـم, فلـما كـذبوه وتوعـدوه بـالرجم والنفـي من بلادهم, وعتوا علـى اللـه, أخـذهم عـذاب يـوم الظلـة إنـه كـان عذاب يوم عظيـم, فبلغنـي أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بـن جلهـاء لـما رآها قال:

يا قَوْمِ إنّ شُعَيْبـا مُرْسَلٌ فَذَرُواعَنْكُمْ سَمِيرا وعِمْرَانَ بْنَ شَدّادِ
إنّـي أرَى غَيْـمَةً يا قومِ قد طَلَعَتْتَدْعُو بصَوْتٍ علـى صَمّانَة الوَادِي
وإنّكم إنْ تَرَوْا فِـيها ضَحاةَ غَدٍإلاّ الرّقِـيـمَ يُـمَشّي بـينَ أنـجادِ

وسمير وعمران: كاهناهم, والرقـيـم: كلبهم.

11613ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قال: ثنـي ابن إسحاق, قال: فبلغنـي والله أعلـم أن الله سلط علـيهم الـحرّ حتـى أنضجهم, ثم أنشأ لهـم الظلة كالسحابة السوداء, فلـما رأوها إبتـدروها يسـتغيثون ببردهـا مـما هـم فـيه من الـحرّ, حتـى إذا دخـلوا تـحتها أطبقت علـيهم, فهلكوا جميعا, ونـجى الله شعيبـا والذين آمنوا معه برحمته.

11614ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثني أبو عبد الله البجلي, قال: أبو جاد, وهوّز, وحُطي, وسعفص, وقرشت: أسماء ملوك مدين, وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب كلمون, فقالت أخت كلمون تبكيه:

كَلَمُونُ هَدّ رُكْنِيهُلْكُهُ وَسْطَ المَحِلّهْ
سَيّدُ القَوْمِ أتاهُ الحَتْفُ: نارا وَسْطَ ظُلّهْ
جُعِلَتْ ناراً عَلَيْهِمْدَارُهُمْ كالمُضْمَحِلّهْ

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ كَذّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الّذِينَ كَذّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره: فأهلك الذين كذّبوا شعيبا فلم يؤمنوا به, فأبادهم, فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها يقول: كأن لم ينزلوا قطّ, ولم يعيشوا بها حين هلكوا, يقال: غَنِيَ فلان بمكان كذا فهو يَغْنَى به غِنًى وغُنِيّا: إذا نزل به وكان به, كما قال الشاعر:

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيرانُكِ الْمُمِسْكُو مِنْكِ بعَهْدٍ وَوِصَالِ

وقال رُؤْبة:

وَعَهْدُ مَغْنَى دِمْنَةٍ بِصَلْفَعا

إنما هو مَفْعَل من غَنِي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11615ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها: كأن لم يعيشوا, كأن لم ينعموا.

11616ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها يقول: كأن لم يعيشوا فيها.

11617ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها كأن لم يكونوا فيها قطّ.

وقوله: الّذِينَ كَذّبُوا شُعَيْبا كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ يقول تعالى ذكره: لم يكن الذين اتبعوا شعيبا الخاسرين, بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين, لأنه أخبر عنهم جلّ ثناؤه أن الذين كذّبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه: «لَئِنِ اتّبَعْتُمْ شُعَيْبا إنّكُمْ إذًا لخَاسِرُونَ» فكذّبهم الله بما أحلّ بهم من عاجل نكاله, ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما خسر تُبّاع شعيب, بل كان الذين كذّبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين دون الذين صدّقوا وآمنوا به.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَوَلّىَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىَ عَلَىَ قَوْمٍ كَافِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره: فأدبر شعيب عنهم شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله, وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذّبوه حزنا عليهم: يا قوم لَقَدْ أبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبّي وأدّيت إليكم ما بعثني به إليكم من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم. وَنَصَحْتُ لَكُمْ بأمري إياكم بطاعة الله ونهيكم عن معصيته. فَكَيْفَ آسَى

يقول: فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذّبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11618ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: فَكَيْفَ آسَى يعني: فكيف أحزن.

11619ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَكَيْفَ آسَى يقول: فكيف أحزن.

11620ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: أصاب شعيبا على قومه حزن لما يرى بهم من نقمة الله, ثم قال يعزّي نفسه فيما ذكر الله عنه: يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مّن نّبِيّ إِلاّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضّرّآءِ لَعَلّهُمْ يَضّرّعُونَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرّفه سنته في الأمم التي قد خلت من قبل أمته, ومذكّرَ من كفر به من قريش لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَما أرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيّ قبلك, إلاّ أخَذْنا أهْلَها بالبَأساءِ والضّراءِ وهو البؤس وشظف المعيشة وضيقها والضرّاء: وهي الضر وسوء الحال في أسباب دنياهم. لَعَلّهُمْ يَضّرّعُونَ: يقول: فعلنا ذلك ليتضرّعوا إلى ربهم, ويستكينوا إليه, وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم, والتوبة من تكذيب أنبيائهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.ذكر من قال ذلك.

11621ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أخَذْنا أهْلَها بالبَأساءِ والضّرّاءِ يقول: بالفقر والجوع.

وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا في معنى البأساء والضرّاء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقيل: يضرّعون, والمعنى: يتضرّعون, ولكن أدغمت التاء في الضاد, لتقارب مخرجهما.

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ بَدّلْنَا مَكَانَ السّيّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتّىَ عَفَوْاْ وّقَالُواْ قَدْ مَسّ آبَاءَنَا الضّرّآءُ وَالسّرّآءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ثم بدّلنا أهل القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء, مكان السيئة, وهي البأساء والضرّاء. وإنما جعل ذلك سيئة, لأنه مما يسوء الناس, ولا تسوؤهم الحسنة, وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة. حتى عَفَوْا يقول: حتى كثروا, وكذلك كلّ شيء كثر, فإنه يقال فيه: قد عفا, كما قال الشاعر:

ولكِنّا نُعِضّ السّيْفَ منْهابأسْوُقِ عافِياتِ الشّحْمِ كُوم

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11622ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مَكانَ السّيِّئَةِ الحَسَنَةَ قال: مكان الشدّة رخاء حتى عَفَوْا.

11623ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: مَكانَ السّيِّئَةِ الحَسَنَةَ قال: السيئة: الشرّ, والحسنة: الرخاء والمال والولد.

حدثنا المثنى, قالَ: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مَكانَ السّيِّئَةِ الحَسَنَةَ قال: السيئة: الشرّ, والحسنة: الخير.

11624ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ بَدّلْنا مَكانَ السّيِّئَةِ الحَسَنَةَ يقول: مكان الشدة الرخاء.

11625ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ بدلْنا مَكانَ السّيِّئَةِ الحَسَنَةَ حتى عَفَوْا قال: بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا في الدنيا, حتى عفوا من ذلك العذاب وَقالُوا قَدْ مَسّ آباءَنا الضّرّاءُ وَالسّرّاءُ.

واختلفوا في تأويل قوله حتى عَفَوْا فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك.

11626ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: حتى عَفَوْا يقول: حتى كثروا وكثرت أموالهم.

حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: حتى عَفَوْا قال: جمّوا.

11627ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: حتى عَفَوْا قال: كثرت أموالهم وأولادهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

11628ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: حتى عَفَوْا حتى كثروا.

11629ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم: حتى عَفَوْا قال: حتى جموا وكثروا.

قال: ثنا جابر بن نوح, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس: حتى عَفَوْا قال: حتى جموا.

11630ـ قال: ثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: حتى عَفَوْا يعني جموا وكثروا.

قال: ثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن مجاهد: حتى عَفَوْا قال: حتى كثرت أموالهم وأولادهم.

11631ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حتى عَفَوْا كثروا كما يكثر النبات والريش, ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يشعرون.

وقال آخرون: معنى ذلك: حتى سُرّوا. ذكر من قال ذلك.

11632ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: حتى عَفَوْا يقول: حتى سرّوا بذلك.

وهذا الذي قاله قتادة في معنى عفوا تأويل لا وجه له في كلام العرب, لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها إلاّ أن يكون أراد حتى سُرّوا بكثرتهم وكثرة أموالهم, فيكون ذلك وجها وإن بعُد.

وأما قوله: وَقالُوا قَدْ مَسّ آباءَنا الضّرّاءُ والسّرّاءُ فإنه خبر من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم الحسنة السيئة التي كانوا فيها استدراجا وابتلاءً أنهم قالوا إذ فعل ذلك بهم: هذه أحوال قد أصابت مَن قبلنا من آبائنا ونالت أسلافنا, ونحن لا نعدو أن نكون أمثالهم يصيبنا ما أصابهم من الشدّة في المعايش والرخاء فيها, وهي السّراء, لأنها تسرّ أهلها. وجهل المساكين شكر نعمة الله, وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله بالإنابة إلى طاعته, والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة, حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون. يقول جلّ جلاله: فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ يقول: فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة, أتاهم على غرّة منهم بمجيئه, وهم لا يدرون, ولا يعلمون أنه يجيئهم, بل هم بأنه آتيهم مكذّبون حتى يعاينوه ويروه.

الآية : 96-99

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَىَ آمَنُواْ وَاتّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مّنَ السّمَآءِ وَالأرْضِ وَلَـَكِن كَذّبُواْ فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىَ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىَ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذّبون الله ورسوله ويجحدون آياته, استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش, كما استدرج الذين قصّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم, فإن مكر الله لا يأمنه, يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجا مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم إلاّ القوم الخاسرون وهم الهالكون.

الآية : 100

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلّذِينَ يَرِثُونَ الأرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ }..

يقول: أو لم يبين للذين يستخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها, فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم, وعتوا عن أمر ربهم أنْ لَوْ نَشاءُ أصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ يقول: إن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم, فأخذناهم بذنوبهم, وعجّلنا لهم بأسنا كما عجلناه لمن كان قبلهم من ورثوا عنه الأرض, فأهلكناهم بذنوبهم. وَنَطْبَعُ على قُلُوبِهِمْ يقول: ونختم على قلوبهم فهم لا يَسْمَعونَ موعظة ولا تذكيرا سماع منتفع بهما.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11633ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أوَ لَمْ يَهْدِ قال: يبّين.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

11634ـ قال: ثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أوَ لَمْ يَهْدِ أو لم يبين.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: أو لَمْ يَهْدِ للّذِينَ يَرِثُونَ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ أهْلِها يقول: أو لم يبين لهم.

11635ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أوَ لَمْ يَهْدِ للّذِينَ يَرِثُونَ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ أهْلِها يقول: أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها هم المشركون.

11636ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أوَ لَمْ يَهْدِ للّذِينَ يَرِثُونَ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ أهْلِها أو لم نبين لهم, أنْ لَوْ نَشاءُ أصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ قالوا: والهدى: البيان الذي بعث هاديا لهم مبينا لهم, حتى يعرفوا, ولولا البيان لم يعرفوا.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {تِلْكَ الْقُرَىَ نَقُصّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره: هذه القرى التي ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها, يعني: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب نَقُصّ عَلَيْكَ مِنْ أنْبَائِها فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها, وما كان من أمرهم, وأمر رسل الله التي أرسلت إليهم, لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا, ويعلم مكذّبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذّب رسل الله, فيرتدعوا عن تكذيبك, وينيبوا إلى توحيد الله وطاعته. وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهم بالبيّناتِ يقول: ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها رسلهم بالبينات يعني بالحجج: البينات. فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذّبُوا مِنْ قَبْلُ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كذّبوا من قبل ذلك, وذلك يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام. ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذّبُوا مِنْ قَبْلُ قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كُرْها.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذّبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام. ذكر من قال ذلك:

11637ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أبيّ بن كعب: فَمَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذّبُوا مِنْ قَبْلُ قال: كان في علمه يوم أقرّوا له بالميثاق.

11638ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, قال: يحقّ على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء ويدَعوا علم ما أخفى الله عليهم, فإن

علـمه نافذ فـيـما كان وفـيـما يكون, وفـي ذلك قال: وَلَقَـدْ جـاءتْهُمْ رُسُـلُهمْ بـالبَـيّناتِ فَمَا كانُوا لِـيُؤْمِنُوا بِـمَا كَذّبوُا مِنْ قَبْلُ كذلكَ يَطْبَعُ اللّهُ علـى قُلُـوبِ الكافِرِينَ قال: نفذ علـمه فـيهم أيهم الـمطيع من العاصي حيث خـلقهم فـي زمان آدم, وتصديق ذلك حيث قال لنـوح اهْبِـطْ بِسَـلامٍ مِنّـا وَبَرَكـاتٍ عَلَـيْكَ وَعلـى أُمَـمٍ مِـمّنْ مَعَكَ وأُمَـمٌ سَنُـمَتّعُهُمْ ثُمّ يَـمَسّهُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِـيـمٌ, وقال فـي ذلك: وَلَوْ رُدّوا لَعادُوا لِـمَا نُهُوا عَنْهُ وَإنّهُمْ لَكاذِبُونَ, وفـي ذلك قـال وَمـا كُنّا مُعَذّبِـينَ حتـى نَبْعَثَ رَسُولاً وفـي ذلك قال: لِئَلاّ يَكُونَ للنّاسِ علـى اللّـهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرّسُل, ولا حجة لأحد علـى الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما كانوا لو أحيـيناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم مـا عاينوا من عذاب الله لـيؤمنوا بـما كذّبوا من قبل هلاكهم, كما قال جلّ ثناؤه: وَلَوْ رُدّوا لَعادُوا لِـمَا نُهُوا عَنْهُ. ذكر من قال ذلك:

11639ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: بِـمَا كَذّبوا مِنْ قَبْـلُ قال: كقوله: وَلَوْ رُدّوا لَعادُوا لِـمَا نُهُوا عَنْهُ.

قال أبو جعفر: وأشبه هذه الأقوال بتأويـل الآية وأولاها بـالصواب, القـول الذي ذكرناه عن أبـيّ بن كعب والربـيع, وذلك أن من سـبق فـي علـم اللـه تبـارك وتعالـى أنه لا يؤمن به, فلن يؤمن أبدا, وقد كان سبق فـي علـم اللـه تعالـى لـمن هلك من الأمـم التـي قصّ نبأهم فـي هذه السـورة أنـه لا يـؤمن أبدا, فأخبر جلّ ثناؤه عنهم, أنهم لـم يكونوا لـيؤمنوا بـما هم به مكذّبون فـي سابق علـمه قبل مـجيء الرسل وعند مـجيئهم إلـيهم. ولـو قـيـل تأويـله: فما كان هؤلاء الذين ورثوا الأرض يا مـحمد من مشركي قومك من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود, لـيؤمنوا بـما كذّب به الذين ورثوها عنهـم مـن توحيد الله ووعده ووعيده, كان وجها ومذهبـا, غيـر أن لا أعلـم قـائلاً قـاله مـمن يعتـمد علـى علـمه بتأويـل القـرآن. وأمـا الـذي قـاله مـجاهد مـن أن معناه: لو ردّوا ما كانوا لـيؤمنوا, فتأويـل لا دلالة علـيه مـن ظـاهر التنزيـل, ولا من خبر عن الرسول صحيح. وإذا كان ذلك كذلك, فأولـى منه بـالصواب ما كان علـيه من ظاهر التنزيـل دلـيـل.

وأما قوله: كذلكَ يَطْبَعُ اللّهُ علـى قُلُوبِ الكافِرِينَ فإنه يقول تعالـى ذكره: كما طبع الله علـى قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصـوا رسـله مـن هـذه الأمـم التـي قصصنا علـيك نبأهم يا مـحمد فـي هـذه السـورة حتـى جـاءهم بأس الله فهلكوا به, كـذلك يطبـع اللـه علـى قلـوب الكـافرين الـذين كُتـب علـيهم أنهم لا يؤمنون أبدا من قومك.

الآية : 102

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَا وَجَدْنَا لأكْثَـرِهِم مّنْ عَهْـدٍ وَإِن وَجَـدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ }..

يقول تعالـى ذكره: ولـم نـجد لأكـثر أهـل هـذه القـرى التـي أهلكناهـا واقتصصنا علـيك يا مـحمد نبأها من عهد, يقول: من وفـاء بـما وصـيناهم بـه من توحيد اللـه, واتبـاع رسـله, والعمـل بطـاعته, واجتنـاب معاصـيه وهجـر عبـادة الأوثان والأصنام. والعهد: هو الوصية, وقد بـينا ذلك فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته. وَإنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفَـاسِقِـينَ يقول: وما وجدنا أكـثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم, تاركين عهده ووصيته. وقد بـيّنا معنى الفسق قبل.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

11640ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى: وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ قال: القرون الماضية.

11641ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ... الآية, قال: القرون الماضية وعهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به.

11642ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أُبيّ بن كعب: وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ قال: في الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم عليه السلام.

11643ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ وذلك أن الله إنما أهلك القُرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مّوسَىَ بِآيَاتِنَآ إِلَىَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }..

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران. والهاء والميم اللتان في قوله: مِنْ بَعْدِهِمْ هي كناية ذكر الأنبياء عليهم السلام التي ذكرت من أوّل هذه السورة إلى هذا الموضع. بآيَاتِنَا يقول: بحججنا وأدلتنا إلى فرعون وملئه, يعني: إلى جماعة فرعون من الرجال. فَظَلَمُوا بِها يقول: فكفروا بها. والهاء والألف اللتان في قوله «بها» عائدتان على الآيات. ومعنى ذلك: فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى إليهم. وإنما جاز أن يقال: فظلموا بها, بمعنى: كفروا بها, لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه, وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه بما أغنى عن إعادته. والكفر بآيات الله: وضع لها في غير موضعها, وصرف لها إلى غير وجهها الذي عنيت به. فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض, يعني فرعون وملأه, إذ ظلموا بآيات الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام, وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعا في البحر.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ مُوسَىَ يَفِرْعَوْنُ إِنّي رَسُولٌ مّن رّبّ الْعَالَمِينَ }..

يقول جلّ ثناؤه: وقال موسى لفرعون: يا فرعون إني رسول من ربّ العالمين.

الآية : 105-106

القول في تأويل قوله تعالى: {حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاّ الْحَقّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيّنَةٍ مّن رّبّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيَ إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ }..

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: حَقِيقٌ عَلى أن لا أقُولَ على اللّهِ إلاّ الحَقّ فقرأه جماعة من قرّاء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة:

حَقِيقٌ علي أن لا أقُولَ بإرسال الياء من «على» وترك تشديدها, بمعنى: أنا حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحقّ, فوجهوا معنى على إلى معنى الباء, كما يقال: رميت بالقوس وعلى القوس, وجئت على حال حسنة, وبحال حسنة. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: إذا قرىء ذلك كذلك, فمعناه: حريص على أن لا أقول إلا بحقّ. وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة: «حَقِيقٌ عَلىّ أنْ لا أقُولَ» بمعنى: واجب عليّ أن لا أقول, وحُقّ عليّ أن لا أقول.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب في قراءته الصواب.

وقوله: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيّنَةٍ مِنْ رَبّكُمْ يقول: قال موسى لفرعون وملئه: قد جئتكم ببرهان من ربكم يشهد أيها القوم على صحة ما أقول وصدق ما أذكر لكم من إرسال الله إياي إليكم رسولاً, فأرسل يا فرعون معي بني إسرائيل, فقال له فرعون: إن كنت جئت بآية, يقول: بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول. فأت بها إن كنت من الصادقين.

الآية : 107-108

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَلْقَىَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنّاظِرِينَ }..

يقول جَلّ ثناؤه: فَألْقَى مُوسَى عَصَاهُ فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ قال حية, مُبِينٌ يقول: تتبين لمن يراها أنها حية.

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11644ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ قال: تحوّلت حية عظيمة. وقال غيره: مثل المدينة.

11645ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ يقول: فإذا هي حية كادت تتسوّره, يعني كادت تثب عليه.

11646ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ والثعبان: الذكر من الحيات, فاتحة فاها, واضعة لحيها الأسفل في الأرض, والأعلى على سور القصر. ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه, فلما رآها ذعر منها, ووثب فأحدث, ولم يكن يُحدث قبل ذلك, وصاح: يا موسى خذها وأنا مؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا.

11647ـ حدثني عبد الكريم بن الهيثم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس: فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ قال: ألقى العصا فصارت حية, فوضعت فَقْما لها أسفل القبة, وفقما لها أعلى القبة قال عبد الكريم: قال إبراهيم: وأشار سفيان بأصبعه الإبهام والسبابة هكذا شبه الطاق فلما أرادت أن تأخذه, قال فرعون: يا موسى خذها فأخذها موسى بيده, فعادت عصا كما كانت أوّل مرّة.

11648ـ حدثنا العباس بن الوليد, قال: حدثنا يزيد بن ه ارون, قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد, عن القاسم بن أبي أيوب, قال: ثني سعيد بن جبير,

عن ابن عباس, قال: ألقى عصاه, فتحوّلت حيّة عظيمة فاغرة فاها, مسرعة إلى فرعون فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه, اقتحم عن سريره, فاستغاث بموسى أن يكفها عنه, ففعل.

11649ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُعْبانٌ مُبِينٌ قال: الحية الذكر.

11650ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما دخل موسى على فرعون, قال له موسى: أعرفك؟ قال: نعم, قال: أَلَمْ نُرَبّكَ فِينا وَلِيدا؟ قال: فردّ إليه موسى الذي ردّ, فقال فرعون: خذوه فبادره موسى فألقى عصاه, فإذا هي ثعبان مبين, فحملت على الناس فانهزموا, فمات منهم خمسة وعشرون ألفا, قتل بعضهم بعضا, وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت.

11651ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: فَأَلْقَى عَصَاهُ فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ قال: ما بين لَحييها أربعون ذراعا.

11652ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة بن سليمان, عن جويبر, عن الضحاك: فإذَا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ قال: الحية الذكر.

قال أبو جعفر: وأما قوله: وَنَزَعَ يَدَهُ فإذَا هِيَ بَيْضَاءُ للنّاظِرِينَ فإنه يقول: وأخرج يده فإذا هي بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس, وكان موسى فيما ذكر لنا آدم, فجعل الله تحوّل يده بيضاء من غير برص له آية وعلى صدق قوله إنّي رَسُولٌ مِنْ رَبّ العالَمِينَ حُجّة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11653ـ حدثنا العباس, قال: أخبرنا يزيد, قال: حدثنا الأصبغ بن زيد, عن القاسم بن أبي أيوب, قال: ثني سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني: من غير برص ثم أعادها إلى كمه, فعادت إلى لونها الأوّل.

11654ـ حدثني المثنى, قال: قال: عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: بَيْضَاءُ للنّاظِرِينَ يقول: من غير برص.

11655ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَنَزَعَ يَدَهُ فإذَا هِيَ بَيْضَاءُ للنّاظِرِينَ قال: نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

11656ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَنَزَعَ يَدَهُ أخرجها من جيبه, فإذَا هِيَ بَيْضَاءُ للنّاظِرِينَ.

11657ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَنَزَعَ يَدَهُ قال: نزع يده من جيبه, فإذَا هِيَ بَيْضَاءُ للنّاظِرِينَ وكان موسى رجلا آدم, فأخرج يده, فإذا هي بيضاء أشدّ بياضا من اللبن مِنْ غَيْرِ سُوءٍ, قال: من غير برص آية لفرعون.

الآية : 109-110

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنّ هَـَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم: إن هذا, يعنون موسى صلوات الله عليه, لَساحِرٌ عَلِيمٌ يعنون: أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم حتى يخيل إليهم العصا حية والآدم: أبيض, والشيء بخلاف ما هو به. ومنه قيل: سحر المطر الأرض: إذا جادها فقطع نباتها من أصوله, وقلب الأرض ظهرا لبطن, فهو يسحرها سحرا, والأرض مسحورة إذا أصابها ذلك. فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به ومنه قول ذي الرمّة في صفة السراب:

وَساحِرَةُ العُيُونِ منَ المَوَاميتَرَقّصُ في نَوَاشِزِها الأُرُومُ

وقوله عَلِيمٌ يقول: ساحر عليم بالسحر, يريد أن يخرجكم من أرضكم أرض مصر معشر القبط السحرة. وقال فرعون للملإ: فَمَاذَا تَأْمُرُونَ يقول: فأيّ شيء تأمرون أن نفعل في أمره, بأيّ شيء تشيرون فيه. وقيل: فماذا تأمرون والخبر بذلك عن فرعون, ولم يذكر فرعون, وقلّما يجيء مثل ذلك في الكلام, وذلك نظير قوله: قالَتِ امْرأةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقّ أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإنّهُ لَمنَ الصّادِقينَ ذلكَ لِيَعْلَمُ أنّي لَمْ أخُنْهُ بالغَيْبِ فقيلَ ذلكَ لَيْعَلَم أنّي لم أخُنْهُ بالغَيْبِ من قول يوسف, ولم يذكر يوسف. ومن ذلك أن يقول: قلت لزيد: قم فإني قائم, وهو يريد: فقال زيد: إني قائم.

الآية : 111

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم فرعون لفرعون: أرجئه: أي أخره. وقال بعضهم: معناه: احبس. والإرجاء في كلام العرب: التأخير, يقال منه: أرجيت هذا الأمر وأرجأته إذا أخرته, ومنه قول الله تعالى: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنّ: تؤخر, فالهمز من كلام بعض قبائل قيس يقولون: أرجأت هذا الأمر, وترك الهمز من لغة تميم وأسد يقولون: أرجيته.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض العراقيين: «أرْجِهِ» بغير الهمز وبجرّ الهاء. وقرأه بعض قرّاء الكوفيين: أرْجِهْ بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء في المكنّي في الوصل إذا تحرّك ما قبلها, كما قال الراجز:

أنْحَى عليّ الدّهْرُ رِجْلا وَيَدَايُقْسِمُ لا يُصْلِحُ إلاّ أفْسَدَافَيُصْلِحُ اَلْيَوْمَ ويُفْسِدُهُ غَدَا

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث فيقولون: هذه طلحه قد أقبلت, كما قال الراجز:

لَمّا رأى أنْ لا دَعَهْ وَلا شِبَعْمالَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ فاضْطَجَعْ

وقرأه بعض البصريين: «أرْجِئْهُ» بالهمز وضمّ الهاء, على لغة من ذكرت من قيس.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها في كلام العرب, وذلك ترك الهمز وجرّ الهاء, وإن كانت الأخرى جائزة, غير أن الذي اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: أرْجِهْ فقال بعضهم: معناه: أخره. ذكر من قال ذلك:

11658ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس, قوله: أرْجِهْ وأخاهُ قال: أخره.

وقال آخرون: معناه احبسه. ذكر من قال ذلك:

11659ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أرْجِهْ وأخاهُ: أي احبسه وأخاه.

وأما قوله: وأرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حاشِرِينَ يقول: من يحشر السحرة فيجمعهم إليك, وقيل: هم الشّرَط. ذكر من قال ذلك:

11660ـ حدثني عباس بن أبي طالب, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا الحكم بن ظهير, عن السديّ, عن ابن عباس: وأرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حاشِرِينَ قال: الشّرط.

11661ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر, عن أبيه, عن مجاهد: وأرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حاشِرِينَ قال: الشرط.

11662ـ قال ثنا حميد, عن قيس, عن السديّ: وأرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حاشِرِينَ قال: الشرط.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر, عن أبيه, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: فِي الْمَدَائِنِ حاشِرِينَ قال: الشرط.

حدثني عبد الكريم بن الهيثم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس: وأرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حاشِرِينَ قال: الشرط.

الآية : 112-113

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأْتُوكَ بِكُلّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَآءَ السّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوَاْ إِنّ لَنَا لأجْراً إِن كُنّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ }..

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن مَشْوَرَةِ الملإ من قوم فرعون على فرعون, أن يرسل في المدائن حاشرين, يحشرون كلّ ساحر عليم. وفي الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر من إظهاره, وهو: فأرسل في المدائن حاشرين يحشرون السحرة, فجاء السحرة فرعون قالُوا إنّ لَنَا لأجْرا يقول: إن لنا لثوابا على غلبتنا موسى عندك, إنْ كُنّا يا فرعون نَحْنُ الغَالِبينَ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11663ـ حدثنا العباس, قال: أخبرنا يزيد, قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد, عن القاسم بن أبي أيوب, قال: ثني سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: فأرسل في المدائن حاشرين, فحشر له كلّ ساحر متعالم فلما أتوا فرعون, قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات, قالوا: والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصيّ أعلم منّا, فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم: أنتم قرابتي وحامّتي, وأنا صانع إليكم كلّ شيء أحببتم.

11664ـ حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: قال

فرعون: لا نغالبه يعني موسى إلا بمن هو منه. فأعدّ علماء من بني إسرائيل, فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها الفرما, يعلّمونهم السحر, كما يعلّم الصبيان الكتاب في الكتاب. قال: فعلموهم سحرا كثيرا. قال: وواعد موسى فرعون موعدا فلما كان في ذلك الموعد بعث فرعون, فجاء بهم وجاء بمعلمهم معهم, فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم من السحر سحرا لا يطيقه سحر أهل الأرض, إلا أن يكون أمرا من السماء, فإنه لا طاقة لهم به, فأما سحر أهل الأرض فإنه لن يغلبهم فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون: إنّ لَنَا لأَجْرا إنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ قال: نعم وَإنّكُمْ إذَنْ لَمِنَ المُقَرّبِينَ.

11665ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَأرْسِلَ فِرْعَوْنُ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ فحشروا عليه السحرة, فلما جاء السحرة فرعون قالُوا إنّ لَنَا لأَجْرا إنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ يقول: عطية تعطينا إنْ كُنّا نَحْنُ الغالِبِينَ قالَ نَعَمْ وَإنّكُمْ لَمِنَ المُقَرّبِينَ.

11666ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: أرْجِهْ وأخاهُ وأرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلّ ساحِرٍ عَلِيمٌ: أي كاثره بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به, وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطانه, وبعث فرعون في مملكته, فلم يترك في سلطانه ساحر إلا أتي به. فذكر لي والله أعلم أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره, وقال لهم: قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قطّ, وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم, وقرّبتكم على أهل مملكتي, قالوا: وإن لنا ذلك إن غلبناه؟ قال: نعم.

11667ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرمة, قال: السحرة كانوا سبعين. قال أبو جعفر: أحسبه أنه قال: ألفا.

11668ـ قال ثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن ابن المنذر, قال: كان السحرة ثمانين ألفا.

11669ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن عبد العزيز بن رفيع, عن خيثمة, عن أبي سودة, عن كعب, قال: كان سحرة فرعون اثني عشر ألفا.

الآية : 114-115

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ نَعَمْ وَإِنّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرّبِينَ * قَالُواْ يَمُوسَىَ إِمّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمّآ أَن نّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ }..

يقول جلّ ثناؤه: قال فرعون للسحرة إذ قالوا له: إن لنا عندك ثوابا إن نحن غلبنا موسى قال: نعم, لكم ذلك, وإنكم لمن أقرّبه وأدنيه مني. قَالُوا يَا مُوسَى يقول: قالت السحرة لموسى: يا موسى اختر أن تلقي عصاك, أو نلقي نحن عصينا ولذلك أدخلت «أن» مع «إما» في الكلام لأنها في موضع أمر بالاختيار, فإن «أنْ» في موضع نصب لما وصفت من المعنى, لأن معنى الكلام: اختر أن تلقي أنت, أو نلقي نحن, والكلام مع «إما» إذا كان على وجه الأمر, فلا بدّ من أن يكون فيه «أن» كقولك للرجل إما أن تمضيَ, وإما أن تقعد, بمعنى الأمر: امض أو اقعد, فإذا كان على وجه الخبر لم يكن فيه أن كقوله: وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إمّا

يُعَذّبُهُمْ وإمّا يَتُوبُ عَلَـيْهِمْ وهذا هو الذي يسمى التـخيـير, وكذلك كلّ ما كـان علـى وجه الـخبر, و«إما» فـي جميع ذلك مكسورة.

الآية : 116

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَـالَ أَلْقَـوْاْ فَلَمّـآ أَلْقَـوْاْ سَـحَرُوَاْ أَعْيُـنَ النّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ }..

يقول تعالـى ذكره: قال موسى للسحرة: أَلْقُوا ما أنتـم ملقـون, فـألقت السحرة ما معهم. فَلَـمّا أَلْقَوْا ذلك سَـحَرُوا أَعْيُـنَ النّـاسِ خيـلوا إلـى أعيـن الناس بـما أحدثوا من التـخيـيـل والـخدع أنهـا تسـعى. وَاسْـتَرْهَبُوهُمْ يقـول: واسـترهبوا النـاس بـــما سـحروا فـــي أعينهـم, حتـــى خـافوا مـن العصـيّ والـحبـــال, ظنـا منهـم أنهـا حيـات. وَجـاءُوا كمـا قـاله اللـه بِسِـحْرٍ عَظِيـمٍ: بتـخيـيـل عظيـم كثـير, من التـخيـيـل والـخداع.

وذلك كالذي: 11670ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قال: قال لهـم موسـى: ألقـوا مـا أنتـم ملقـون فألقوا حبـالهم وعصيهم, وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل, لـيس منهـم رجـل إلا معه حبل وعصا. فَلَـمّا أَلْقَـوْا سَـحَرُوا أَعْيُـنَ النّـاسِ وَاسْـتَرْهَبُوهُمْ يقـول: فَرّقوهم فأوجس فـي نفسه خيفة موسى.

11671ـ حدثنـي عبد الكريـم, قال: حدثنا إبراهيـم بن بشار, قال: حـدثنا سفـيان, قال: حدثنا أبو سعد, عـن عكرمـة, عـن ابـن عبـاس, قـال: ألقـوا حبـالاً غلاظا وخشبـا طوالاً, قـال: فـأقبلت تـخيـل إلـيه مـن سـحرهم أنهـا تسعى.

11672ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: صفّ خمسة عشر ألف ساحر, مع كلّ ساحر حبـاله وعصـيه, وخـرج موسـى معـه أخوه يتكىء علـى عصـاه حتـى أتـى الـجمع وفرعـون فـي مـجلسه مـع أشراف مـملكته, ثم قالت السحرة: يا مُوسَى إمّـا أَنْ تُلْقِـيَ وَإمّـا أَنْ نكـونَ أوّلَ منْ ألقـى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فإذا حِبَـالُهُمْ وعِصِـيّهُمْ فكـان أوّل مـا اختطفـوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون, ثم أبصـار النـاس بعـد, ثـم ألقـى كـلّ رجـل منهـم مـا فـي يـده مـن العصـيّ والـحبـال, فـإذا هـي حيـات كأمثـال الـحبـال, قد ملأت الوادي يركب بعضـها بعضـا. فـأَوْجَسَ فـي نَفْسِـهِ خِيفَـةً مُوسَى وقال: والله إن كانت لعصيّا فـي أيديهم, ولقد عادت حيات, وما تعدو هذا أو كما حدّث نفسه.

11673ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن علـية, عـن هشـام الدستوائي, قال: حدثنا القاسم بن أبـي بزّة, قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر, وألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا, حتـى جعـل يخيـل إلـيه من سحرهم أنها تسعى.

الآية : 117

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَوْحَيْنَآ إِلَىَ مُوسَىَ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَـإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: وأوحينا إلـى موسى أن ألق عصاك, فألقاها فإذا هي تلقم وتبتلع ما يسحرون كذبـا وبـاطلاً, يقال منه: لقـفت الشيء فأنـا أَلْقُـفُه لَقْـفـا ولَقَـفـانا. وذلك كالذي:

11674ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك, فألقى موسى عصاه, فتحولت حية, فأكلت سحرهم كله.
11675ـ حدثنا عبد الكريم بن الهيثم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس: فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون, لا تمرّ بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته, فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء, وليس هذا بسحر, فخرّوا سجدا وقالوا: آمَنّا بِرَبّ العالَمِينَ رَبّ مُوسَى وهارُونَ.
11676ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: أوحى الله إلى موسى: لا تخَف, وألْقِ ما في يَمِينِك تَلْقَفْ ما يَأفِكونَ. فألْقَى عَصَاهُ فأكلت كلّ حية لهم, فلما رأوا ذلك سجدوا, وقالوا: آمَنّا بِرَبّ العالَمِينَ رَبّ مُوسَى وهارُونَ.
11677ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال:: أوحى الله إليه أن ألق ما في يمينك فألقى عصاه من يده, فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم, وهي حيات, في عين فرعون وأعين الناس تسعى, فجعلت تلقفها: تبتلعها حية حية, حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت, ووقع السحرة سجدا, قالوا: آمَنّا بِرَبّ العالَمِينَ رَبّ مُوسَى وهارُونَ لو كان هذا سحرا ما غلبنا.
11678ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام الدستوائي, قال: حدثنا القاسم بن أبي بزّة, قال: أوحى الله إليه أن ألق عصاك, فألقى عصاه فإذا هي ثعبان فاغرٌ فاه, فابتلع حبالهم وعصيهم, فألقي السحرة عند ذلك سجدا, فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها.
11679ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: يَأفِكُونَ قال: يكذبون.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: فإذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأفِكُونَ قال: يكذبون.
11680ـ حدثنا إبراهيم بن المستمر, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: حدثنا قرة بن خالد السدوسيّ, عن الحسن: تَلْقَفُ ما يَأفِكُونَ قال: حبالهم وعصيهم تسترطها استراطا.

الآية : 118

القول في تأويل قوله تعالى: {فَوَقَعَ الْحَقّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }..
يقول تعالى ذكره: فظهر الحقّ وتبين لمن شهده وحضره في أمر موسى, وأنه لله رسول يدعو إلى الحقّ وَبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ من إفك السحر وكذبه ومخايله.
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11681ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَوَقَعَ الحَقّ قال: ظهر.

11682ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر, عن أبيه, عن مجاهد في قوله: فَوَقَعَ الحَقّ وَبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ قال: ظهر الحقّ وذهب الإفك الذي كانوا يعملون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله: فَوَقَعَ الحَقّ قال: ظهر الحقّ.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَوَقَعَ الحَقّ ظهر موسى.

الآية : 119

القول في تأويل قوله تعالى: {فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره: فغَلَب موسى فرعونَ وجموعه هُنالِكَ عند ذلك, وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ يقول: وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصُغْرٍ مقهورين, يقال منه: صَغُر الرجل يصغُر صِغْرا وصُغْرا وصَغَارا.

الآية : 120-122

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأُلْقِيَ السّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوَاْ آمَنّا بِرَبّ الْعَالَمِينَ * رَبّ مُوسَىَ وَهَارُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وألقي السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله, ساقطين على وجوههم, سجدا لربهم, يقولون: آمنا بربّ العالمين, يقولون صدّقنا بما جاءنا به موسى, وأن الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء, وغير ذلك, ويدبّر ذلك كله, رب موسى وهارون, لا فرعونُ. كالذي:

11683ـ حدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لما رأت السّحَرة ما رأت, عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر, خرّوا سجدا, وقالوا: آمنا بربّ العالمين ربّ موسى وهارون.

الآية : 123

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنّ هَـَذَا لَمَكْرٌ مّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }..

يقول تعالى ذكره: قال فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله, يعني صدّقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه: آمنتم يقول: أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوّته, قبل أن أذن لكم بالإيمان به. إن هذا يقول: تصديقكم إياه, وإقراركم بنبوّته, لمكرٌ مكرتمُوهُ في المَدينةِ يقول لخُدْعة خدعتم بها من في مدينتنا لتخرجوهم منها. فَسَوْفَ تَعْلَمونَ ما أفعل بكم, وتلقون من عقابي إياكم على صنيعهم هذا. وكان مكرهم ذلك فيما:

11684ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في حديث ذكره عن أبي مالك وعليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, وعن مُرّة, عن ابن مسعود, وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: التقي موسى وأمير السّحَرة, فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئتُ به حقّ؟ قال السّاحر: لآتينّ غدا بسحر لا يغلبه سحر, فوالله لئن غلبتني لأومنّ بك

ولأشهدنّ أنك حقّ وفرعون ينظر إليهم فهو قول فرعون: إنّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي المَدِينَةِ إذ التقيتما لتظاهرا فتخرجا منها أهلها.

الآية : 124

القول في تأويل قوله تعالى: {لأُقَطّعَنّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مّنْ خِلاَفٍ ثُمّ لأُصَلّبَنّكُمْ أَجْمَعِينَ }..

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله وصدّقوا رسوله موسى: لأُقَطّعَنّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى, أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى, فيخالف بين العضوين في القطع, فمخالفته في ذلك بينهما هو القطع من خلاف.

ويقال: إن أوّل من سنّ هذا القطع فرعون. ثُم لأُصَلّبَنّكُمْ أجمَعِينَ وإنما قال هذا فرعون, لما رأى من خذلان الله إياه وغلبة موسى عليه السلام وقهره له.

11685ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو داود الحَفَريّ وحَبّوية الرازيّ, عن يعقوب القميّ, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: لأُقَطّعَنّ أَيْدِيَكُمّ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاف ثُمّ لأُصَلّبَنّكُمْ أجمَعِينَ قال: أوّل من صلب وأوّل من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعونُ.

الآية : 125-126

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ إِنّآ إِلَىَ رَبّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنّآ إِلاّ أَنْ آمَنّا بِآيَاتِ رَبّنَا لَمّا جَآءَتْنَا رَبّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفّنَا مُسْلِمِينَ }..

يقول تعالى ذكره: قال السحرة مجيبة لفرعون, إذ توعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف, والصلب: إنّا إلى رَبّنا مُنْقَلِبُونَ يعني بالانقلاب إلى الله الرجوع إليه والمصير. وقوله: وَما تَنْقِمُ مِنّا إلاّ أنْ آمَنّا بآياتِ رَبّنا يقول: ما تنكر منا يا فرعون وما تجد علينا, إلا من أجل أن آمنا: أي صدّقنا بآيات ربنا, يقول: بحجج ربنا وأعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت, ولا أحد سوى الله, الذي له ملك السموات والأرض. ثم فزعوا إلى الله, بمسئلته الصبر على عذاب فرعون, وقبض أرواحهم على الإسلام, فقالوا: رَبّنا أفْرِغْ عَلَيْنا صَبْرا يعنون بقولهم: أفرغ: أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون إيانا. وَتَوَفّنا مُسْلِمِينَ يقول: واقبضنا إليك على الإسلام, دين خليلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم, لا على الشرك بك.

11686ـ فحدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط عن السديّ: لأُقَطّعَنّ أيْدِيَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ فقتلهم وصَلَبهم, كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا: رَبّنا أفْرِغْ عَلَيْنا صَبْرا وَتَوَفّنا مُسْلِمِينَ قال: كانوا في أوّل النهار سحرة, وفي آخر النهار شهداء.

11687ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن عبد العزيز بن رفيع, عن عبيد بن عمير, قال: كانت السحرة أوّل النهار سحرة, وآخر النهار شهداء.

11688ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأُلْقِيَ السّحَرَةُ ساجِدِينَ قال: ذكر لنا أنهم كانوا في أوّل النهار سحرة, وآخره شهداء.

11689ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: رَبّنا أفْرِغْ عَلَيْنا صَبْرا وَتَوَفّنا مُسْلِمِينَ قال: كانوا أوّل النهار سحرة, وآخره شهداء.

الآية : 127

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَىَ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ وَإِنّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون: أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا في الأرض, يقول: كي يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك من مصر, وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ يقول: ويذرك: ويدع خدمتك موسى, وعبادتك وعبادة آلهتك.

وفي قوله: وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ وجهان من التأويل: أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟ وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل كان النصب في قوله: وَيَذَرَكَ على الصرف, لا على العطف به على قوله «ليفسدوا». والثاني: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وليذرك وآلهتك كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين. وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه كان نصب: وَيَذَرَكَ على العطف على لِيُفْسِدُوا.

والوجه الأوّل أولى الوجهين بالصواب, وهو أن يكون نصب: وَيَذَرَكَ على الصرف, لأن التأويل من أهل التأويل به جاء.

وبعد, فإن في قراءة أبيّ بن كعب الذي:

11690ـ حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج عن هارون, قال: في حرف أبيّ بن كعب: وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك.

دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف.

وقد روى عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك: وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ عطفا بقوله: وَيَذَرَكَ على قوله: أتَذَرُ مُوسَى كأنه وجّه تأويله إلى: أتذرُ موسى وقومه ويذرك وآلهتك ليفسدوا في الأرض؟ وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها: أتذرُ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وهو يذرُك وآلهتك؟ فيكون «يذرُك» مرفوعا على ابتداء الكلام.

وأما قوله: وآلِهَتَكَ فإن قرّاء الأمصار على فتح الألف منها ومدّها, بمعنى: وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التي تعبدها. وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان له بقرةٌ يعبدوها. وقد رُوي عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها: «وَيَذَرَكَ وإلا هَتَكَ» بكسر الألف, بمعنى: ويذرك وعبُودتك.

والقراءة التي لا نرى القراءة بغيرها, هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليها.

ذكر من قال: كان فرعون يعبُد آلهة على قراءة من قرأ: وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ:

11691ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ وآلهته فيما زعم ابن عباس, كانت البقرة كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها, فلذلك أخرج لهم عجلاً وبقرة.

11692ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن عمرو, عن الحسن, قال: كان لفرعون جُمَانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها.
11693ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا أبان بن خالد, قال: سمعت الحسن يقول: بلغني أن فرعون كان يعبد إلها في السرّ. وقرأ: «وَيَذَرَكَ وآلِهَتَكَ».
حدثنا محمد بن سنان, قال: حدثنا أبو عاصم, عن أبي بكر, عن الحسن, قال: كان لفرعون إله يعبده في السرّ.
ذكر من قال معنى ذلك: ويذرك وعبادتك, على قراءة من قرأ: «وإلاهتك»:
11694ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن محمد بن عمرو, عن الحسن, عن ابن عباس: «وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ» قال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يعَبد.
قال ثنا أبي, عن نافع, عن ابن عمر, عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس أنه قرأ: «وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ» قال: وعبادتك, ويقول إنه كان يُعبد ولا يَعبد.
11695ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: «وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ» قال: يترك عبادتك.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وإلاهَتَكَ» يقول: وعبادتك.
11696ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: «وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ» قال: عبادتك.
حدثنا سعيد بن الربيع الرازي, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو بن دينار, عن محمد بن عمرو بن حسين, عن ابن عباس, أنه كان يقرأ: «وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ» وقال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد.
وقد زعم بعضهم: أن من قرأ: «وإلاهَتَكَ» إنما يقصد إلى نحو معنى قراءة من قرأ: وآلِهَتَكَ غير أنه أنث وهو يريد إلها واحدا, كأنه يريد «وَيَذَرَكَ وإلاهَكَ» ثم أنث الإله فقال: «وإلاهتك».
وذكر بعض البصريين أن أعرابيا سُئِل عن الإلاهة فقال: «هي عَلَمة» يريد علما, فأنث «العلم», فكأنه شيء نصب للعبادة يُعبد. وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعي:
تَرَوّحْنا منَ اللّعْباءِ عَصْراوأعْجَلْنا الإلاهَةَ أنْ تَئُوبا
يعني بالإلاهة في هذا الموضع: الشمس. وكأن هذا المتأوّل هذا التأويل, وجّه الإلاهة إذا أدخلت فيها هاء التأنيث, وهو يريد واحد الآلهة, إلى نحو إدخالهم الهاء في وِلْدَتِي وكَوْكَبَتِي ومَاءَتي, وهو أهْلَة ذاك, وكما قال الراجز:
يا مُضَرُ الحَمْرَاءِ أنْتِ أُسْرَتِيوَأنْتِ مَلْجاتِي وأنْتِ ظَهْرَتي
يريد: ظهري. وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى في قراءتهما ذلك على ما قرآ, فلا وجه لقول هذا القائل ما قال مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا إليه من معنى ذلك.
وقوله: قالَ سَنُقَتّلُ أبْناءَهُمْ يقول: قال فرعون: سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بني إسرائيل. وَنَسْتَحِيي نساءَهُمْ يقول: ونستبقي إناثهم. وَإنّا

فَـوْقَهُمْ قـاهِرُونَ يقـول: وإنـا عـالون علـيهم بـالقهر, يعنـي بقهـر الـملك والسلطان. وقد بـينا أن كلّ شيء عال بقهر وغلبة علـى شيء, فإن العـرب تقول: هو فوقه.

الآية : 128

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {قَـالَ مُوسَـىَ لِقَـوْمِهِ اسْـتَعِينُوا بِـاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنّ الأَرْضَ للّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ }..

يقول تعالـى ذكره: قال موسى لقومه من بنـي إسرائيـل لـما قال فرعون للـملإ من قومه سنقتل أبناء بنـي إسرائيـل ونستـحيـي نسـاءهم: اسْـتَعِينُوا بَـاللّهِ علـى فرعون وقومه فـيـما ينوبكم من أمركم, واصبروا علـى ما نالكم من الـمكاره فـي أنفسكم وأبنائكم من فرعون.

وكان قد تبع موسى من بنـي إسرائيـل علـى ما:

11697ـ حدثنـي عبد الكريـم, قال: حدثنا إبراهيـم بن بشار, قال: حـدثنا سفـيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: لـما آمنت السحرة, اتبع موسى ستـمائة ألف من بنـي إسرائيـل.

وقوله: إنّ الأرْضَ لِلّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبـاده يقول: إن الأرض لله, لعلّ الله أن يُورِثَكم إن صَبَرتـم علـى ما نالكم من مكروه فـي أنفسكم وأولادكـم مـن فرعـون, واحتسبتــم ذلـك, واستقمتــم علــى السـداد أرضَ فرعـون وقومه, بأن يهلكهم ويستـخـلفكم فـيها, فإن الله يورث أرضه من يشاء مــن عبـاده. والعاقِبَـةُ للْـمُتّقِـينَ يقـول: والعاقبـة الـمـحمودة لــمن اتقــى اللـه وراقبه, فخافه بـاجتناب معاصيه وأدّى فرائضه.

الآية : 129

القول فـي تأويـل قولهِ تعالـى: {قَالُوَاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَـا وَمِـن بَعْـدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىَ رَبّكُـمْ أَن يُهْلِـكَ عَـدُوّكُمْ وَيَسْـتَخْلِفَكُمْ فِـي الأَرْضِ فَيَنظُـرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: قال قوم موسى لـموسى حين قال لهم استعينوا بـالله واصبروا: أوذِينا بقتـل أبنائنـا مِـنْ قبـلِ أنْ تأتِـيَنا يقـول: مـن قبـل أن تأتــينا برسالة الله إلـينا لأن فرعون كـان يقتـل أولادهـم الـذكور حيـن أظلـه زمـان موسى علـى ما قد بـينت فـيـما مضى من كتابنا هـذا. وقـوله: وَمِـنْ بَعْـدِ مـا جِئْتَنا يقول: ومن بعد ما جئتنا برسالة الله, لأن فرعـون لــما غُلبـت سـحرته وقال للـملأ مـن قـومه مـا قـال, أراد تــجديد العـذاب علـيهم بقتـل أبنـائهم واستـحياء نسائهم. وقـيـل: إن قوم موسى قالوا لـموسى ذلـك حيـن خـافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون, وقد تراءى الــجمعان, ف قـالوا لـه يـا موسى أوذِينا مِنْ قَبْـلِ أنْ تَأتــيَنا كـانوا يـذبحون أبناءنـا ويستــحيون نسـاءنا, وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا الـيوم يدركنا فرعون فـيقتلنا.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل االتأويـل. ذكر من قال ذلك:

11698ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: مِنْ قَبْـلِ أنْ تَأتِــيَنا من قبل إرسال الله إياك وبعده.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

11699ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السديّ: فلــما تـراءى الــجمعان فنظـرت بنـو إسرائيــل إلــى فرعـون قـد

ردفهم, قالوا: إنّا لـمُدْرَكُونَ وقالوا: أو ذِيَنا مِنْ قَبْلِ أنْ تَأْتِـيَنَا. كـانوا يـذبحون أبناءنا ويستـحيون نساءنا. ومِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنَا الـيوم يـدركنا فرعـون فــيقتلنا, إنّا لَـمُدْرَكُونَ.

11700ـ حدثنـي عبد الكريـم, قال: حدثنا إبراهيـم, قال: حدثنا سفــيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: سار موسـى ببنــي إسرائيـل حتـى هجموا علـى البحر, فـالتفتوا فإذا هـم برَهْـج دوابّ فرعـون, فقالوا: يا موسى أوذينا من قبل أن تأتـينا ومن بعد ما جِئتنا, هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بـمن معه قال عَسَى رَبكُمْ أنْ يَهْلِكَ عَدْوّكُمْ وَيَسْتَـخْـلِفَكُمْ فــي الأرْضِ فَـيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ.

وقوله: قالَ عَسَى رَبّكُمْ أنْ يُهْلكَ عَدُوّكُمْ يقـول جـلّ ثنـاؤه: قـال موسـى لقومه: لعلّ ربكم أن يهلك عـدوّكم: فرعـون وقـومه, ويَسْتَـخْــلِفَكُمْ يقـول: يجعلكم تـخـلفونهم فـي أرضهم بعد هلاكهم, لا تـخافونهم ولا أحدا من الناس غيرهم فَـيَنْظُرَ كَيْـفَ تَعْمَلُـونَ يقـول: فــيرى ربكـم مـا تعملـون بعـدهم مـن مسارعتكم فـي طاعته وتثاقلكم عنها.

الآية : 130

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَآ آلَ فِرْعَونَ بِالسّـنِينَ وَنَقْـصٍ مّن الثّمَرَاتِ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتبـاعه علـى ما هم علـيه من الضلالة بـالسنّـين, يقول: بـالـجدوب سنة بعد سنة والقحوط. يقال منه: أسْـنَتَ القــوم: إذا أجـدبوا. وَنَقْـصٍ مِـنَ الثّمـراتِ يقــول: واختبرنـاهم مـع الـجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلاّ القلـيــل. لَعَلّهُـمْ يَـذّكّرُونَ يقـول: عظـة لهم وتذكيرا لهم, لـينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلـى ربهم بـالتوبة.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

11701ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن أبــي إسحاق, عن أبـي عبـيدة, عن عبد اللـه: وَلَقَـدْ أَخَـذْنا آلَ فِرْعَـوْنَ بـالسّنِـيـنَ قال: سنـي الـجوع.

11702ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى, عـن ابـن أبــي نــجيح, عـن مــجاهد, فــي قـول اللـه: بـالسّنِــينَ الـجائحة. وَنَقْصٍ مِنَ الثّمَرَاتِ دون ذلك.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

11703ـ حدثنـي القاسم بن دينار, قال: حدثنا عبـيد الله بن موسى, عـن شيبـان, عن أبـي إسحاق, عن رجاء بن حيوة فـي قوله: وَنَقْصٍ مِنَ الثّمَرَاتِ قال: حيث لا تـحمل النـخـلة إلا تـمرة واحدة.

11704ـ حدثنـي ابن وكيع, قال: حـدثنا أبــي, عـن إسرائيــل, عـن أبــي إسحاق, عن رجاء بن حيـوة, عـن كعـب قـال: يأتــي علــى النـاس زمـان لا تـحمل النـخـلة إلا تـمرة.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحمانـي, قـال: حـدثنا شـريك, عـن أبــي إسحاق, عن رجاء بن حيوة: وَنَقْصٍ مِنَ الثّمَـرَاتِ قـال: يأتــي علــى النـاس زمان لا تـحمل النـخـلة إلا تـمرة.

11705ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة, قـوله: وَلَقَـدْ أَخَـذْنا آلَ فِرْعَـوْنَ بـالسّنِـيـنَ: أخـذهم اللـه بـالسنــين

بـالـجوع عاما فعامـا. وَنَقْـصٍ مِـنَ الثّمَـرَاتِ فأمـا السنــين فكـان ذلـك فـي بـاديتهم وأهل مواشيهم, وأما بنقص من الثمرات فكان ذلك فــي أمصـارهم وقراهم.

الآية : 131

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَـىَ وَمَـن مَّعَـهُ أَلآ إِنَّمَـا طَـائِرُهُمْ عِنـدَ اللّـهُ وَلَـكِنّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: فإذا جاءت آل فرعـون العافــية والــخصب والرخـاء وكثرة الثمار, ورأوا ما يحبون فـي دنـياهم قالُوا لَنا هَذِهِ نـحن أولـى بها. وَإنْ تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ يعنـي جدوب وقُحوط وبلاء, يَطّيّرُوا بِـمُوسَى وَمَنْ مَعَـهُ يقــول: يتشــاءموا ويقولــوا: ذهبــت حظوظنــا وأنصبــاؤنا مــن الرخــاء والــخصب والعافـية, مذ جاءنا موسى علـيه السلام.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

11706ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: فـإذَا جـاءَتْهُمُ الــحَسَنَةُ العافـية والرخاء, قالُوا لَنا هَذِهِ نـحن أحقّ بها. وَإن تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ بلاء وعقوبة, يَطّيّرُوا يتشاءموا بِـمُوسَى.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد بنـحوه.

11707ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: فإذَا جاءَتْهُمُ الـحَسَنَةُ قالُوا لَنا هَذِهِ وَإن تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ يَطّيّـرُوا بِــمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ قالوا: ما أصابنا هذا إلا بك يا موسى وبـمن معك, ما رأينـا شـرّا ولا أصـابنا حتــى رأينـاك. وقـوله: فـإذَا جـاءَتْهُمُ الــحَسَنَةُ قـالُوا لَنـا هَـذِهِ قـال: الـحسنة: ما يحبون وإذا كان ما يكرهون, قالوا: ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء الذين ظلـموا قال قوم صالــح: اطّيّرْنَـا بِـكَ وَبِــمَنْ مَعَـكَ فقـال اللـه: إنّــمَا طائِرُكُمْ عِنْدَ اللّهِ بَلْ أَنْتُـمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ.

القـول فــي تأويــل قـوله: ألاّ أنّــما طـائِرُهُمْ عنْـدَ اللّـهِ وَلَكِـنّ أكْثَرَهُـمْ لا يَعْلَـمُونَ.

يقول تعالـى ذكره: ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم, وذلك أنصبــاؤهم مـن الرخاء والـخصب وغير ذلك من أنصبــاء الــخير والشـرّ إلا عنـد اللـه. ولكـن أكثرهم لا يعلـمون أن ذلك كذلك, فلـجهلهم بـذلك كـانوا يطّيـرون بــموسى ومن معه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

11708ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالــح, قـال: ثنــي معاوية, عـن علــيّ, عـن ابـن عبــاس: ألاّ أنّــمَا طـائِرُهُمْ عِنْـدَ اللّـهِ يقـول: مصائبهم عند الله, قال الله: وَلَكِنّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَـمُونَ.

حدثنـي القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابـن جريـج قال: قال ابن عبـاس: ألاَ أنّـمَا طائِرُهُمْ عِنْدَ اللّهِ قال: الأمر من قِبَل الله.

الآية : 132

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لّتَسْحَرَنَا بِهَـا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره: وقال آل فرعون لموسى: يا موسى مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتسحرنا, يقول: لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون, فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ يقول: فما نحن لك في ذلك بمصدّقين على أنك محقّ فيما تدعونا إليه. وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر بما أغنى عن إعادته.

وكان ابن زيد يقول في معنى: مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ ما:

11709ـ حدثني يونس, قال: قال ابن زيد في قوله: مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ قال: إن ما تأتنا به من آية, وهذه فيها زيادة «ما».

الآية : 133

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمّلَ وَالضّفَادِعَ وَالدّمَ آيَاتٍ مّفَصّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مّجْرِمِينَ }..

اختلف أهل التأويل في معنى الطوفان, فقال بعضهم: هو الماء. ذكر من قال ذلك:

11710ـ حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا حَبَوية الرازي, عن يعقوب القُمي, عن جعفر, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: لما جاء موسى بالآيات, كان أوّل الآيات الطوفان, فأرسل الله عليهم السماء.

11711ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل, عن أبي مالك, قال: الطوفان: الماء.

11712ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: الطّوفان: الماء.

11713ـ قال: ثنا جابر بن نوح, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: الطوفان: الغرق.

11714ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قال: الطوفان الماء والطاعون على كلّ حال.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الطوفان الموت على كلّ حال.

حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: الطوفان: الماء.

وقال آخرون: بل هو الموت. ذكر من قال ذلك:

11715ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا يحيى بن يمان, قال: حدثنا المنهال بن خليفة, عن الحجاج, عن الحَكَم بن ميناء, عن عائشة, قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الطّوفانُ المَوْتُ».

11716ـ حدثني عباس بن محمد, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: سألت عطاء ما الطوفان؟ قال: الموت.

11717ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن عطاء عمن حدّثه, عن مجاهد, قال: الطوفان: الموت.

11718ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن عبد الله بن كثير: فَأَرْسَلْنا عَلَيهِمُ الطوفانَ قالَ: الموت. قال ابن جريج: وسألت عطاء عن الطوفان, قال: الموت. قال ابن جريج: وقال مجاهد: الموت على كلّ حال.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يـمان, عن الـمنهال بن خـلـيفة, عن حجاج, عـن رجـل, عـن عائشـة, عـن النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «الطوفـانُ الـمَوْتُ».

وقال آخرون: بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم. ذكر من قال ذلك:

11719ـ حدثنا القاسـم, قـال: حـدثنا الــحسين, قـال: حـدثنا حربـر,ع ن قـابوس بـن أبــي ظَبْـيان, عـن أبــيه, عـن ابـن عبــاس: فَأَرْسَـلْنا عَلَـيهِمْ الطوفـانَ قال: أمر الله الطوفـان, ثم قال: فَطافَ عَلَـيْها طـائفٌ مِـن رَبّـكَ وَهُمْ نائمُونَ.

وكـان بعـض أهـل الــمعرفة بكلام العـرب مـن أهـل البصـرة, يزعـم أن الطوفـان من السيـل البُعاق والدّبـاش, وهو الشديد, ومن الـموت الــمتتابع الذريع السريع. وقال بعضهم: هو كثرة الـمطر والريح. وكان بعـض نـحويّــي الكوفـيـين يقول: الطوفـان مصدر مثل الرّجْحان والنّقْصـان لا يجمـع. وكـان بعض نـحويـي البصرة يقول: هو جمع, واحدها فـي القـياس: الطوفـانة.

والصواب من القول فـي ذلك عندي, ما قاله ابن عبـاس علـى ما رواه عنه أبو ظَبْـيان أنه أمر من الله طاف بهم, وأنه مصـدر مـن قـول القائـل: طـاف بهم أمر الله يطوف طوفـانا, كما يقال: نقص هذا الشيء ينقص نُقْصانا. وإذا كان ذلك كذلك, جاز أن يكـون الـذي طـاف بهـم الــمطر الشـديد, وجـاز أن يكون الــموت الـذريع. ومـن الدلالـة علــى أن الــمطر الشـديد قـد يسـمى طوفـانا قول الـحسن بن عرفطة:

غَيّرَ الـجِدّةَ مِنْ آياتِهَاخُرُقُ الرّيحِ وَطُوفـانُ الـمَطَرْ

ويروى: «خُرُق الريح بطوفـان الـمطر» وقول الراعي:

تُضْحِي إذا العِيسُ أَدْرَكنا نَكائِثَهاخَرْقاءَ يعْتادُها الطوفـانُ والرّؤُدُ

وقول أبـي النـجم:

قَدْ مَدّ طُوْفـانٌ فَبَتّ مَدَادَاشَهْرا شَآبِـيبَ وشَهْرا بَرَدَا

وأما القُمّل, فإن أهل التأويـل اختلفوا فـي معنا, فقال بعضهم: هو السوس الذي يخرج من الـحنطة. ذكر من قال ذلك:

11720ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن يعقوب القُمّي, عن جعفر, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قال: القُمّل: هو السـوس الـذي يخـرج من الـحنطة.

11721ـ حدثنا ابن حميـد, قـال: حـدثنا يعقـوب, عـن جعفـر, عـن سـعيد بنـحوه.

وقال آخرون: بل هو الّدبَـي, وهو صغار الـجراد الذي لا أجنـحة له. ذكر من قال ذلك:

11722ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالــح, قـال: ثنــي معاوية, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس, قال: القمل: الدّبـي.

11723ـ حدثنـي موسى بن هارون, قال: حـدثنا عمـرو بـن حمـاد, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قال: الدّبـي: القُمّل.

11724ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: القمل: هو الدبـي.

11725ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: القمل: الدبـي.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة, قال: القمل: هي الدّبَي, وهي أولاد الجراد.
11726ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: القمل: الدبي.
11727ـ قال ثنا يحيى بن آدم, عن قيس عمن ذكره, عن عكرمة, قال: القمل: بنات الجراد.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي عن أبيه, عن ابن عباس, قال: القمل: الدّبي.
وقال آخرون: بل القمل: البراغيث. ذكر من قال ذلك:
11728ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَأرْسَلْنا عَلَيهِمْ الطوفانَ والجَرَادَ والقُمّلَ قال: زعم بعض الناس في القمل أنها البراغيث.
وقال بعضهم: هي دوابّ سود صغار. ذكر من قال ذلك:
11729ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, قال: سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا: القمل: دوابّ سود صغار.
وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم اغيث.
وقال بعضهم: هي دوابّ سود صغار. ذكر من قال ذلك:
11730ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, قال: سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا: القمل: دوابّ سود صغار.
وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم بابا مُؤْصَدَا وكان الفرّاء يقول: لم أسمع فيه شيئا, فإن لم يكن جمعا فواحده قامل, مثل ساجد وراكع, وإن يكن اسما على معنى جمع, فواحدته: قمّلة.
ذكر المعاني التي حدثت في قوم فرعون بحدوث هذه الآيات والسبب الذي من أجله أحدثها الله فيهم
11731ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُمي, عن جعفر بن المغيرة, عن سعيد بن جبير, قال: لما أتى موسى فرعون, قال له: أرسل معي بني إسرائيل فأبى عليه, فأرسل الله عليهم الطوفان, وهو المطر, فصبّ عليهم منه شيئا, فخافوا أن يكون عذابا, فقالوا لموسى: ادع لنا ربك, لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك, ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فدعا ربه, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل. فأنبت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلإ, فقالوا: هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد, فسلّطه على الكلإ. فلما رأوا أثره في الكلإ عرفوا أنه لا يبقى الزرع, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد, فنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم الجراد, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل, فداسوا وأحرزوا في البيوت, فقالوا: قد أحرزنا. فأرسل الله عليهم القمل, وهو السوس الذي يخرج منه, فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى, فلا يردّ منها ثلاثة أقفزة, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل, فنؤمَن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم, فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل. فبينا هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع, فقال لفرعون: ما تلقي أنت وقومك من هذا؟ فقال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في

الضفادع, ويهمّ أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه, فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع, فنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم, فكان ما استقوا من الأنهار والآبار, أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطا, فشكوا إلى فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدم, وليس لنا شراب. فقال: إنه قد سحركم. فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلاّ وجدناه دما عبيطا؟ فأتوه فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم, فنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشِف عنهم, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل.

11732ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حبوية الرازي, عن يعقوب القمي, عن جعفر, عن ابن عباس, قال: لما خافوا الغرق, قال فرعون: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنؤمن لك, ثم ذكر نحو حديث ابن حميد, عن يعقوب.

11733ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: ثم إن الله أرسل عليهم, يعني على قوم فرعون الطوفان, وهو المطر, فغرق كلّ شيء لهم, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا, ونحن نؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم ونبتت به زروعهم, فقالوا: ما يسرّنا أنا لم نمطرَ. فبعث الله عليهم الجراد, فأكل حروثهم, فسألوا موسى أن يدعوَ ربه فيكشفه ويؤمنوا به. فدعا فكشفه, وقد بقي من زروعهم بقية, فقالوا: لم تؤمنون وقد بقي من زرعنا بقيّة تكفينا؟ فبعث الله عليهم الدّبَى, وهو القمل, فلحس الأرض كلها, وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضّه, وكان لأحدهم الطعام فيمتلىء دبى, حتى إن أحدهم ليبنى الأسطوانة بالجصّ فيزلقها, حتى لا يرتقي فوقها شيء, يرفع فوقها الطعام, فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دبى, فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من الدبى, وهو الرجز الذي ذكر الله في القرآن أنه وقع عليهم. فسألوا موسى أن يدعو ربه, فيكشف عنهم, ويؤمنوا به. فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا, فأرسل الله عليهم الدم, فكان الإسرائيلي يأتي هو والقبطي يستقيان من ماء واحد, فيخرج ماء هذا القبطي دما, ويخرج للإسرائيلي ماء. فلما اشتدّ ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به, فكشف ذلك, فأبوا أن يؤمنوا, وذلك حين يقول الله: فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ العَذَابَ إذَا هُمْ يَنْكُثُونَ.

11734ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطّوفانَ قال: أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما. ثم كشف عنهم, فلم يؤمنوا, وأخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله. فأرسل الله عليه الجراد فأكله إلاّ قليلاً, فلم يؤمنوا أيضا. فأرسل الله القُمّل وهي الدبى, وهو أولاد الجراد, فأكلت ما بقي من زروعهم, فلم يؤمنوا. فأرسل عليهم الضفادع, فدخلت عليهم بيوتهم, ووقعت في آنيتهم وفرشهم, فلم يؤمنوا. ثم أرسل الله عليهم الدم, فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحوّل ذلك الماء دما, قال الله: آياتٍ مُفَصّلاتٍ.

11735ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطّوفانَ حتى بلغ: مُجْرِمِينَ قال: أرسل

الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما, فدعوا موسى فدعا ربه, فكشف عنهم, ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم, ثم أنبتت أرضهم. ثم أرسل الله عليهم الجراد, فأكل عامة حروثهم وثمارهم, ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم. ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم, فأرسل الله عليهم القُمّل, هذا الدبى الذي رأيتم, فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم, فلحسه. فدعوا موسى, فدعا ربه, فكشفه عنهم, ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم. ثم أرسل الله عليهم الضفادع, حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم, فدعوا موسى, فدعا ربه فكشف عنهم. ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم, فأرسل الله عليهم الدم, فكانوا لا يغترفون من مائهم إلاّ دما أحمر, حتى لقد ذكر أن عدوّ الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد, القبطي والإسرائيلي, فيكون مما يلي الإسرائيلي ماء, ومما يلي القبطي دما. فدعوا موسى, فدعا ربه, فكشفه عنهم في تسع آيات: السنين, ونقص من الثمرات, وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه.

11736ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: فأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطّوفانَ وهو المطر حتى خافوا الهلاك, فأتوْا موسى, فقالوا: يا موسَى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر, فإنا نؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم المطر, فأنبت الله به حرثهم, وأخصب به بلادهم, فقالوا: ما نحبّ أنا لم نمطر بترك ديننا, فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الجراد, فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد, فإنا سنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم الجراد, وكان قد بقي من زروعهم ومعاشهم بقايا, فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا, فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم القُمّل, وهو الدبى, فتتبع ما كان ترك الجراد, فجزعوا وأحسوا بالهلاك, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى, فإنا سنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم الدبى, فقالوا: ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الضفادع, فملأ بيوتهم منها, ولقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله, إنها كانت تثب في قدورهم, فتفسد عليهم طعامهم, وتطفىء نيرانهم, قالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع, فقد لقينا منها بلاء وأذى, فإنا سنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم الضفادع, فقالوا: لا نؤمن لك, ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الدم, فجعلوا لا يأكلون إلاّ الدم, ولا يشربون إلاّ الدم, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم, فإنا سنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الدم, فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل, فكانت آيات مفصّلات بعضها على إثر بعض, ليكون لله عليهم الحجة, فأخذهم الله بذنوبهم, فأغرقهم في اليم.

11737ـ حدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس قال: أرسل على قوم فرعون الآيَات: الجراد, والقُمّل, والضفادع, والدم آياتٍ مُفَصّلاتٍ. قال: فكان الرجل من بني إسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون في

السفينة, فيغترف الإسرائيلي ماء, ويغترف الفرعوني دما. قال: وكان الرجل من قوم فرعون ينام في جانب, فيكثر عليه القُمّل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر. فلم يزالوا كذلك, حتى أوحى الله إلى موسى: أنْ أسْرِ بِعبادِي إنّكُمْ مُتّبَعُونَ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قال: لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بني إسرائيل, فاستكبر, قال: لن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان, وهو الماء, أمطر عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وامتنع منهم كلّ شيء, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا هذا لنؤمننّ لك, ولنرسلنّ معك بني إسرائيل, فدعا الله فكشف عنهم المطر, فأنبت الله لهم حروثهم, وأحيا بذلك المطر كلّ شيء من بلادهم, فقالوا: والله ما نحبّ أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر, ولقد كان خيرا لنا, فلن نرسل معك بني إسرائيل, ولن نؤمن لك يا موسى. فبعث الله عليهم الجراد, فأكل عامّة حروثهم, فأسرع الجراد في فسادها, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد, فإنا مؤمنون لك, ومرسلون معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم الجراد, وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية, فقالوا: قد بقي لنا من حروثنا ما كان كافينا, فما نحن بتاركي ديننا, ولن نؤمن لك, ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم القُمّل, والقمل: الدبى, وهو الجراد الذي ليست له أجنحة, فتتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم وكلّ نبات كان لهم, فكان القمل أشدّ عليهم من الجراد. فلم يستطيعوا للقمل حيلة, وجزعوا من ذلك وأتوا موسى, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل, فإنه لم يُبْق لنا شيئا, قد أكل ما بقي من حروثنا, ولئن كشفت عنا القُمّل لنؤمننّ لك, ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم القُمّل فنكثوا, وقالوا: لن نؤمن لك, ولن نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الضفادع, فامتلأت منها البيوت, فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلاّ وفيه الضفادع, فلقوا منها شيئا لم يلقوه فيما مضى, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك, ولنرسلنّ معك بني إسرائيل قال: فكشف الله عنهم فلم يفعلوا, فأنزل الله: فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرّجْزَ إلى أجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إذَا هُمْ يَنْكُثُونَ... إلى: وكانُوا عَنْها غافِلِينَ.

11738ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تميلة, قال: حدثنا الحسن بن واقد, عن زيد, عن عكرمة, عن ابن عباس قال: كانت الضفادع برّية, فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت, فجعلت تغرق أنفسها في القدور وهي تغلي, وفي التنانير وهي تفور, فأثابها الله بحسن طاعتها بردَ الماء.

11739ـ قال: ثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: فرجع عدوّ الله, يعني فرعون, حين آمنت السحرة مغلوبا مفلولاً, ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتماديَ في الشرّ, فتابع الله عليه بالآيات, وأخذه بالسنين, فأرسل عليه الطّوفان, ثم الجراد, ثم القُمّل, ثم الضفادع, ثم الدم آياتٍ مُفَصّلاتٍ, فأرسل الطوفان, وهو الماء, ففاض على وجه الأرض, ثم ركد, لا يقدرون على أن يحرثوا, ولا يعملوا شيئا, حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك, قالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك,

ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه, فكشفه عنهم, فلم يفو له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الجراد, فأكل الشجر فيما بلغني, حتى إن كان ليؤكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم, فقالوا مثل ما قالوا, فدعا ربه, فكشفه عنهم, فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم القُمّل, فذكر لي أن موسى أمر أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه, فمضى إلى كثيب أهيل عظيم, فضربه بها, فانثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة, ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا, فدعا ربه فكشفه عنهم, فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الضفادع, فملأت البيوت والأطعمة والآنية, فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا إناءً إلاّ وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه. فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا, فدعا ربه فكشفه عنهم, فلم يفوا له بشيء مما قالوا, فأرسل الله عليهم الدم, فصارت مياه آل فرعون دما, لا يستقون من بئر ولا نهر, ولا يغترفون من إناء إلاّ عاد دما عبيطا.

11740ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن محمد بن كعب القرظي, أنه حدّث: أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش, فتقول: اسقيني من مائك فتغرف لها من جرتها, أو تصبّ لها من قربتها, فيعود في الإناء دما, حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مجّيه في فيّ فتأخذ في فيها ماء, فإذا مجّته في فيها صار دما, فمكثوا في ذلك سبعة أيام.

11741ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الجراد يأكل زروعهم ونباتهم, والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم, والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم.

11742ـ قال: ثنا شبل, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد, قال: لما سال النيل دما, فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيبا, ويستقي الفرعوني دما ويشتركان في إناء واحد, فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء طيبا وما يلي الفرعوني دما.

11743ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, قال: ثني سعيد بن جبير: أن موسى لما عالج فرعون بالآيات الأربع: العصا, واليد, ونقص من الثمرات, والسنين, قال: يا ربّ إن عبدك هذا قد علا في الأرض, وعتا في الأرض, وبغى عليّ, وعلا عليك, وعالى بقومه, ربّ خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة, وتجعلها لقومي عظة ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فبعث الله عليهم الطوفان, وهو الماء, وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض, فامتلأت بيوت القبط ماء, حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم, من حبس منهم غرق, ولم يدخل في بيوت بني إسرائيل قطرة, فجعلت القبط تنادي: موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك, لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك, ولنرسلنّ معك بني إسرائيل قال: فواثقوا موسى ميثاقا أخذ عليهم به عهودهم, وكان الماء أخذهم يوم السبت, فأقام عليهم سبعة أيام إلى السبت الآخر, فدعا موسى ربه, فرفع عنهم الماء, فأعشبت

بلادهم من ذلك الماء, فأقاموا شهرا في عافية, ثم جحدوا وقالوا: ما كان هذا الماء إلاّ نعمة علينا وخصبا لبلادنا, ما نحبّ أنه لم يكن قال: وقد قال قائل لابن عباس: إني سألت ابن عمر عن الطّوفان, فقال: ما أدري موتا كان أو ماء. فقال ابن عباس: أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال: فَأَخَذَهُمُ الطوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ أرأيت لو ماتوا إلى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان؟ قال: فقال موسى: يا ربّ إن عبادك قد نقضوا عهدك, وأخلفوا وعدي, ربّ خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة, ولقومي عظة, ولمن بعدهم آية في الأمم الباقية قال: فبعث الله عليهم الجراد فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة إلاّ أكلها, حتى لم يُبق جَنًى. حتى إذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب, حتى أكل الأبواب, وسقوف البيوت وابتلى الجراد بالجوع, فجعل لا يشبع, غير أنه لا يدخل بيوت بني إسرائيل. فعجوا وصاحوا إلى موسى, فقالوا: يا موسى هذه المرّة ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز, لنؤمننّ لك, ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه, فدعا لهم ربه, فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام, من السبت إلى السبت. ثم أقاموا شهرا في عافية, ثم عادوا لتكذيبهم ولإنكارهم, ولأعمالهم أعمال السوء, قال: فقال موسى: يا ربّ عبادك قد نقضوا عهدي وأخلفوا موعدي, فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة, ولقومي عظة, ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فأرسل الله عليهم القُمّل قال أبو بكر: سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان: كان إلى جنبهم كثيب أعفر بقرية من قُرى مصر تدعى عين شمس, فمشى موسى إلى ذلك الكثيب, فضربه بعصاه ضربة صار قملاً تدبّ إليهم, وهي دوابّ سود صغار, فدبّ إليهم القُمّل, فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم, ولزم جلودهم, كأنه الجدريّ عليهم, فصرخوا وصاحوا إلى موسى: إنا نتوب ولا نعود, فادع لنا ربك فدعا ربه فرفع عنهم القُمّل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت, فأقاموا شهرا في عافية, ثم عادوا وقالوا: ما كنا قطّ أحقّ أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم, جعل الرمل دوابّ, وعزّة فرعون لا نصدّقه أبدا ولا نتبعه فعادوا لتكذيبهم وإنكارهم, فدعا موسى عليهم, فقال: يا ربّ إن عبادك نقضوا عهدي, وأخلفوا وعدي, فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة, ولقومي عظة, ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فأرسل الله عليهم الضفادع, فكان أحدهم يضطجع, فتركبه الضفادع, فتكون عليه ركاما, حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى الشقّ الآخر, ويفتح فاه لأكلته, فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه, ولا يعجن عجينا إلاّ تسدّختْ فيه, ولا يطبخ قدرا إلاّ امتلأت ضفادع. فعذّبوا بها أشدّ العذاب, فشكوا إلى موسى عليه السلام, وقالوا: هذه المرّة نتوب ولا نعود. فأخذ عهدهم وميثاقهم, ثم دعا ربه, فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت, فأقاموا شهرا في عافية ثم عادوا لتكذيبهم وإنكارهم, وقالوا: قد تبين لكم سحره, ويجعل التراب دوابّ, ويجيء بالضفادع في غير ماء فآذوا موسى عليه السلام, فقال موسى: يا ربّ إن عبادك نقضوا عهدي, وأخلفوا وعدي, فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة, ولقومي عظة, ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فابتلاهم الله بالدم, فأفسد عليهم معايشهم, فكان

الإسرائيلي والقبطي يأتيان النيل فيستقيان, فيخرج للإسرائيلي ماء, ويخرج للقبطي دما, ويقومان إلى الحُبّ فيه الماء, فيخرج للإسرائيلي في إنائه ماء, وللقبطي دما.

11744ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا ابن سعد, قال: سمعت مجاهدا, في قوله: فأرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطوفانَ قال: الموت والجراد. قال: الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم, والقُمّل هو الدبى, سلطه الله عليهم بعد الجراد. قال: والضفادع تسقط في أطعمتهم التي في بيوتهم وفي أشربتهم.

وقال بعضهم: الدم الذي أرسله الله عليهم كان رُعافا. ذكر من قال ذلك.

11745ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أحمد بن خالد, قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير, قال: حدثنا زهير, قال: قال زيد بن أسلم: أما القُمّل فالقَمْل وأما الدم: فسلط عليهم الرعاف.

وأما قوله: آياتٍ مُفَصّلاتٍ فإن معناه: علامات ودلالات على صحة نبوّة موسى, وحقية ما دعاهم إليه مفصلات, قد فُصِل بينها, فجعل بعضها يتلو بعضا, وبعضها في إثر بعض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11746ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قال: فكانت آيات مفصلات بعضها في إثر بعض, ليكون لله الحجة عليهم, فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم في اليم.

11747ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: آياتٍ مُفَصّلاتٍ قال: يتبع بعضها بعضا ليكون لله الحجة عليهم, فينتقم منهم بعد ذلك. وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت, وترتفع عنه شهرا, قال الله عزّ وجلّ: فانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأغْرَقْناهُمْ فِي اليَمّ... الآية.

11748ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: قال ابن إسحاق: آياتٍ مُفَصّلاتٍ: أي آية بعد آية يتبع بعضها بعضا.

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى المفصّلات, ما:

11749ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في «آيات مفصلات», قال: معلومات.

القول في تأويل قوله تعالى: فاسْتَكْبَرُوا وكانُوا قَوْما مُجْرِمِينَ.

يقول تعالى ذكره: فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج عن الإيمان بالله, وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم, واتباعه على ما دعاهم إليه, وتعظموا على الله وعتوا عليه وكانُوا قَوْما مُجْرِمِينَ يقول: كانوا قوما يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق عتوّا وتمرّدا.

الآية : 134

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرّجْزُ قَالُواْ يَمُوسَىَ ادْعُ لَنَا رَبّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنّا الرّجْزَ لَنُؤْمِنَنّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنّ مَعَكَ بَنِيَ إِسْرَآئِيلَ }..

يقول تعالى ذكره: ولما وقع عليهم الرجز, ولما نزل بهم عذاب الله, وحلّ بهم سخطه.

ثم اختلف أهل التأويل في ذلك الرجز الذي أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم, فقال بعضهم: كان ذلك طاعونا. ذكر من قال ذلك.

11750ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفر بن المغيرة, عن سعيد بن جبير, قال: وأمر موسى قومه من بني إسرائيل, وذلك بعد ما جاء قومَ فرعون بالآيات الخمس الطوفان, وما ذكر الله في هذه الآية, فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل, فقال: ليذبح كلّ رجل منكم كبشا, ثم ليخضب كفه في دمه, ثم ليضرب به على بابه, فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم؟ فقالوا: إن الله يرسل عليكم عذابا فنسلم وتهلكون, فقالت القبط: فما يعرفكم الله إلاّ بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا به نبينا. فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا, فأمسوا وهم لا يتدافنون, فقال فرعون عند ذلك: ادْعُ لَنا رَبّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنّا الرّجزَ وهو الطاعون, لَنُؤْمِنَنّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنّ مَعَكَ بَنِي إسْرَائِيلَ فدعا ربه فكشفه عنهم, فكان أوفاهم كلهم فرعون, فقال لموسى: اذهب ببني إسرائيل حيث شئت

11751ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حبّويه الرازي, وأبو داود الحفري, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبير قال حبويه: عن ابن عباس: لَئِنْ كَشَفْتَ عَنّا الرّجْزَ قال: الطاعون.

وقال آخرون: هو العذاب. ذكر من قال ذلك.

11752ـ حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الرجز العذاب.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

11753ـ حدثني بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرّجْزَ أي العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: وَلمّا وَقَع عَلَيْهِمُ الرّجْزُ يقول: العذاب.

11754ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلمّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرّجْزُ قال: الرجز: العذاب الذي سلّطه الله عليهم من الجراد والقُمّل وغير ذلك, وكلّ ذلك يعاهدونه ثم ينكثون.

وقد بيّنا معنى الرّجز فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده المغنية عن إعادتها.

وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز, وهو العذاب والسخط من الله عليهم, فزعوا إلى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم, لأن كل ذلك كان عذابا عليهم, وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعونا. ولم يخبرنا الله أيّ ذلك كان, ولا صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيّ ذلك كان خبر فنسلم له.

فالصواب أن نقول فيه كما قال جلّ ثناؤه: وَلمّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرّجْزُ ولا نتعدّاه إلاّ بالبيان الذي لا تمانع فيه بين أهل التأويل, وهو لما حلّ بهم عذاب الله وسخطه, قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ يقول: بما أوصاك وأمرك به, وقد بينا معنى العهد فيما مضى لَئِنْ كَشَفْتَ عَنّا الرّجْزَ

يقول: لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه, لَنُؤْمِنَنّ لَكَ يقول: لنصدقنّ بما جئت به ودعوت إليه ولنقرّنّ به لك, ولَنُرْسِلَنّ مَعَكَ بَنِي إسْرَائِيلَ يقول: ولنخلينّ معك بني إسرائيل فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاءوا.

الآية : 135

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَماّ كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرّجْزَ إِلَىَ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ }..

يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه, فأجابه, فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم إلى أجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلاً إلى وقت هلاكهم, إذَا هُمْ يَنْكُثُونَ يقول: إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى, ويقيمون على كفرهم وضلالهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11755ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى: إلى أجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ قال: عدد مسمى لهم من أيامهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

11756ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرّجْزَ إلى أجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إذَا هُمْ يَنْكُثُونَ قال: ما أعطُوا من العهود, وهو حين يقول الله: وَلَقَدْ أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسّنِينَ وهو الجوع, وَنَقْصٍ مِنَ الثّمَرَاتِ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ.

الآية : 136

القول في تأويل قوله تعالى: {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمّ بِأَنّهُمْ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ }..

يقول تعالى ذكره: فلما نكثوا عهودهم, انتقمنا منهم, يقول: انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم في اليمّ, وهو البحر, كما قال ذو الرّمّة:

داوِيّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كأنّهُمايَمّ تَراطَنُ فِي حافاتِهِ الرّومُ

وكما قال الراجز:

(كباذِخِ الْيَمّ سَقاهُ الْيَمّ)

بأنّهُمْ كَذّبُوا بآياتِنا يقول: فعلنا ذلك بهم, بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها. وكانُوا عَنْها غافِلِينَ يقول: وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة. والهاء والألف في قوله: «عَنْها» كناية من ذكر النقمة, فلو قال قائل: هي كناية من ذكر الآيات, ووجه تأويل الكلام إلى: وكانوا عنها معرضين فجعل إعراضهم عنها غفولاً منهم إذ لم يقبلوها, كان مذهبا يقال من الغفلة, غَفَل الرجل عن كذا يَغْفُل عنه غَفْلة وغُفُولاً وغَفْلاً.

الآية : 137

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ الْحُسْنَىَ عَلَىَ بَنِيَ

إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَـانُواْ يَعْرِشُـونَ {..

يقول تعالى ذكره: وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم, فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم, ويستخدمونهم تسخيرا واستعبادا من بني إسرائيل, مشارق الأرض الشأم, وذلك ما يلي الشرق منها, ومغاربها التي باركنا فيها, يقول: التي جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لأهلها. وإنما قال جلّ ثناؤه: وأوْرَثْنا لأنه أورث ذلك بني إسرائيل, بمهلك من كان فيها من العمالقة.

وبمثل الذي قلنا في قوله: مَشارِقَ الأرْضِ وَمَغارِبَها قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11757ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن إسرائيل, عن فُرات القزّاز, عن الحسن, في قوله: وأوْرَثْنا القَوْمَ الّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الأرْضِ ومَغارِبَها التي باركْنا فِيها قال: الشأم.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا إسرائيل, عن فُرات القزاز, قال: سمعت الحسن يقول, فذكر نحوه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن فُرات القزاز, عن الحسن: الأرض التي باركنا فيها, قال: الشأم.

11758ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأوْرَثْنا القَوْمَ الّذِينَ كانُوا يُستَضْعَفُونَ مَشارِقَ الأرْضِ ومَغارِبَها التي باركْنا فِيها هي أرض الشأم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: مَشارِقَ الأرْضِ وَمَغارِبَها التي باركْنا فيها قال: التي بارك فَيها: الشأم.

وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الأرض ومغاربها نصب على المحلّ, يعني: وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها, وأن قوله: وأوْرَثنا إنما وقع على قوله: التي باركْنا فِيها وذلك قول لا معنى له, لأن بني إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه, ولم يكن له سلطان إلاّ بمصر, فغير جائز والأمر كذلك أن يقال: الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها.

فإن قال قائل: فإن معناه: في مشارق أرض مصر ومغاربها فإن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب: مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير.

وأما قوله: وَتمّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ الحُسْنَى فإنه يقول: وفي وعد الله الذي وعد بني إسرائيل بتمامه, على ما وعدهم من تمكينهم في الأرض, ونصره إياهم على عدوّهم فرعونَ. وكلمته الحسنى قوله جلّ ثناؤه: ونُرِيدُ أَنْ نَمُنّ على الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئمّةً وَنجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ونُمَكّنَ لَهُمْ فِي الأرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11759ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَتمّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ

الـحُسْنَى عَلـى بَنِـي إسْرائِيـلَ قـال: ظهـور قـوم موسـى علــى فرعـون. و «تـمكين الله لهم فـي الأرض»: وما ورّثهم منها.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد بنـحوه.
وأما قوله: وَدَمّرْنَا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ فإنه يقول: وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والـمزارع. وما كانُوا يَعْرِشُـونَ يقـول: وما كانوا يبنون من الأبنـية والقصور, وأخرجناهم من ذلك كله, وخرّبنا جميـع ذلك. وقد بـيّنا معنى التعريش فـيـما مضى بشواهده.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك.
11760ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالــح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علــيّ بـن أبــي طلــحة, عـن ابـن عبــاس, قـوله: وَمـا كـانُوا يَعْرِشُونَ يقول: يبنون.
11761ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: يَعْرِشُونَ يبنون البـيوت والــمساكن مـا بلغـت, وكان عنبهم غير معروش.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
واختلفت القرأة فـي قراءة ذلـك, فقرأتـه عامّـة قـرّاء الــحجاز والعـراق يَعْرِشُونَ بكسر الراء, سوى عاصم بن أبـي النـجود, فإنه قرأه بضمها. وهمـا لغتان مشهورتان فـي العرب, يقال: عرَش يعرِش ويعرُش, فـإذا كـان ذلـك كذلك, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب لاتفـاق معنى ذلـك, وأنهمـا معروفــان من كلام العرب, وكذلك تفعل العرب فــي فعَـل إذا ردّتـه إلــى الاستقبــال, تضمّ العين منه أحيانا, وتكسره أحيانا. غير أن أحـبّ القراءتــين إلــيّ كسـر الراء لشهرتها فـي العامّة وكثرة القراءة بها وأنها أصحّ اللغتـين.

الآية : 138

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِيَ إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَـىَ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىَ أَصْنَامٍ لّهُمْ قَالُواْ يَمُوسَىَ اجْعَلْ لّنَآ إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ }..
يقول تعالــى ذكـره: وقطعنـا ببنــي إسرائيــل البحـر بعـد الآيـات التــي أريناهموها والعبر التـي عاينوها علـى يدي نبـيّ الله موسـى, فلــم تزجرهـم تلك الآيات ولـم تعظهم تلك العـبر والبــينات حتــى قـالوا مـع معـاينتهم مـن الـحجج ما يحقّ أن يذكر معهـا البهـائم, إذ مـرّوا علــى قـوم يعكفـون علــى أصنام لهم, يقومون علــى مثـل لهـم يعبـدونها مـن دون اللـه, اجعـل لنـا يـا موسى إلها, يقول: مثالاً نعبده وصنـما نتـخذه إلها, كما لهؤلاء القـوم أصـنام يعبدونها, ولا تنبغي العبـادة لشيء سوى الله الواحـد القهـار. وقـال موسـى صلوات الله علـيه: إنكم أيها القوم قوم تـجهلون عظمـة اللـه وواجـب حقـه علـيكم, ولا تعلـمون أنه لا تـجوز العبـادة لشـيء سـوى اللـه الـذي لـه ملـك السموات والأرض.
وذكر عن ابن جريج فـي ذلك ما:
11762ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج: وَجاوَزْنـا بِبَنِـي إسْرَائِيـلَ البَحْرَ فأتَوْا علـى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ علــى أصْـنامٍ لَهُـمْ قـال ابـن جريج: علـى أصنام لهم, قال: تـماثيـل بقر, فلـما كان عجلُ السامريّ شـبه

لهم أنه من تلك البقر, فذلك كان أوّل شأن العجل قالُوا يا مُوسَى اجْعَـلْ لَنـا إلَها كمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قال إنّكُمْ قَوْمٌ تَـجْهَلُونَ.

وقـيـل: إن القوم الذين كانوا عكوفـا علـى أصنام لهم, الذين ذكرهم اللـه فـي هذه الآية, قوم كانوا من لـخم. ذكر من قال ذلك.

11763ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا بشر بن عمـرو, قـال: حـدثنا العبـاس بن الـمفضل, عن أبـي العوّام, عن قتادة: فَأتَوْا عَلـى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلـى أصْنامٍ لَهُمْ قال: علـى لـخم, وقـيـل إنهم كانوا من الكنعانـيـيـن الـذين أُمر موسى عَلـيه السلام بقتالهم.

11764ـ وقد حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري أن أبـا واقد اللـيثـي, قال: خرجنا مع رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم قِبَل حنـين, فمررنا بِسْدرَة, قلت: يا نبـيّ الله اجعل لنا هـذه ذات أنواط كما للكفـار ذات أنواط وكان الكفــار ينوطـون سـلاحهم بسـدرة يعكفون حولها. فقال النبـيّ صلى الله عليه وسلم: «اللّهُ أكْبَرُ هَذَا كمَا قـالَتْ بَنُو إسْرَائِيـلَ لِـمُوسَى: اجْعَلْ لَنا إلَها كمَـا لَهـمْ آلِهَـةٌ, إنّكُـمْ سَـتَرْكَبُونَ سُـنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ».

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, عن سنان ابن أبــي سـنان, عـن واقـد اللـيثــي, قـال: خرجنـا مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنـين, فمررنا بسدرة, فقلنا: يا نبــيّ الله اجعل لنا هذه ذات أنواط, فذكر نـحوه.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد, عن مــحمد بـن إسحاق, عن الزهري, عن سنان ابن أبـي سنان, عن أبـي واقد اللـيثـي, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, نـحوه.

حدثنا ابن صالـح, قال: ثنـي اللـيث, قال: ثنـي عقـيـل, عن ابن شـهاب, قال: أخبرنـي سنان بن أبـي سنان الديـلـي, عن أبــي واقـد اللـيثــي: أنهـم خرجوا من مكة مع رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم إلــى حنــين, قـال: وكان للكفـار سدرة يعكفون عندها ويعلقـون بهـا أسلـحتهم, يقـال لهـا ذات أنواط قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيـمة, قال: فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط قال: «قُلْتُـمْ وَالّذِي نَفْسِي بِـيَدِهِ ما قالَ قَوْمُ مِوسَى: اجْعَلْ لَنا إلَها كمَا لَهُمْ آلِهَةٌ, قالَ إنّكُمْ قَوْمٌ تَـجْهَلُونَ أنّها السّنَنُ لَتَرْكَبُنّ سُـننَ مَـنْ كـانَ قَبْلَكُمْ».

الآية : 139

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ هَـَؤُلآءِ مُتَبّـرٌ مّـا هُـمْ فِيـهِ وَبَاطِـلٌ مّـا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }..

وهذا خبر مـن اللـه تعالــى ذكـره عـن قـيــل موسـى لقـومه مـن بنــي إسرائيـل, يقول تعالـى ذكره قال لهم موسى: إن هؤلاء العكوف علـى هـذه الأصنام, الله مهلك ما هم فـيه من العمل ومفسده, ومخسرهم فــيه بإثـابته إياهم علـيه العذاب الـمهين, وبـاطل مـا كـانوا يعملـون مـن عبــادتهم إياهـا فمضمـحلّ لأنه غير نافع عند مـجيء أمر اللـه وحلـوله بسـاحتهم, ولا مـدافع عنهم بأس الله إذا نزل بهم, ولا منقذهم من عذابه إذا عذّبهم فــي القــيامة, فهو فـي معنى ما لـم يكن.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك.

11765ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, وحدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قالا جميعا: حدثنا أسباط, عن السديّ: إنّ هَؤُلاءِ مُتَبّرٌ ما هُمْ فِيهِ يقول: مهلك ما هم فيه.

11766ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: إنّ هَؤُلاءِ مُتَبّرٌ ما هُمْ فِيهِ يقول: خسران.

11767ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ هَؤُلاءِ مُتَبّرٌ ما هُمْ فِيهِ وبَاطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ قال: هذا كله واحد, كهيئة «غفور رحيم», «عفوّ غفور». قال: والعرب تقول: إنه البائس المتبر, وإنه البائس المخسر.

الآية : 140

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهاً وَهُوَ فَضّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ }..

يقول تعالى ذكره: قال موسى لقومه: أسوى الله ألتمسكم إلها وأجعل لكم معبودا تعبدونه, والله الذي هو خالقكم, فضّلكم على عالمي دهركم وزمانكم يقول: أفأبغيكم معبودا لا ينفعكم ولا يضرّكم تعبدونه وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق؟ إن هذا منكم لجهل.

الآية : 141

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلآءٌ مّن رّبّكُمْ عَظِيمٌ }..

يقول تعالى ذكره للـيهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم: واذكروا مع قيلكم هذا الذي قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر, وبعد النعم التي سلفت مني إليكم, والأيادي التي تقدمت فعلكم ما فعلتم. إذْ أنْجَيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه. يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه. وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذي كان يسومهم سيئه. يُقَتّلُونَ أبْناءَكُمْ الذكور من أولادهم, وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ يقول: يستبقون إناثهم. وفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبّكُمْ عَظِيمٌ يقول: وفي سومهم إياكم سوء العذاب, اختبار من الله لكم وتعمد عظيم.

الآية : 142

القول في تأويل قوله تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَىَ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمّ مِيقَاتُ رَبّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىَ لأخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ }..

يقول تعالى ذكره: وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وقيل: إنها ثلاثون ليلة من ذي القعدة. وأتممْناها بِعَشْرٍ يقول: وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة أربعين ليلة. وقيل: إن العشر التي أتمها به أربعين, عشر ذي الحجة. ذكر من قال ذلك.

11768ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد: وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأتمَمْناها بِعَشْرٍ قال: ذو القعدة وعشر ذي الحجة.

قال: ثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد: وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأتمَمْناها بِعَشْرٍ قال: ذو القعدة وعشر ذي الحجة, ففي ذلك اختلفوا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً هو ذو القعدة وعشر من ذي الحجة, فذلك قوله: فَتَمّ مِيقاتُ رَبّهِ أرْبَعِينَ لَيْلَةً.

11769ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: زعم حضرميّ أن الثلاثين التي كان واعد موسى ربه كانت ذا القعدة والعشر من ذي الحجة التي تمم الله بها الأربعين.

11770ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً قال: ذو القعدة. وأتمَمْناها بِعَشْرٍ قال: عشر ذي الحجة. قال ابن جريج: قال ابن عباس, مثله.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَوَاعَدْنا مِوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأتْمَمْناها بِعَشْرٍ قال: ذو القعدة, والعشر الأوّل من ذي الحجة.

11771ـ قال: ثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مسروق: وأتمَمْناها بِعَشْرٍ قال: عشر الأضحى.

وأما قوله: فَتَمّ مِيقاتُ رَبّهِ أرْبَعِينَ لَيْلَةً فإنه يعني: فكمل الوقت الذي واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها. كما:

11772ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فَتَمّ مِيقاتُ رَبّهِ قال: فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة.

القول في تأويل قوله تعالى: وَقالَ مُوسَى لأخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي في قَوْمي وأصْلِحْ وَلا تَتّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ.

يقول تعالى ذكره: لما مضى لموعد ربه, قال لأخيه هارون: اخْلُفْنِي فِي قَوْمي يقول: كن خليفتي فيهم إلى أن أرجع, يقال منه: خَلَفه يخلُفُه خلافة. وأصْلِحْ يقول: وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته. كما:

11773ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال موسى لأخيه هارون: اخْلُفْنِي فِي قَومي وأصْلِحْ وكان من إصلاحه أن لا يدع العجل يُعبد.

وقوله: وَلا تَتّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ يقول: ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم, ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم, ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم. فكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ونجى من بني إسرائيل فيما قال أهل العلم, كما:

11774ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني الحجاج, عن ابن جريج, قوله: وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً... الآية, قال: يقول: إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون, وقبل الطور لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرق آل فرعون وخلص إلى الأرض الطيبة, أنزل الله عليهم فيها

المنّ والسلوى وأمره ربه أن يلقاه, فلما أراد لقاء ربه استخلف هارون على قومه, وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة ميعادا من قِبله من غير أمر ربه ولا ميعاده فتوجّه ليلقى ربه, فلما تمت ثلاثون ليلة, قال عدوّ الله السّامريّ: ليس يأتيكم موسى, وما يصلحكم إلاّ إله تعبدونه فناشدهم هارون وقال: لا تفعلوا انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا, فإن جاء وإلاّ فعلتم ما بدا لكم فقالوا: نعم. فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى عاد السامريّ لمثل قوله بالأمس, قال: وأحدث الله الأجل بعد الأجل الذي جعله بينهم عشرا, فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة, فعاد هارون فناشدهم, إلا ما نظروا يومهم ذلك أيضا, فإن جاء وإلاّ فعلتم ما بدا لكم. ثم عاد السامريّ الثالثة لمثل قوله لهم, وعاد هارون فناشدهم أن ينتظروا. فلما لم يروه....

11775ـ قال القاسم: قال الحسن: حدثني حجاج, قال: ثني أبو بكر بن عبد الله الهذليّ, قال: قام السامريّ إلى هارون حين انطلق موسى, فقال: يا نبيّ الله إنا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليّا كثيرا من زينتهم, وإن الذين معك قد أسرعوا في الحليّ يبيعونه وينفقونه, وإنما كان عاريَة من آل فرعون فليسوا بأحياء فنردّها عليهم, ولا ندري لعلّ أخاك نبيّ الله موسى إذا جاء يكون له فيها رأي, إما يقربها قربانا فتأكلها النار, وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء. فقال له هارون: نعم ما رأيت وما قلت فأمر مناديا فنادى: من كان عنده شيء من حليّ آل فرعون فليأتنا به فأتوه به, فقال هارون: يا سامريّ أنت أحقّ م ن كانت عنده هذه الخزانة. فقبضها السامريّ, وكان عدوّ الله الخبيث صائغا, فصاغ منه عجلاً جسدا, ثم قذف في جوفه تربة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام إذ رآه في البحر, فجعل يخور, ولم يخر إلاّ مرّة واحدة, وقال لبني إسرائيل: إنما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا هَذَا إلهُكُم وإلهُ مُوسَى فنَسِيَ يقول: إن موسى عليه السلام نسي ربه.

الآية : 143

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمّا جَآءَ مُوسَىَ لِمِيقَاتِنَا وَكَلّمَهُ رَبّهُ قَالَ رَبّ أَرِنِيَ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرّ مَكَـانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمّا تَجَلّىَ رَبّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرّ موسَىَ صَعِقاً فَلَمّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوّلُ الْمُؤْمِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه, وكلّمه ربه وناجاه, قال موسى لربه: أرِني أنْظُرْ إلَيْكَ قال الله له مجيبا: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ.

وكان سبب مسألة موسى ربه النظر إليه, ما:

11776ـ حدثني به موسى بن ه ارون, قال: حدثنا عمرو, ق ال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: إن موسى عليه السلام لما كلّمه ربه أحبّ أن ينظر إليه, قالَ رَبّ أرِني أنْظُرْ إلَيْكَ قالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فإنِ اسْتَقَرّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي. فحفّ حول الجبل, وحفّ حول الملائكة بنار, وحفّ حول النار بملائكة, وحفّ حول الملائكة بنار, ثم تجلى ربه للجبل.

11777ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, في قوله: وَقَرّبْناهُ نَجِيّا قال: ثني من لقي

أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قرّبه الربّ حتى سمع صريف القلم, فقال عند ذلك من الشوق إليه: رَبّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ.

11778ـ حدثنا القاسم, قال: ثني الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر الهذليّ, قال: لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين, حتى سمع كلام الله اشتاق إلى النظر إليه, فقال: رَبّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرَانِي وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا, من نظر إليّ مات. قال: إلهي سمعت منطقك واشتقت إلى النظر إليك, ولأن أنظر إليك ثم أموت أحبّ إليّ من أن أعيش ولا أراك قال: فانظر إلى الجبل, فإن استقرّ مكانه فسوف تراني.

11779ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قال: أعطني.

11780ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: استخلف موسى هارون على بني إسرائيل, وقال: إني متعجل إلى ربي, فاخلفني في قومي, ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى إلى ربه متعجلاً للقيّه شوقا إليه, وأقام هارون في بني إسرائيل, ومعه السامريّ يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به. فلما كلم الله موسى, طمع في رؤيته, فسأل ربه أن ينظر إليه, فقال الله لموسى: إنّكَ لَنْ تَرَانِي ولكن انْظر إلى الجَبَلِ فإنِ اسْتَقَرّ مَكانَهُ فَسَوفَ تَرانِي... الآية: قال ابن إسحاق: فهذا ما وصل إلينا في كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر إلى ربه. وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة, أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة لم تأتنا في كتاب الله, والله أعلم. قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم الأوّل بأحاديث أهل الكتاب: إنهم يجدون في تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك إلى ربه أنه كان من كلامه إياه حين طمع في رؤيته, وطلب ذلك منه, وردّ عليه ربه منه ما ردّ, أن موسى كان تطهّر وطهّر ثيابه وصام للقاء ربه فلما أتى طور سينا, ودنا الله له في الغمام فكلمه, سبحه وحمده وكبره وقدّسه, مع تضرّع وبكاء حزين, ثم أخذ في مدحته, فقال: ربّ ما أعظمك وأعظم شأنك كله, من عظمتك أنه لم يكن شيء من قبلك, فأنت الواحد القهار, كان عرشك تحت عظمتك نار توقد لك, وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور, فما أعظمك ربّ, وأعظم ملكك, جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة عام, فما أعظمك ربّ وأعظم ملكك في سلطانك, فإذا أردت شيئا تقضيه في جنودك الذين في السماء, أو الذين في الأرض, وجنودك الذين في البحر, بعثت الريح من عندك لا يراها شيء من خلقك إلاّ أنت إن شئت, فدخلت في جوف من شئت من أنبيائك, فبلغوا لما أردت من عبادك, وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئا من عظمتك, ولا من عرشك, ولا يسمع صوتك, فقد أنعمت عليّ, وأعظمت عليّ في الفضل, وأحسنت إليّ كلّ الإحسان, عظمتني في أمم الأرض, وعظمتني عند ملائكتك, وأسمعتني صوتك, وبذلت لي كلامك, وآتيتني حكمتك, فإن أعدّ نعماك لا أحصيها, وإن أردت شكرك لا أستطيعها. دعوتك ربّ على فرعون بالآيات العظام, والعقوبة الشديدة, فضربت بعصاي التي في يدي البحر, فانفلق لي ولمن معي, ودعوتك حين جزت البحر,

فأغرقت عدوّك وعدوّي, وسألتك الماء لي ولأمتي, فضربت بعصاي التي في يدي الحجر, فمنه أرويتني وأمتي, وسألتك لأمتي طعاما لم يأكله أحد كان قبلهم, فأمرتني أن أدعوك من قِبَل المشرق, ومن قِبَل المغرب. فناديتك من شرقي أمتي, فأعطيتهم المنّ من مشرقي لنفسي, وآتيتهم السلوى من غربيهم من قِبَل البحر, واشتكيت الحرّ فناديتك, فظللت عليهم بالغمام, فما أطيق نعماك عليّ أن أعدّها ولا أحصيها, وإن أردت شكرها لا أستطيعها. فجئتك اليوم راغبا طالبا سائلاً متضرّعا, لتعطيني ما منعت غيري, أطلب إليك وأسألك يا ذا العظمة والعزّة والسلطان أن ترينى أنظر إليك, فإني قد أحببت أن أرى وجهك الذي لم يره شيء من خلقك. قال له ربّ العزّة: فلا ترى يا ابن عمران ما تقول؟ تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق, لا يراني أحد فيحيا, أليس في السموات معمري, فإنهن قد ضعفن أن يحملن عظمتي, وليس في الأرض معمري, فإنها قد ضعفت أن تسع بجندي, فلست في مكان واحد فأتجلى لعين تنظر إليّ. قال موسى: يا ربّ أن أراك وأموت, أحبّ إليّ من أن لا أراك ولا أحيا, قال له ربّ العزّة: يا ابن عمران تكلّمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق, لا يراني أحد فيحيا. قال: ربّ تمم عليّ نعماك, وتمم عليّ فضلك, وتمم عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأقبض, ولكن أحبّ أن أراك فيطمئن قلبي. قال له: يا ابن عمران لن يراني أحد فيحيا. قال: موسى ربّ تمم عليّ نعماك وفضلك, وتمم عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأموت على أثر ذلك أحبّ إليّ من الحياة, فقال الرحمن المترحم على خلقه: قد طلبت يا موسى, وأعطيتك سؤلك إن استطعت أن تنظر إليّ, فاذهب فاتخذ لوحين, ثم انظر إلى الحجر الأكبر في رأس الجبل, فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلاّ مجلسك يا ابن عمران, ثم انظر فإني أهبط إليك وجنودي من قليل وكثير. ففعل موسى كما أمره ربه, نحت لوحين ثم صعد بهما إلى الجبل, فجلس على الحجر: فلما استوى عليه, أمر الله جنوده الذين في السماء الدنيا, فقال: ضعي أكنافك حول الجبل, فسمعت ما قال الربّ ففعلت أمره, ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلي الجبل الذي يلي موسى أربعة فراسخ من كل ناحية, ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرّوا بموسى, فاعترضوا عليه, فمروا به طيران النعَر تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد, فقال موسى بن عمران عليه السلام: ربّ إني كنت عن هذا غنيا, ما ترى عيناي شيئا قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفف على ملائكة ربي. ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى, فاعترضوا عليه, فهبطوا أمثال الأسْد, لهم لَجَبٌ بالتسبيح والتقديس, ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع, فاقشعرّت كلّ شعرة في رأسه وجلده, ثم قال: ندمت على مسئلتي إياك, فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت, فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى, فاعترضوا عليه, فأقبلوا أمثال النسور لهم قصْف ورجف ولجب شديد, وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجب الجيش العظيم أو كلهب النار, ففزع موسى, وأيست نفسه, وأساء ظنه, وأيس من الحياة,

فقال له خير الملائكة ورأسهم: مكانك يا ابن عمران, حتى ترى ما لا تصير عليه؟ ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترِضوا على موسى بن عمران. فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مرّوا به قبلهم, ألوانهم كلهب النار, وسائر خلقهم كالثلج الأبيض, أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس, لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مرّوا به قبلهم. فاصطكت ركبتاه, وأرعد قلبه, واشتدّ بكاؤه, فقال خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت, فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترِضوا على موسى, فهبطوا عليه سبعة ألوان, فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه, ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم, وامتلأ جوفه خوفا, واشتدّ حزنه, وكثر بكاؤه, فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب أن يراني موسى بن عمران واعترِضوا عليه. فهبطوا عليه في يد كلّ ملك مثل النخلة الطويلة نارا أشدّ ضوءا من الشمس, ولباسهم كلهب النار, إذا سبحوا وقدّسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم, يقولون بشدة أصواتهم: سبوح قدّوس ربّ العزّة أبدا لا يموت, في رأس كلّ ملك منهم أربعة أوجه. فلما رآهم موسى رفع صوته يسبّح معهم حين سبحوا, وهو يبكي ويقول: ربّ اذكرني, ولا تنس عبدك لا أدري أنقلب مما أنا فيه أم لا؟ إن خرجت أحرقت, وإن مكثت متّ. فقال له كبير الملائكة ورئيسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلىء جوفك, وينخلع قلبك, ويشتدّ بكاؤك فاصبر للذي جلست لتنظر إليه يا ابن عمران وكان جبل موسى جبلاً عظيما, فأمر الله أن يحمل عرشه, ثم قال: مرّوا بي على عبدي ليراني, فقليل من كثير ما رأى فانفرج الجبل من عظمة الربّ, وغشي ضوء عرش الرحمن جبل موسى, ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعا, فارتجّ الجبل فاندكّ, وكلّ شجرة كانت فيه, وخرّ العبد الضعيف موسى بن عمران صعقا على وجهه ليس معه روحه, فأرسل الله الحياة برحمته, فتغشاه برحمته وقلب الحجر الذي كان عليه وجعله كالمعدة, كهيئة القبة لئلا يحترق موسى, فأقامه الروح مثل الأم أقامت جنينها حين يصرع, قال: فقام موسى يسبح الله ويقول: آمنت أنك ربي, وصدّقت أنه لا يراك أحد فيحيا, ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه, فما أعظمك ربّ وأعظم ملائكتك, أنت ربّ الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك, تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك, وتأمر السماء وما فيها فتطيعك, لا تستنكف من ذلك, ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء, ربّ تبت إليك, الحمد لله الذي لا شريك له, ما أعظمك وأجلك ربّ العالمين.

القول في تأويل قوله تعالى: فَلَمّا تَجَلّى رَبّهُ لْلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّا وَخَرّ مِوسَى صَعِقا.

يقول تعالى ذكره: فما اطلع الربّ للجبل جعل الله الجبل دكّا: أي مستويا بالأرض. وخَرّ مُوسَى صَعِقا أي مغشيّا عليه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11781ـ حدثني الحسين بن محمد بن عمرو العنقزي, قال: ثني أبي, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قول

الله: فَلَـمّا تَـجَلّـى رَبّهُ لِلْـجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّا قال: ما تـجلـى منه إلا قدر الـخنصر. جَعَلَهُ دَكّا قال: ترابـا. وَخَرّ مُوسَى صَعِقا قال: مغشيّا علـيه.
11782ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, قال: زعم السديّ, عن عكرمة, عن ابن عباس أنه قـال: تـجلـى منـه مثـل الـخنصر, فجعل الـجبل دكّا, وخرّ موسى صعقا, فلـم يزل صعقا ما شاء الله.
11783ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: وَخَرّ مُوسَى صَعِقا قال: مغشيّا علـيه.
11784ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: فَلَـمّا تَـجَلّـى رَبّهُ لِلْـجَبَلِ جَعَلَـهُ دَكّـا قـال: انقعـر بعضـه علـى بعض. وَخَرّ مُوسَى صَعِقا: أي ميتا.
11785ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج: وَخَرّ مُوسَى صَعِقا: أي ميتا.
11786ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بـن ثـور, عـن معمر, عن قتادة, فـي قوله: دَكّا قال: دكّ بَعْضُه بعضا.
11787ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابـن الـمبـارك, قال: سمعت سفـيان يقول فـي قوله: فَلَـمّا تَـجَلّـى رَبّـهُ لِلْـجَبَلِ جَعَلَـهُ دَكّـا قال: ساخ الـجبل فـي الأرض حتـى وقع فـي البحر, فهو يذهب معه.
11788ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, عن الـحجاج, عن أبـي بكر الهذلـيّ: فَلَـمّا تَـجَلّـى رَبّهُ لِلْـجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّا: انقعر فدخـل تـحت الأرض فلا يظهر إلـى يوم القـيامة.
11789ـ حدثنا أحمد بن سهيـل الواسطي, قال: حدثنا قـرة بـن عيسـى, قال: حدثنا الأعمش, عن رجل, عن أنس عن النبـيّ صلى الله عليـه وسـلم, قـال: «لَـمّا تَـجَلّـى رَبّـهُ لِلْـجَبَلِ أشـارَ بأُصْـبُعَيْهِ فَجَعَلَـهُ دَكّـا». وأرانـا أبـو إسماعيـل بأصبعه السبّـابة.
11790ـ حدثنـي الـمثنى, قال: ثنـي الـحجاج بـن الـمنهال, قـال: حـدثنا حماد, عن ثابت, عن أنس: أن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قـرأ هـذه الآيـة: فَلَـمّا تَـجَلّـى رَبّهُ لِلْـجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّا قال: «هكذا» بأصبعه ووضع النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم الإبهـام علـى الـمفصل الأعلـى مـن الـخنصر, «فسَـاخَ الـجَبَلُ».
11791ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا هدبة بن خالد, قال: حدثنا حماد بـن سلـمة, عن ثابت, عن أنس بن مالك, قال: قرأ رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم: فَلَـمّا تَـجَلّـى رَبّهُ لِلْـجَبَلِ جَعَلَـهُ دَكّـا قـال: وضـع الإبهـام قريبـا مـن طرف خنصره, قال: «فَساخَ الـجَبَلُ» فقال حميد لثابت: تقـول هـذا؟ قـال: فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد, وقال: يقوله رسول الله صلى الله عليـه وسلم ويقوله أنس وأنا أكتـمه
11792ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبـيه, عن الربـيع فَلَـمّا تَـجَلّـى رَبّهُ لِلْـجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّا وَخَـرّ مُوسَـى صَعِقا وذلك أن الـجبل حيـن كشـف الغطـاء ورأى النـور صـار مثـل دك مـن الدكات.
11793ـ حدثنا الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مـجاهد: وَلـمّا جاءَ مُوسَى لِـميقاتِنا وكَلّـمَهُ رَبّهُ قـالَ رَبّ أرِنـي أنْظُـرْ إلَـيْكَ قالَ لَنْ تَرَانِـي وَلَكِنِ انْظُرْ إلـى الـجَبَلِ فـإن اسْـتَقَرّ مَكـانَهُ فـإنه أكـبر منـك

وأشد خلقا. فَلَمّا تَجَلّى رَبّهُ لِلْجَبَلِ فنظر إلى الجبل لا يتمالك, وأقبل الجبل يندّك على أوّله فلما رأى موسى ما يصنع الجبل خرّ صعقا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: دَكّا. فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة: دَكّا مقصورا بالتنوين, بمعنى: دك الله الجبل دكّا أي فَتّتَه, واعتبارا بقول الله: كَلاّ إذَا دُكّتِ الأرْضِ دَكّا دَكّا, وقوله: وحُمِلَتِ الأرْضُ والجِبالُ فَدُكّتا دَكّةً وَاحِدَةً. واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد:

يَدُكّ أرْكانَ الجِبالِ هَزَمُهْتَخْطِرُ بالبِيضِ الرّقاقُ بُهَمُهْ

وقرأته عامّة قرّاء الكوفيين: «جَعَلَهُ دَكّاءَ» بالمدّ وترك الجرّ والتنوين, مثل حمراء وسوداء. وكان ممن يقرؤه كذلك عكرمة, ويقول فيه ما:

11794ـ حدثني به أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا عباد بن عباد, عن يزيد بن حازم, عن عكرمة, قال: دكّاء من الدكّاوات. وقال: لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صخره ترابا.

واختلف أهل العربية في معناه إذا قرىء كذلك. فقال بعض نحويي البصرة: العرب تقول: ناقة دكاء: ليس لها سنام, وقال: الجبل مذكر, فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى: واسأل القَرْيَةِ. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: معنى ذلك: جعل الجبل أرضا دكّاء, ثم حذفت الأرض وأقيمت الدكاء مقامها إذ أدّت عنها.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ: «جعله دكاء» بالمدّ, وترك الجرّ لدلالة الخبر الذي رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته وذلك أنه رُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فَساخَ الجَبَلُ» ولم يقل: فتفتّت, ولا تحوّل ترابا. ولا شكّ أنه إذا ساخ فذهب ظهر وجه الأرض, فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها, وصارت دكاء بلا سنام. وأما إذا دكّ بعضه فإنما يكسر بعضه بعضا ويتفتّت ولا يسوخ. وأما الدكاء فإنها خَلَفٌ من الأرض, فلذلك أنثت على ما قد بينت. فمعنى الكلام إذن: فلما تجلى ربه للجبل ساخ, فجعل مكانه أرضا دكاء.

وقد بيّنا معنى الصعِق بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: فَلَمّا أفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ.

يقول تعالى ذكره: فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته, وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خرّ لها موسى صلى الله عليه وسلم, قال: سُبْحانَكَ تنزيها لك يا ربّ وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش. تُبْتُ إلَيْكَ من مسألتي إياك ما سألتك من الرؤية. وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11795ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن موسى, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, في قوله: تُبْتُ إلَيْكَ وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ قال: كان قبله مؤمنون, ولكن يقول: أنا أوّل من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.

11796ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, قال: لما رأى موسى ذلك وأفاق, عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغي له, فقال: سُبْحانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ قال أبو العالية: عنى أنى أوّل من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة.

11797ـ حدثني عبد الكريم بن الهيثم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: قال سفيان: قال أبو سعد, عن عكرمة عن ابن عباس: وَخَرّ مُوسَى صَعِقا فمرّت به الملائكة وقد صعق, فقالت: يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما. فلما أفاق قال: سبحانك لا إله إلا أنت, تبت إليك, وأنا أوّل المؤمنين قال: أنا أوّل من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك, يعني في الدنيا.

11798ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ يقول: أنا أوّل من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك.

11799ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن رجل, عن مجاهد: سُبْحانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ قال: من مسألتي الرؤية.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد: قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ أن أسألك الرؤية.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو نعيم, عن سفيان, عن عيسى بن ميمون, عن رجل, عن مجاهد: سُبْحانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ أن أسألك الرؤية.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن عيسى بن ميمون, عن مجاهد, في قوله: سُبْحانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ قال: تبت إليك من أن أسألك الرؤية.

وقال آخرون: معناه قوله: وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ بك من بني إسرائيل. ذكر من قال ذلك:

11800ـ حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, عن عكرمة, عن ابن عباس: وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ قال: أوّل من آمن بك من بني إسرائيل.

حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, عن عكرمة, عن ابن عباس: وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ يعني: أوّل المؤمنين من بني إسرائيل.

11801ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ أنا أوّل قومي إيمانا.

حدثنا ابن وكيع والمثنى, قالا: حدثنا أبو نعيم, عن سفيان, عن عيسى بن ميمون, عن رجل, عن مجاهد: وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ يقول: أوّل قومي إيمانا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ قال: أنا أوّل قومي إيمانا.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ قال: أوّل قومي آمن.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله: وأنا أوّلُ المُؤْمِنِينَ على قول من قال: معناه: أنا أوّل المؤمنين من بني إسرائيل لأنه قد كان قبله في

بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء, منهم ولد إسرائيل لصلبه, وكانوا مؤمنين وأنبياء, فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل.

الآية : 144

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ يَمُوسَىَ إِنّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَآ آتَيْتُكَ وَكُنْ مّنَ الشّاكِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: يا مُوسَى إنّي اصْطَفَيْتُكَ على النّاسِ يقول: اخترتك على الناس بِرَسالاتِي إلى خلقي, أرسلتك بها إليهم. وَبِكَلامي كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي. فَخُذْ ما آتَيْتُكَ يقول: فخذ ما أعطيتك من أمري ونهي وتمسك به, واعمل به, يريد وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ لله على ما آتاك من رسالته, وحصل به من النجوى بطاعته في أمره ونهيه والمسارعة إلى رضاه.

الآية : 145

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلّ شَيْءٍ مّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لّكُلّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ }..

يقول تعالى ذكره: وكتبنا لموسى في ألواحه. وأدخلت الألف واللام في «الألواح» بدلاً من الإضافة, كما قال الشاعر:

(والأحْلامُ غيرُ عَوَازِبُ)

وكما قال جلّ ثناؤه فإنّ الجَنّةَ هِيَ المَأْوَى يعني: هي مأواه.

وقوله: مِنْ كُلّ شَيْءٍ يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعزّ سلطانه. مَوْعِظَةً لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب في الألواح. وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ يقول: وتبيينا لكلّ شيء من أمر الله ونهيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11802ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أو سعيد بن جبير وهو في أصل كتابي, عن سعيد بن جبير في قول الله: وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ قال: ما أمروا به ونهوا عنه.

11803ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وكَتَبْنا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ من الحلال والحرام.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ قال: ما أمروا به ونُهوا عنه.

11804ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وكَتَبْنا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ قال عطية: أخبرني ابن عباس أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كربه الموت قال: هذا من أجل آدم, قد كان الله جعلنا في دار مثوى لا نموت, فخطأ آدم أنزلنا ههنا فقال الله لموسى: أبعث إليك آدم فتخاصمه؟ قال: نعم. فلما بعث الله آدم, سأله موسى, فقال أبونا آدم عليهما السلام: يا موسى سألت الله أن يبعثني لك

قال موسى: لولا أنت لم نكن ههنا. قال له آدم: أليس قد أتاك الله من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً؟ أفلست تعلم أنه ما أصَابَ في الأرْضِ من مُصِيَبةٍ ولا في أنْفُسِكُمْ إلا في كِتَابٍ مِنْ قَبْل أنْ نَبْرَأهَا؟ قال موسى: بلى. فخصمه آدم صلى الله عليهما.

11805ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن عبد الصمد بن معقل, أنه سمع وهبا يقول في قوله: وكَتَبْنا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ قال: كتب له لا تشرك بي شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإن كلّ ذلك خلقي, ولا تحلف باسمي كاذبا, فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه, ووقّر والديك.

القول في تأويل قوله تعالى: فَخُذْهَا بِقُوّةٍ.

يقول تعالى ذكره: وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً لكلّ شيء: خذ الألواح بقوّة. وأخرج الخبر عن الألواح والمراد ما فيها.

واختلف أهل التأويل في معنى القوّة في هذا الموضع, فقال بعضهم: معناها بجدّ. ذكر من قال ذلك:

11806ـ حدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا ابن عيينة, قال: قال أبو سعد, عن عكرمة عن ابن عباس: فَخُذْهَا بِقُوّةٍ قال: بجدّ.

11807ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَخُذْهَا بِقُوّةٍ قال: بجدّ واجتهاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: فخذها بالطاعة لله. ذكر من قال ذلك:

11808ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: أخبرنا أبو جعفر, عن الربيع بن أنس, في قوله: فَخُذْهَا بِقُوّةٍ قال: بالطاعة.

وقد بيّنا معنى ذلك بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه في سورة البقرة عند قوله: خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوّةٍ فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: وأمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأحْسَنِها.

يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى: وأمر قومك بني إسرائيل يأخذوا بأحسنها. يقول: يعملوا بأحسن ما يجدون فيها كما:

11809ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وأمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأحْسَنِها بأحسن ما يجدون فيها.

11810ـ حدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس: وأمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأحْسَنِها قال: أمر موسى أن يأخذها بأشدّ مما أمر به قومه.

فإن قال قائل: وما معنى قوله: وأمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأحْسَنِها أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن؟ قيل: لا ولكن كان فيها أمر ونهي, فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ويتركوا ما نهاهم عنه, فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمَنْهيّ عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ.

يقول تعالى ذكره لموسى إذ كتب في الألواح من كلّ شيء: خذها بجدّ في العمل بما فيها واجتهاد, وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها, وانههم

عن تضيعها وتضيع العمل بما فيها والشرك بي, فإن من أشرك بي منهم ومن غيرهم, فإني سأريه في الآخرة عند مصيره إليّ دار الفاسقين, وهي نار الله التي أعدّها لأعدائه. وإنما قال: سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غدا إلام يصير إليه حال من خالف أمري على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم بنحو ما قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

11811ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ قال: مصيرهم في الآخرة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.

11812ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا مسلم, قال: حدثنا مبارك, عن الحسن, في قوله: سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ قال: جهنم.

وقال آخرون: معنى ذلك: سأدخلكم أرض الشأم, فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة. ذكر من قال ذلك:

11813ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ: منازلهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: دَارَ الفاسِقِينَ قال: منازلهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: سأريكم دار قوم فرعون, وهي مصر. ذكر من قال ذلك:.....

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك, لأن الذي قبل قوله جلّ ثناؤه: سأُرِيكُمْ دَارَ الفاسِقِينَ أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة, فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرّط في العمل لله وحاد عن سبيله, دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر.

الآية : 146

القول في تأويل قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الّذِينَ يَتَكَبّرُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَإِن يَرَوْاْ كُلّ آيَةٍ لاّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرّشْدِ لاَ يَتّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيّ يَتّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنّهُمْ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ }..

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: سأنزع عنهم فهم الكتاب. ذكر من قال ذلك:

11814ـ حدثنا أحمد بن منصور المروزي, قال: ثني محمد بن عبد الله بن بكر, قال: سمعت ابن عيينة يقول في قول الله: سأصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الّذِينَ يَتَكَبّرُونَ فِي الأرْضِ بغيرِ الحَقّ قال: يقول: أنزع عنهم فهم القرآن, وأصرفهم عن أياتي.

وتأويل ابن عيينة هذا يدلّ على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى, لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون موسى عليه السلام.

وقال آخرون فـي ذلك: معناه: سأصرفهم عن الاعتبـار بـالـحجج. ذكر من قال ذلك:

11815ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج: سأصْـرِفُ عَـنْ أياتِــيَ عـن خــلق السـموات والأرض والآيـات فــيها, سأصرفهم عن أن يتفكروا فـيها ويعتبروا.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته, وهي أدلته وأعلامه علـى حقـية ما أمر به عبــاده وفـرض علــيهم مـن طاعته فـي توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه, والسموات والأرض, وكـلّ موجود من خـلقه فمن آياته, والقرآن أيضا من آيـاته. وقـد عـمّ بـالــخبر أنـه يصرف عـن آيـاته الــمتكبرين فــي الأرض بغيـر الــحقّ, وهـم الـذين حقّـت علـيهم كلــمة اللـه أنهـم لا يؤْمنـون, فهـم عـن فهـم جميـع آيـاته والاعتبــار والأدّكار بها مصروفون لأنهم لو وفقوا لفهـم بعـض ذلـك فهـدوا للاعتبــار بـه اتعظوا وأنابوا إلـى الـحقّ, وذلك غير كائن منهم, لأنـه جـلّ ثنـاؤه قـال: وَإنْ يَرَوْا كُلّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها فلا تبديـل لكلـمات الله.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: وَإنْ يَرَوْا كُـلّ آيَـةٍ لا يُؤمِنُـوا بِهـا وَإنْ يَـرَوْا سَبِـيـلَ الرّشْدِ لا يَتّـخِذُوهُ سَبِـيلاً وَإنْ يَرَوْا سَبِـيـلَ الغَـيّ يَتّـخِذُوهُ سَبِـيلاً ذلـكَ بأنّهُمْ كَذّبُوا بآياتِنا وكانُوا عَنْها غَافِلِـينَ.

يقول تعالـى ذكره: وإن ير هؤلاء يتكبرون فـي الأرض بغير الـحقّ. وتكبرهم فـيها بغير الـحقّ: تـجبرهم فـيها, واستكبـارهم عن الإيــمان بــالله ورسـوله والإذعان لأمره ونهيه, وهم لله عبــيد يغـذوهم بنعمتـه ويريـح علــيهم رزقـه بكرة وعشيا. كلّ آيَةٍ يقول: كلّ حجـة للـه علــى وحدانــيته وربوبــيته, وكـلّ دلالة علـى أنه لا تنبغي العبـادة إلا له خالصة دون غيره. لا يُؤْمِنُوا بِهـا يقـول: لا يصدّقوا بتلك الآية أنها دالة علـى ما هي فـيه حجة, ولكنهـم يقولـون: هـي سحر وكذب. وَإنْ يَرَوْا سَبِـيـلَ الرّشْدِ لا يَتّـخِذُوهُ سَبِـيلاً يقول: وإن ير هـؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نـجوا من الهلكة والعطب وصاروا إلـى نعيـم الأبـد لا يسـلكوه ولا يتــخذوه لأنفسـهم طريقـا, جهلاً منهم وحيرة. وإنْ يَـرَوْا سَبِـيــلَ الغَـيّ يقـول: وإن يـروا طريـق الهلاك الذي إن سلكوه ضلوا وهلكوا. وقد بـيّنا معنى الغيّ فـيــما مضـى قبـل بِــما أغنى عن إعادته. يَتّـخِذُوهُ سَبِـيلاً يقول: يسلكوه ويجعلـوه لأنفسـهم طريقـا لصـرف اللـه إيـاهم عـن آيـاته وطبعـه علــى قلـوبهم, فهـم لا يفلــحون ولا ينـجحون. ذلكَ بأنّهُمْ كَذّبُوا بآياتِنا وكـانُوا عَنْهـا غَافِلِـينَ يقـول تعالــى ذكـره: صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوهـا ويفهموهـا, فــيعتبروا بهـا ويـذكروا فـينــيبوا عقوبة منا لهم علـى تكذيبهم بآياتنا, وكَانُوا عَنْها غَافِلِـينَ يقـول: وكـانوا عـن آياتنا وأدلتنا الشاهدة علـى حقـية ما أمرنـاهم بـه ونهينـاهم عنـه, غافلــين لا يتفكّرون فـيها, لاهين عنها لا يعتـبرون بهـا, فحـقّ علــيهم حينئـذ قـول ربنـا, فعطبوا.

واختلف القرّاء فـي قراءة قوله: الرّشْد فقـرأ ذلـك عامـة قـرّاء الــمدينة وبعض الـمكيـين وبعض البصريـين: الرّشْد بضم الراء وتسكين الشين. وقـرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة وبعض الـمكيـين: «الرّشَد» بفتـح الراء والشين.

ثم اختلف أهـل الــمعرفة بكلام العـرب فــي معنـى ذلـك إذا ضـمت راؤه وسكنت شينه, وفـيه إذا فتـحتا جميعا. فذُكر عـن أبــي عمـرو بـن العلاء أنـه كان يقول: معناه إذا ضمت راؤه وسكنت شينه: الصلاح, كما قال الله: فــإنْ

آنَسْتُـمْ مِنْهُمْ رُشْدا بـمعنى: صلاحا وكذلك كان يقرؤه هو ومعنـاه إذا فتـحت راؤه وشينه: الرّشَد فـي الدين, كما قال جلّ ثنـاؤه: تُعَلّـمَنِـي مِـمّا عَلّـمْتَ رَشَدا بـمعنى الاستقامة والصواب فـي الـدين. وكـان الكسـائي يقـول: همـا لغتـان بـمعنى واحـد, مثـل: السّـقم والسّـقَم, والـحُزْن والـحَزَن, وكـذلك الرّشْد والرّشَد.

والصواب من القول فـي ذلك عندي أن يقال: إنهمـا قراءتـان مستفـيضة القراءة بهما فـي قـراءة الأمصـار متفقتـا الـمعنى, فبأيتهمـا قـرأ القـارىء فمصيب الصواب بها.

الآية : 147

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَـآءِ الأُخِـرَةِ حَبِطَـتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: هؤلاء الـمستكبرون فـي الأرض بغيـر الـحقّ, وكـلّ مكذّب حجج الله ورسله وآياته, وجاحد أنه يوم القـيامة مبعوث بعـد مـماته, ومنكر لقاء الله فـي آخرته, ذهبت أعمالهم فبطلت, وحصـلت لهـم أوزارهـا فثبتت, لأنهم عملـوا لغيـر اللـه وأتعبـوا أنفسـهم فـي غيـر مـا يرضـى اللـه, فصارت أعمالهم علـيهم وبـالاً, يقول الله جلّ ثناؤه: هَلْ يُجْزَوْنَ إلاّ مـا كـانُوا يَعْمَلُونَ يقول: هل ينالون إلا ثواب ما كـانوا يعملـون, فصـار ثـواب أعمـالهم الـخلـود فـي نار أحاط بهم سرادقها, إذ كانت أعمالهم فـي طاعة الشـيطان دون طاعة الرحمن نعوذ بـالله من غضبه. وقد بـيّنا معنى الـحبوط والـجزاء والآخرة فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته.

الآية : 148

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاتّخَذَ قَوْمُ مُوسَىَ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيّهِـمْ عِجْلاً جَسَداً لّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنّهُ لاَ يُكَلّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ }..

يقول تعالـى ذكره: واتـخذ بنو إسرائيـل قوم موسى من بعد ما فـارقهم موسى ماضيا إلـى ربه لـمناجاته ووفـاء للوعـد الـذي كـان ربـه وعـده مـن حلـيهم عجلاً, وهو ولد البقرة, فعبدوه. ثم بـين تعالـى ذكره مـا ذلـك العجـل فقال: جَسَدا لَهُ خُوَارٌ والـخوار: صوت البقر. يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم ضلوا بـما لا يضلّ بـمثله أهـل العقـل, وذلـك أن الـربّ جـلّ جلالـه الـذي لـه ملـك السموات والأرض ومدبّر ذلك, لا يجـوز أن يكـون جسـدا لـه خـوار, لا يكلـم أحدا ولا يرشد إلـى خير. وقال هؤلاء الذين قصّ الله قصصهم لذلك هذا إلهنا وإله موسى, فعكفوا علـيه يعبدونه جهلاً منهم وذهابـا عن الله وضـلالاً. وقـد بـيّنا سبب عبـادتهم إياه وكيف كان اتـخاذ من اتـخذ منهم العجل فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته.

وفـي الـحُلـيّ لغتان: ضمّ الـحاء وهو الأصل, وكسرها, وكذلك ذلـك فـي كلّ ما شاكله من مثل صلـيّ وجثـيّ وعتـيّ. وبأيتهما قـرأ القـارىء فمصـيب الصواب, لاستفـاضة القراءة بهما فـي القرأة, لا تفـارق بـين معنـيـيهما.

وقوله: أَلَـمْ يَرَوْا أنّهُ لا يُكَلّـمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِـيلاً يقـول: ألـم يـر الـذين عكفوا علـى العجل الذي اتـخذوه من حلـيهم يعبـدونه أن العجـل لا يُكَلّـمُهُمْ ولا يَهْدِيهِمْ سَبِـيلاً يقول: ولا يرشدهم إلـى طريـق. ولـيس ذلـك مـن صـفة ربهم الذي له العبـادة حقا, بل صفته أنه يكلـم أنبـياءه ورسله, ويرشد خـلقه إلـى سبـيـل الـخير وينهاهم عن سبـيـل الـمهالك والـردى. يقـول اللـه جـلّ

ثناؤه: اتّخَذُوهُ: أي اتخذوا العجل إلها. وكانُوا باتخاذهم إياه ربا معبودا ظالِمِينَ لأنفسهم, لعبادتهم غير من له العبادة, وإضافتهم الألوهة إلى غير الذي له الألوهة. وقد بيّنا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

الآية : 149

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمّا سُقِطَ فَيَ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنّهُمْ قَدْ ضَلّواْ قَالُواْ لَئِن لّمْ يَرْحَمْنَا رَبّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: ولَمّا سُقِطَ فِي أيْدِيهِمْ: ولما ندم الذين عبدوا العجل الذي وصف جلّ ثناؤه صفته عند رجوع موسى إليهم, واستسلموا لموسى وحكمه فيهم. وكذلك تقول العرب لكلّ نادم على أمر فات منه أو سلف وعاجز عن شيء: «قد سقط في يديه» و«أسقط» لغتان فصيحتان, وأصله من الاستئسار, وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه, فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره فيكتفه, فالمرميّ به مسقوط في يدي الساقط به, فقيل لكلّ عاجز عن شيء ومصارع لعجزه متندم على ما فاته: سقط في يديه وأسقط. وعنى بقوله: وَرَأَوْا أنّهُمْ قَدْ ضَلّوا ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل وذهبوا عن دين الله, وكفروا بربهم, قالوا تائبين إلى الله منيبين إليه من كفرهم به: لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبّنا وَيَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنّ مِنَ الخاسِرِينَ.

ثم اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض قرّاء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة: لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبّنا بالرفع على وجه الخبر. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: «لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنا رَبّنا» بالنصب بتأويل لئن لم ترحمنا يا ربنا, على وجه الخطاب منهم لربهم. واعتلّ قارئو ذلك كذلك بأنه في إحدى القراءتين: «قالوا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنا رَبّنا وَتَغْفِرْ لَنا», وذلك دليل على الخطاب.

والذي هو أولى بالصواب من القراءة في ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء في «يرحمنا» وبالرفع في قوله «ربّنا», لأنه لم يتقدّم ذلك ما يوجب أن يكون موجها إلى الخطاب. والقراءة التي حكيت على ما ذكرنا من قراءتها: «قالوا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنا رَبّنا» لا نعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه. ومعنى قوله: لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبّنا وَيَغْفِرْ لَنا: لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته, ويتغمد بها ذنوبنا, لنكوننّ من الهالكين الذين حبطت أعمالهم.

الآية : 150

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمّا رَجَعَ مُوسَىَ إِلَىَ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمّ إِنّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَآءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ }..

يقول تعالى ذكره: ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل, رجع غضبان أسفا, لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومُه, وأن السامريّ قد أضلهم, فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك. والأسف: شدّة الغضب والتغيظ به على من أغضبه. كما:

11816ـ حدثني عمران بن بكار الكُلاعي, قال: حدثنا عبد السلام بن محمد الحضرمي, قال: ثني شريح بن يزيد, قال: سمعت نصر بن علقمة, يقول: قال أبو الدرداء: قول الله: غَضْبانَ أسِفا, قال: الأسف: منزلة وراء

الغضب أشدّ من ذلك, وتفسير ذلك في كتاب الله: ذهب إلى قومه غضبان, وذهب أسفا.

وقال آخرون في ذلك ما:

11817ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أسِفا قال: حزينا.

11818ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَلـمّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفا يقول: أسفا حزينا. وقال في الزخرف فلـمّا آسفُونَا يقول: أغضبونا. والأسف على وجهين: الغضب والحزن.

11819ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا سليمان بن سليمان, قال: حدثنا مالك بن دينار, قال: سمعت الحسن يقول في قوله: وَلـمّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفا قال: غضبان حزينا.

وقوله قال: بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي يقول: بئس الفعل فعلتم بعد فراقي إياكم وأوليتموني فيمن خلفت من ورائي من قومي فيكم ودِيني الذي أمركم به ربكم. يقال منه: خلفه بخير وخلفه بشرّ إذا أولاه في أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم خيرا أو شرّا. وقوله: أعَجِلْتُمْ أمْرَ رَبّكُمْ يقول: أسبقتم أمر ربكم في نفوسكم, وذهبتم عنه؟ يقال منه: عجل فلان هذا الأمر: إذا سبقه, وعجل فلانٌ فلانا إذا سبقه, ولا تعجَلني يا فلان: لا تذهب عني وتدعني, وأعجلته: استحثثته.

القول في تأويل قوله تعالى: وألْقَى الألْوَاحَ وأخَذَ بِرأسِ أخِيهِ يَجُرّهُ إلَيْهِ قالَ ابْنَ أُمّ إنّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكادُوا يَقْتُلُونَنِي.

يقول تعالى ذكره: وألقى موسى الألواح. ثم اختلف أهل العلم في سبب إلقائه إياه, فقال بعضهم: ألقاها غضبا على قومه الذي عبدوا العجل. ذكر من قال ذلك:

11820ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: أخبرنا يزيد, قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد, عن القاسم بن أبي أيوب قال: ثني سعيد بن جبير, قال: قال ابن عباس: وَلـمّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفا فأخذ برأس أخيه يجرّه إليه, وألقى الألواح من الغضب.

11821ـ وحدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا ابن عيينة, قال: قال أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لما رجع موسى إلى قومه, وكان قريبا منهم, سمع أصواتهم فقال: إني لأسمع أصوات قوم لاهين. فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ألقى الألواح فكسرها, وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه.

11822ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: أخذ موسى الألواح ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا, فقال: يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبّكُمْ وَعْدا حَسَنا. إلى قوله: فكذَلكَ ألْقَى السّامِرِيّ ف ألْقَى مُوسَى الألْوَاحَ وأخَذَ برأسِ أخِيهِ يَجُرّهُ إلَيْهِ قال يا ابْنَ أُمّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرأسِي.

11823ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل, ألقى الألواح من يده, ثم أخذ برأس أخيه ولحيته يقول: ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلّوا ألاّ تَتّبِعَنِ أفَعَصَيْتَ أمْرِي؟.

وقال آخرون: إنما ألقى موسى الألواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه, فاشتدّ ذلك عليه. ذكر من قال ذلك:

11824ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيدُ, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَخَذَ الأَلْوَاحَ قال: رَبّ إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس, يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر, فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون: أي آخرون في الخلق, سابقون في دخول الجنة, ربّ اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها, وكان مَن قبلَهم يقرءون كتابهم نظرا حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم قال: ربّ اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأوّل وبالكتاب الآخِر, ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب, فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ثم يؤجرون عليها, وكان مَن قبلهم من الأمم إذا تصدّق بصدقة فقبلت منه, بعث الله عليهم نارا فأكلتها, وإن ردّت عليه تركت تأكلها الطير والسباع, قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم, قال: ربّ اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة, فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة, ربّ اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها, فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة, فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: ربّ إني أجد في الألواح أمة هم المشفّعون والمشفوع لهم, فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهمّ اجعلني من أمة أحمد قال: فأعطي نبيّ الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبيّ, قال الله: يا مُوسَى إنّي اصْطَفَيْتُكَ عَلى النّاسِ بِرِسالاتي وبِكَلامي قال: فرضي نبي الله. ثم أعط ي الثانية: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمّةٌ يَهْدُونَ بالحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قال: فرضي نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كلّ الرضا.

حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: لما أخذ موسى الألواح, قال: يا ربّ إني أجد فـي الألواح أمة هم خير الأمم, يأمرون بالمعروف, وينهون عن المنكر, فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة, فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد, ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ, إلا أنه قال في حديثه: فألقى موسى عليه السلام الألواح وقال: اللهمّ اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجلَ لأن الله جلّ ثناؤه بذلك أخبر في كتابه, فقال: وَلَمّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفا بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أعَجِلْتُمْ أمْرَ رَبّكُمْ وألْقَى الألْوَاحَ وأخَذَ بِرأسِ

أخِيهِ يَجُرّهُ إلَـيْهِ وذلك أن الله لـما كتب لـموسى علـيه السـلام فــي الألـواح التوراة, أدناه منه حتـى سمع صريف القلـم. ذكر من قال ذلك:

11825ـ حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيــل, عن السديّ, عن أبـي عمارة, عن علـيّ علـيه السلام قال: كتب الله الألـواح لـموسى علـيه السلام وهو يسمع صريف الأقلام فـي الألواح.

11826ـ قال: ثنا إسرائيـل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بـن جبــير, قال: أدناه حتـى سمع صريف الأقلام.

وقـيـل: إن التوراة كانت سبعة أسبـاع فلـما ألقـى موسى الألواح تكسرت, فرفع منها ستة أسباعها, وكان فـيـما رفع تفصيـل كلّ شيء الذي قال الله: وكَتَبْنا لَهُ فِـي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ وبقـي الهدى والرحمة فـي السبع البـاقـي, وهو الذي قال الله: أخذَ الأَلْواحَ وفـي نُسـخِتها هُدًى وَرَحْمَةٌ للّذِينَ هُمْ لِرَبّهِمْ يَرْهَبونَ. وكانت التوراة فـيـما ذكر سبعين وِقـر بعير يقرأ منها الـجزء فـي سنة كما:

11827ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن خالـد الــمكفوف, قـال: حدثنا عبد الرحمـن, عـن أبــي جعفـر, عـن الربــيع بـن أنـس, قـال: أنزلـت التوراة وهي سبعون وقر بعير, يقرأ منهـا الــجزء فـي سـنة, لــم يقرأهـا إلا أربعة نفر: موسى بن عمران, وعيسى, وعُزير, ويوشع بن نون صلوات اللـه علـيهم.

واختلفوا فـي الألواح, فقال بعضهم: كانت من زمرّد أخضر. وقال بعضهم: كانت من ياقوت. وقال بعضهم: كانت من برَد. ذكر الروايـة بــما ذكرنـا مـن ذلك:

11828ـ حدثنـي أحمـد بـن إبراهيــم الدورقــي, قـال: حـدثنا حجـاج بـن مـحمد, عن ابن جريج, قال: أخبرنـي يعلـى بن مسلـم, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قال: ألقـى موسى الألواح فتكسرت, فرفعـت إلا سدسـها. قال: ابن جريج: وأخبرنـي أن الألواح من زبرجد وزمرّد من الـجنة.

11829ـ وحدثنـي موسى بن سهل الرملـي وعلـيّ بن داود وعبد الله بـن أحمد بن شبويه وأحمد بن الـحسن الترمذي, قالوا: أخبرنا آدم العسقلانــي, قال: حدثنا أبو جعفـر, عـن الربــيع, عـن أبــي العالـية, قـال: كـانت ألـواح موسى علـيه السلام من بَرَد.

11830ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبـي الـجنـيد, عن جعفـر بن أبـي الـمغيرة, قال: سألت سـعيد بـن جبــير عـن الألـواح مـن أيّ شـيء كانت؟ قال: كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمن بـيده, فسـمع أهـل السموات صريف القلـم وهو يكتبها.

11831ـ حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا عبـد الرحمـن, عن مـحمد بن أبـي الوضاح, عن خصِـيف, عـن مــجاهد أو سـعيد بـن جبــير قال: كانت الألواح زمرّدا, فلـما ألقـى موسى الألواح بقـي الهدى والرحمــة, وذهب التفصيـل.

11832ـ قـال: حـدثنا القاسـم, قـال: حـدثنا الأشـجعي, عـن مــحمد بـن مسلـم, عن خَصيف, عن مـجاهد, قال: كانت الألواح من زمرّد أخضر.

وزعم بعضهم أن الألواح كانت لوحين, فإن كان الذي قال كما قـال, فـإنه قـيـل: وكَتَبْنا لَهُ فِـي الأَلْوَاحِ وهما لوحان, كما قـيـل: فإنْ كانَ لَهُ إخْوَةٌ وهمـا أخوان.

وأما قوله: وأخَذَ بِرأسِ أخِيهِ يَجُرّهُ إلَيْهِ فإن ذلك من فعل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان لموجدته على أخيه هارون في تركه اتباعه وإقامته مع بني إسرائيل في الموضع الذي تركهم فيه, كما قال جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له: ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلّوا ألاّ تَتّبِعَنِي أفَعَصَيْتَ أمْرِي؟ حين أخبره هارون بعذره, فقبل عذره, وذلك قيله لموسى: لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرأسِي إنّي خَشِيتُ أنْ تَقُولَ فَرّقْتَ بينَ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلي وقال: يا ابْنَ أُمّ إنّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكادُوا يَقْتُلُونِني فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء... الآية.

واختلفت القرّاء في قراء ة قوله «يا ابْنَ أُمّ» فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة وبعض أهل البصرة: «يا ابْنَ أمّ» بفتح الميم من الأمّ. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: «يا ابْنَ أُمّ» بكسر الميم من الأم.

واختلف أهل العربية في فتح ذلك وكسره, مع إجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان في العرب. فقال بعض نحويي البصرة: قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلا اسما واحدا, كما قيل: يا ابن عمّ, وقال: هذا شاذّ لا يقاس عليه, وقال: من قرأ ذلك: «يا ابن أمّ», فهو على لغة الذين يقولون: هذا غلام قد جاء, جعله اسما واحدا آخره مكسور, مثل قوله خازِ بازِ. وقال بعض نحويي الكوفة: قيل: يا ابن أمّ ويا ابن عمّ, فنصب كما ينصب المعرب في بعض الحالات, فيقال: يا حسرتا, يا ويلتا, قال: فكأنهم قالوا: يا أماه ويا عماه ولم يقولوا ذلك في أخ, ولو قيل ذلك لكان صوابا. قال: والذين خفضوا ذلك فإنه كثر في كلامهم حتى حذفوا الياء. قال: ولا تكاد العرب تحذف الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادِي إلى نفسه, إلا قولهم: يا ابن أمّ, ويا ابن عمّ وذلك أنهما يكثر استعمالهما في كلامهم, فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء, فقالوا: يا ابن أبي, ويا ابن أختي وأخي, ويا ابن خالتي, ويا ابن خالي.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إذا فُتحت الميم من «ابن أمّ», فمراد به الندبة: يا ابن أماه, وكذلك من ابن عمّ فإذا كُسرت, فمراد به الإضافة, ثم حذفت الياء التي هي كناية اسم المخبر عن نفسه. وكأن بعض من أنكر نسبته كسر ذلك إذا كسر, ككسر الزاي من خازِ بازِ, لأن خازِ بازِ لا يعرف الثاني إلا بالأوّل ولا الأوّل إلا بالثاني, فصار كالأصوات. وحُكي عن يونس النحوي تأنيث أمّ وتأنيث عمّ, وقال: لا يجعل اسما واحدا إلا مع ابن المذكر. قالوا: وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة من قال: «يا ابن أمي» بإثبات الياء, كما قال أبو زَبيد:

يا بْنَ أُمّي ويا شُقَيّقَ نَفْسِيأنْتَ خَلّفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدِ

وكما قال الآخر:

يا بْنَ أُمّي وَلَوْ شَهِدْتُكَ إذْ تَدْعُو تَمِيما وأنْتَ غيرُ مُجَابِ

وإنما أثبت هؤلاء الياء في الأم لأنها غير مناداة, وإنما المنادي هو الابن دونها, وإنما تسقط العرب الياء من المنادى إذا أضافته إلى نفسها, لا إذا أضافته إلى غير نفسها, كما قد بينا. وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام: «يا ابن أمّ», ولم يقل: «يا ابن أبي», وهما لأب واحد وأم واحدة, استعطافا له على نفسه برحِم الأم. وقوله: إنّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكادُوا يَقْتُلُونَنِي يعني بالقوم الذين عكفوا على عبادة العجل, وقالوا هذا

إلهنا وإله موسى, وخالفوا هارون. وكـان استضـعافهم إيـاه, تركهـم طـاعته واتبـاع أمره. وكَادُوا يَقْتُلُونَنـي يقول: قاربوا ولـم يفعلوا.

واختلفت القراء فـي قراءة قوله: فَلا تُشْمِتْ فقرأ قرّاء الأمصار ذلك: فَلاَ تُشْمِتْ بِـيَ الأعْدَاءَ بضمّ التاء من تُشمت وكسر الـميـم منهـا, مـن قـولهم: أشمت فلان فلانا بفلان, إذا سرّه فـيه بـما يكرهه الـمُشمَت بـه. ورُوي عـن مـجاهد أنه قرأ ذلك: «فلا تَشْمُتْ بِـيَ الأعْدَاءُ».

11833ـ حدثنـي بذلك عبد الكريـم, قال: حدثنا إبراهيـم بن بشـار, قـال: حدثنا سفـيان, قال: قال حميـد بـن قـيس قـرأ مـجاهد: «فَلا تَشْـمُتْ بِـيَ الأعْدَاءَ».

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبـير, عن ابن عيـينة, عن حميد, قال: قرأ مـجاهد: «فَلا تَشْمُتْ بِـيَ الأعْدَاءُ».

حُدثت عن يحيى بن زياد الفرّاء, قال: حدثنا سفـيان بن عيـينة, عن رجل, عن مـجاهد أنه قال: لا تَشْمُتْ.

وقال الفرّاء: قـال الكسـائي: مـا أدري, فلعلهـم أرادوا: فَلاَ تُشْـمِتْ بِـيَ الأعْدَاءَ فإن تكن صحيحة فلها نظائر. العرب تقـول: فَرِغْـتُ وَفَرَغْـتُ, فمـن قال: فَرِغْتُ قال: أنا أفْرَغُ, ومن قال: فَرَغْتَ قال: أنا أَفْـرُغُ, وكـذلك رَكِبْـت وَرَكَنْتُ وشَمِلَهم أمر وشَمَلَهم, فـي كثـير من الكلام. قال: «والأعداء» رَفْـع لأن الفعل لهم لـمن قال تَشْمَتُ أو تَشْمُت.

والقراءة التـي لا أستـجيز القراءة إلا بها قراءة من قرأ: فَلا تُشْـمِتْ بضـم التاء الأولـى وكسر الـميـم من أشمتّ به عدوّه أشْـمِته بـه, ونصـب الأعـداء لإجماع الـحجة مـن قـراء الأمصـار علـيها وشـذوذ مـا خالفهـا مـن القـراءة, وكفـى بذلك شاهدا علـى ما خالفها. هذا مع إنكار معرفة عامـة أهـل العلـم بكلام العرب: شمّتَ فلان فلانا بفلان, وشمَت فلان بفلان يشمُت بـه, وإنـما الـمعروف من كلامهم إذا أخبروا عن شماتة الرجل بعـدوّه شَـمِتَ بـه بكسـر الـميـم يَشْمَتُ به بفتـحها فـي الاستقبـال.

وأما قوله: وَلا تَـجْعَلْنِـي مَـعَ القَـوْمِ الظّالِـمِينَ فـإنه قـول هـارون لأخيـه موسى, يقول: لا تـجعلنـي فـي موجدتك علـيّ وعقوبتـك لـي ولـم أخـالف أمرك مـحلّ من عصاك فخالف أمرك وعبد العجل بعدك فظلـم نفسه وعبـد غير من له العبـادة, ولـم أشايعهم علـى شيء من ذلك. كما:

11834ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَلا تَـجْعَلْنِـي مَعَ القَوْمِ الظّالِـمِينَ قال: أصحاب العجل.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد. بـمثله.

الآية : 151

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ رَبّ اغْفِرْ لِي وَلأخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأنتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ }..

يقول تعالـى ذكره: قال موسى لـما تبـين له عذر أخيه, وعلـم أنه لـم يفرّط فـي الواجب الذي كان علـيه من أمر الله فـي ارتكاب ما فعله الـجهلة من عبدة العجل: رَبّ اغْفِرْ لـي مستغفرا من فعله بأخيه, ولأخيه من سالف له بـينه وبـين الله, تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به. وأدْخِـلْنا فِـي رَحْمَتِكَ

يقول: وارحمنا برحمتك الواسعة عبـادك الـمؤمنـين, فإنك أنت أرحم بعبـادك من كلّ من رحم شيئا.

الآية : 152

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ الّذِينَ اتّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مّن رّبّهِمْ وَذِلّةٌ فِي الْحَياةِ الدّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ }..

يقول تعالـى ذكره: إنّ الّذِينَ اتّـخَذُوا العِجْلَ إلها, سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبّهِمْ بتعجيـل الله لهم ذلك, وَذِلّةٌ وهي الهوان, لعقوبة الله إياهم علـى كفرهم بربهم فـي الـحَياةِ الدّنْـيا فـي عاجل الدنـيا قبل آجل الآخرة. وكان ابن جريج يقول فـي ذلك بـما:

11835ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قوله: إنّ الّذِينَ اتّـخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبّهِمْ وَذِلّةٌ فِـي الـحَياةِ الدّنْـيا وكذلكَ نَـجْزِي الـمُفْتَرِينَ قال: هذا لـمن مات مـمن اتـخذ العجل قبل أن يرجع موسى علـيه السلام, ومن فرّ منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضا.

وهذا الذي قاله ابن جريج, وإن كان قولاً له وجه, فإن ظاهر كتاب الله مع تأويـل أكثر أهل التأويـل بخلافه وذلك أن الله عمّ بـالـخبر عمن اتـخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فـي الـحياة الدنـيا. وتظاهرت الأخبـار عن أهل التأويـل من الصحابة والتابعين بأن الله, إذ رجع إلـى بنـي إسرائيـل موسى علـيه السلام, تاب علـى عَبَدة العجل من فعلهم, بـما أخبر به عن قـيـل موسى علـيه السلام فـي كتابه, وذلك قوله: وَإِذْ قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنّكُمْ ظَلَـمْتُـمْ أنْفُسَكُمْ بـاتّـخاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إلـى بـارِئِكُمْ فـاقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ فَفعلوا ما أمرهم به نبـيهم صلى الله عليه وسلم, فكان أمر الله إياهم بـما أمرهم به من قتل بعضهم أنفس بعض, عن غضب منه علـيهم بعبـادتهم العجل, فكان قتل بعضهم بعضا هوانا لهم وذلة أذّلهم الله بها فـي الـحياة الدنـيا, وتوبة منهم إلـى الله قِبَلها. ولـيس لأحد أن يجعل خبرا جاء الكتاب بعمومه فـي خاصّ مـما عمه الظاهر بغير برهان من حجة خبر أو عقل, ولا نعلـم خبرا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله: إنّ الّذِينَ اتّـخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبّهِمْ إلـى بـاطن خاصّ, ولا من العقل علـيه دلـيـل, فـيجب إحالة ظاهره إلـى بـاطنه.

ويعنـي بقوله: وكذلكَ نَـجْزِي الـمُفْتَرِينَ وكما جزيتُ هؤلاء الذين اتـخذوا العجل إلها من إحلال الغضب بهم, والإذلال فـي الـحياة الدنـيا علـى كفرهم ربهم, وردتهم عن دينهم بعد إيـمانهم بـالله, وكذلك نـجزي كلّ من افترى علـى الله فكذب علـيه وأقرّ بألوهية غيره وعبد شيئا سواه من الأوثان بعد إقراره بوحدانـية الله, وبعد إيـمانه به وبأنبـيائه ورسله وقِـيـلِ ذلك, إذا لـم يتب من كفره قبل قتله.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال جماعة من أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

11836ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن أيوب, قال: تلا أبو قِلابة: سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبّهِمْ وَذِلّةٌ فِـي الـحَياةِ الدّنْـيا... الآية, قال: فهو جزاء كلّ مفتر يكون إلـى يوم القـيامة, أن يذله الله عزّ وجلّ.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو النعمان عارم, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن أيوب, قال: قرأ أبو قلابة يوما هذه الآية: إنّ الّذِينَ اتّـخَذُوا العِجْلَ

سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبّهِمْ وَذِلّةٌ فِـي الـحَياةِ الدّنْـيا وكذلكَ نَـجْزِي الـمُفْتَرِينَ قال: هي والله لكلّ مفتر إلـى يوم القـيامة.

11837ـ قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, عن ثابت وحميد: أن قـيس بن عبـاد وجارية بن قدامة دخلا علـى علـيّ بن أبـي طالب رضي الله عنه, فقالا: أرأيت هذا الأمر الذي أنت فـيه وتدعو إلـيه, أعهد عهده إلـيك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيته؟ قال: مالكما ولهذا؟ أعرضا عن هذا فقالا: والله لا نعرض عنه حتـى تـخبرنا. فقال: ما عهد إلـيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كتابـا فـي قراب سيفـي هذا. فـاستلّه فأخرج الكتاب من قراب سيفه, وإذا فـيه: «إنّهُ لَـمْ يَكُنْ نَبِـيّ إلاّ لَهُ حَرَمٌ, وإنّـي حَرّمْتُ الـمَدِينَةَ كمَا حَرّمَ إبْرَاهِيـمُ عَلَـيْهِ السّلامُ مَكّةَ, لا يُحْمَلُ فِـيها السّلاحُ لِقِتالٍ, مَنْ أحْدَثَ حَدَثا أوْ آوَى مُـحْدِثا فعَلَـيْهِ لَعْنَةُ اللّهِ وَالـمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أجَمعِينَ, لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ» فلـما خرجا قال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الكتاب؟ فرجعا وتركاه, وقالا: إنا سمعنا الله يقول: إنّ الّذِينَ اتّـخَذُوا العِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبّهِمْ... الآية, وإن القوم قد افتروا فرية, ولا أدري إلا سينزل بهم ذلة.

11838ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبـير, عن ابن عيـينة: فـي قوله: وكذلكَ نَـجْزِي الـمُفْتَرِينَ. قال: كل صاحب بدعة ذلـيـل.

الآية : 153

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ عَمِلُواْ السّيّئَاتِ ثُمّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوَاْ إِنّ رَبّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رّحِيمٌ }..

وهذا خبر من الله تعالـى ذكره أنه قابل من كلّ تائب إلـيه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبـيرة, كفرا كانت أو غير كفر, كما قبل من عَبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبـادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم. يقول جلّ ثناؤه: والذين عملوا الأعمال السيئة ثم رجعوا إلـى طلب رضا الله بإنابتهم إلـى ما يحبّ مـما يكره وإلـى ما يرضى مـما يسخط من بعد سيىء أعمالهم, وصدّقوا بأن الله قابل توبة الـمذنبـين وتائب علـى الـمنيبـين بإخلاص قلوبهم ويقـين منهم بذلك, لَغَفُورٌ لهم, يقول: لساتر علـيهم أعمالهم السيئة, وغير فـاضحهم بها, رحيـم بهم, وبكلّ من كان مثلهم من التائبـين.

الآية : 154

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَماّ سَكَتَ عَن مّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لّلّذِينَ هُمْ لِرَبّهِمْ يَرْهَبُونَ }..

يعنـي تعالـى ذكره بقوله: وَلـمّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ ولـما كفّ موسى عن الغضب, وكذلك كلّ كافَ عن شيء ساكت عنه. وإنـما قـيـل للساكت عن الكلام ساكت: لكفه عنه. وقد ذكر عن يونس النـحويّ أنه قال: يقال سكت عنه الـحزن وكلّ شيء فـيـما زعم ومنه قول أبـي النـجم:

وَهمّتِ الإفْعَى بِأنْ تَسِيحَاوَسَكَتَ الـمُكّاءُ أنْ يَصِيحَا

أخَذَا الأَلْوَاحَ يقول: أخذها بعد ما ألقاها, وقد ذهب منها ما ذهب. وفِـي نُسْخَتِها هُدًى وَرَحْمَةٌ يقول: وفـيـما نسخ فـيها: أي منها هدى بـيان للـحقّ ورحمة. للّذِينَ هُمْ لِرَبّهِمْ يَرْهَبُونَ يقول: للذين يخافون الله, ويخشون عقابه علـى معاصيه.

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله: لِرَبّهِمْ يَرْهَبُونَ مع استقباح العرب أن يقال في الكلام: رهبت لك: بمعنى رهبتك, وأكرمت لك: بمعنى أكرمتك, فقال بعضهم: ذلك كما قال جلّ ثناؤه: إنْ كُنْتُمْ للرّؤْيا تَعْبُرُونَ أوصل الفعل باللام. وقال بعضهم: من أجل ربهم يرهبون. وقال بعضهم: إنما دخلت عقب الإضافة الذين هم راهبون لربهم وراهبو ربهم ثم أدخلت اللام على هذا المعنى لأنها عقيب الإضافة لا على التعليق. وقال بعضهم: إنما فعل ذلك لأن الاسم تقدّم الفعل, فحسن إدخال اللام. وقال آخرون: قد جاء مثله في تأخير الاسم في قوله: رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الّذِي تَسْتَعْجِلُونَ. وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال: سمعت الفرزدق يقول: نقدت له مائة درهم, يريد نقدته مائة درهم. قال: والكلام واسع.

الآية : 155

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَىَ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لّمِيقَاتِنَا فَلَمّا أَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ قَالَ رَبّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مّن قَبْلُ وَإِيّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السّفَهَآءُ مِنّآ إِنْ هِيَ إِلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ }..

يقول تعالى ذكره: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً للوقت والأجل الذي وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل. كما:

11839ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل, ووعدهم موعدا. فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه, ثم ذهب بهم ليعتذروا, فلما أتوا ذلك المكان, قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة, فإنك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا. فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم, لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي

11840ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخيّر فالخير, وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم, واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم, صوموا, وتطهّروا, وطهّروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سينا لميقات وقّته له ربه, وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم, فقال السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به, وخرجوا معه للقاء ربه لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل, وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله, ودنا موسى فدخل فيه, وقال للقوم: ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله, وقع على جبهته نور ساطع, لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه. فضُرب دونه بالحجاب, ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا, فسمعوه وهو يكلم موسى, يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من أمره, وانكشف عن موسى الغمام, أقبل إليهم, فقالوا لموسى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى نَرَى اللّهَ جَهْرَةً, فَأخَذتْهُمُ الرّجْفَةُ وهي الصاعقة, فالتقت أرواحهم فماتوا جميعا, وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه, ويقول: ربّ لو

شئت أهلكتهم من قبل وإياي, قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بنـي إسرائيـل؟
11841ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس, قوله: وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا قال: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً, فـاختار سبعين رجلاً, فبرز بهم لـيدعوا ربهم, فكان فـيـما دعوا الله أن قالوا: اللهمّ أعطنا ما لـم تعط أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم, فأخذتهم الرجفة. قال موسى: رَبّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وإيّايَ.
11842ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا خالد بن حيان, عن جعفر, عن ميـمون: وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا قال: لـموعدهم الذي وعدهم.
11843ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا قال: اختارهم لتـمام الوعد.
وقال آخرون: إنـما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم علـى موسى قتل هارون. ذكر من قال ذلك:
11844ـ حدثنا ابن بشار وابن وكيع, قالا: حدثنا يحيى بن يـمان, قال: حدثنا سفـيان, قال: ثنـي أبو إسحاق, عن عمارة بن عبد السلولـي, عن علـيّ رضي الله عنه, قال: انطلق موسى وهارون وشَبّر وشَبِـير, فـانطلقوا إلـى سفح جبل, فنام هارون علـى سرير, فتوفـاه الله. فلـما رجع موسى إلـى بنـي إسرائيـل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفـاه الله. قالوا: أنت قتلته, حسدتنا علـى خـلقه ولـينه أو كلـمة نـحوها قال: فـاختاروا من شئتـم قال: فـاختاروا سبعين رجلاً. قال: فذلك قوله: وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا. قال: فلـما انتهوا إلـيه قالوا: يا هارون من قتلك؟ قال: ما قتلنـي أحد, ولكننـي توفـانـي الله. قالوا: يا موسى لن نعصيَ بعد الـيوم قال: فأخذتهم الرجفة. قال: فجعل موسى يرجع يـمينا وشمالاً, وقال: يا رَبّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وإيّايَ أَتهْلِكُنا بِـمَا فَعَلَ السّفَهاءُ مِنّا إنْ هِيّ إلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتهْدِي مَنْ تَشاءُ قال: فأحياهم الله وجعلهم أنبـياء كلهم.
11845ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي إسحاق, عن رجل من بنـي سلول, أنه سمع علـيّا رضي الله عنه يقول فـي هذه الآية: وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا قال: كان هارون حسن الـخـلق مـحببـا فـي بنـي إسرائيـل. قال: فلـما مات دفنه موسى. قال: فلـما أتـى بنـي إسرائيـل, قالوا له: أين هاون؟ قال: مات. فقالوا: قتلته قال: فـاختار منهم سبعين رجلاً. قال: فلـما أتوا القبر, قال موسى: أقتلت أو متّ؟ قال: متّ. قال: فأصعقوا, فقال موسى: ربّ ما أقول لبنـي إسرائيـل إذا رجعت؟ يقولون: أنت قتلتهم قال: فأحيوا وجعلوا أنبـياء.
11846ـ حدثنـي عبد الله بن الـحجاج بن الـمنهال, قال: حدثنا أبـي, قال: حدثنا الربـيع بن حبـيب, قال: سمعت أبـا سعيد, يعنـي الرقاشيّ, وقرأ هذه الآية: وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا فقال: كانوا أبناء ما عدا عشرين ولـم يتـجاوزوا الأربعين, وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصبـاه, وأن من لـم يتـجاوز الأربعين لـم يفقد من عقله شيئا.

وقال آخرون: إنـما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل, لا لأنهم كانوا من عبَدته. ذكر من قال ذلك:
11847ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا فقرأ حتـى بلغ: السّفَهاءُ مِنا ذكر لنا أن ابن عبـاس كان يقول: إنـما تناولتهم الرجفة لأنهم لـم يزايـلوا القوم حين نصبوا العجل, وقد كرهوا أن يجامعوهم علـيه.
11848ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا مـمن لـم يكن قال ذلك القول علـى أنهم لـم يجامعوهم علـيه, فأخذتهم الرجفة من أجل أنهم لـم يكونوا بـاينوا قومهم حين اتـخذوا العجل. فلـما خرجوا ودعوا, أماتهم الله ثم أحياهم. فَلَـمّا أَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ قالَ رَبّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وأيّايَ أَتُهْلِكُنا بِـمَا فَعَلَ السّفَهاءُ مِنّا.
11849ـ حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: قال مـجاهد: وَاخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا والـميقات: الـموعد. فلـما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بـالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء, فلـم يستـجب لهم علـم موسى أنهم قد أصابوا من الـمعصية ما أصابه قومهم. قال ابن سعد: فحدثنـي مـحمد بن كعب القرظي, قال: لـم يستـجب لهم من أجل أنهم لـم ينهوهم عن الـمنكر ويأمروهم بـالـمعروف. قال: فأخذتهم الرجفة فماتوا, ثم أحياهم الله.
11850ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عون, عن سعيد بن حيان, عن ابن عبـاس: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه, إنـما أخذتهم الرجفة أنهم لـم يرضوا ولـم ينهوا عن العجل.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا عون, قال: حدثنا سعيد بن حيان, عن ابن عبـاس, بنـحوه.
واختلف أهل العربـية فـي وجه نصب قوله: قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِـمِيقاتِنا فقال بعض نـحويـي البصرة: معناه: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً, فلـما نزع «مِن» أعمل الفعل, كما قال الفرزدق:
وَمِنّا الّذِي اخْتِـيرَ الرّجالَ سمَاحَةوَجُودا إذَا هَبّ الرّياحُ الزّعازِعُ
وكما قال الآخر:
أَمَرْتُكَ الـخَيْرَ فـافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهفَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مالٍ وَذَا نَشبِ
وقال الراعي:
اخْتَرْتُكَ النّاسَ إذْ غَثّتْ خَلائِقُهُمْواعْتَلّ مَن كانَ يُرْجَى عندَهُ السّولُ
وقال بعض نـحوّيـي الكوفة: إنـما استـجيز وقوع الفعل علـيهم إذا طرحت مِن, لأنه مأخوذ من قولك: هؤلاء خير القوم, وخير من القوم, فإذا جازت الإضافة مكان «من» ولـم يتغير الـمعنى, استـجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلاً, واخترت منكم رجلاً وقد قال الشاعر:
(لَهُ اخْتَرْها قَلُوصا سَمِينَةً)
وقال الراجز:
(تَـحْتَ التـي اخْتارَ لَهُ اللّهُ الشّجَرْ)
بـمعنى: اختارها له الله من الشجر.

وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب «من» التي بمعنى التبعيض, ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حشو الكلام إذا عرف موضعه, وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذفت, فهذا من ذلك إن شاء الله.

وقد بيّنا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدها, وأنها ما رجف بالقوم وأرعبهم وحرّكهم وأهلكهم بعد, فأماتهم أو أصعقهم, فسلب أفهامهم. وقد ذكرنا الرواية في غير هذا الموضع, وقول من قال: إنها كانت صاعقة أماتتهم.

11851ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَلَمّا أَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ ماتوا ثم أحياهم.

11852ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا اختارهم موسى لتمام الموعد. فَلَمّا أَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ ماتوا ثم أحياهم الله.

11853ـ حدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم, قال: حدثنا سفيان, قال: قال أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس: فَلَمّا أَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ قال: رجف بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: أَتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ السّفَهاءُ مِنّا إنْ هِيَ إلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتهْدِي مَنْ تَشاءُ أنْتَ وَلِيّنا فاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وأنْتَ خَيْرُ الغافِرِينَ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا: أي بعبادة من عبد العجل. قالوا: وكان الله إنما أهلكهم لأنهم كانوا ممن يعبد العجل, وقال موسى ما قال ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك. ذكر من قال ذلك:

11854ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أَتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ السّفَهاءُ مِنّا فأوحى الله إلى موسى: إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل, فذلك حين يقول موسى: إنْ هِيَ إلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتهْدى مَنْ تَشاءُ.

وقال آخرون: معنى ذلك: أن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل إذا انصرفتُ إليهم, وليسوا معي, والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يريهم ربهم. ذكر من قال ذلك:

11855ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعا, قام موسى يناشد ربه ويدعوه, ويرغب إليه يقول: ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما فعل السفهاء منا؟ أي إن هذا لهم هلاك, قد اخترت منهم سبعين رجلاً الخير فالخير, أرجع إليهم وليس معي رجل واحد؟ فما الذي يصدّقونني به أو يأمنونني عليه بعد هذا؟

وقال آخرون في ذلك بما:

11856ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَتُهْلِكُنا بِمَا فَعَلَ السّفَهاءُ مِنّا: أتؤاخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ولا استبدل بك غيرك؟

وأولـى القولـين بتأويـل الآَية, قـول من قال: إن موسى إنـما حزن علـى هلاك السبعين بقوله: أَتهْلِكُنا بِـمَا فَعَلَ السّفَهاءُ مِنّا وأنه إنـما عنى بـالسفهاء: عبدة العجل وذلك أنه مـحال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تـخير من قومه لـمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم إلا الأفضل فـالأفضل منهم, ومـحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك فـي عبـادة العجل واتـخذه دون الله إلها.

قال: فإن قال قائل: فجائز أن يكون موسى علـيه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم, فـيقول: أتهلكنا بذنوب من عبد العجل, ونـحن من ذلك برآء؟ قـيـل: جائز أن يكون معنى الإهلاك: قبض الأرواح علـى غير وجه العقوبة, كما قال جلّ ثناؤه: إنِ امْرُؤٌ هَلَكَ يعنـي: مات, فـيقول: أتـميتنا بـما فعل السفهاء منا.

وأما قوله: إنْ هِيَ إلاّ فِتْنَتُكَ فإنه يقول جلّ ثناؤه: ما هذه الفعلة التـي فعلها قومي من عبـادتهم ما عبدوا دونك, إلا فتنة منك أصابتهم. ويعنـي بـالفتنة: الابتلاء والاختبـار. يقول: ابتلـيتهم بها لـيتبـين الذي يضلّ عن الـحقّ بعبـادته إياه والذي يهتدي بترك عبـادته. وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلـى الله, إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه جلّ ثناؤه.

وبنـحو ما قلنا فـي الفتنة قال جماعة من أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

11857ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي جعفر, عن الربـيع, عن أبـي العالـية: إنْ هِيَ إلاّ فِتْنَتُكَ قال: بلـيتك.

11858ـ قال: ثنا حبويه الرازي, عن يعقوب, عن جعفر بن أبـي الـمغيرة, عن سعيد بن جبـير: إلاّ فِتْنَتُكَ: إلا بلـيتك.

11859ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: أخبرنا ابن جعفر, عن الربـيع بن أنس: إنْ هِيَ إلاّ فِتْنَتُكَ قال: بلـيتك.

11860ـ قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية بن صالـح, عن علـي بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس: إنْ هِيَ إلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلّ بِها مَنْ تَشاءُ إن هو إلا عذابك تصيب به من تشاء, وتصرفه عمن تشاء.

11861ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: إنْ هِيَ إلاّ فِتْنَتُكَ أنت فتنتهم.

وقوله: أَنْتَ وَلِـيّنا يقول: أنت ناصرنا. فـاغْفِرْ لَنا يقول: فـاستر علـينا ذنوبنا بتركك عقابنا علـيها. وَارْحَمْنا: تعطّف علـينا برحمتك. وأَنْتَ خَيْرُ الغافِرِينَ يقول: خير من صفح عن جُرم وستر علـى ذنب.

الآية : 156

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الاَخِرَةِ إِنّا هُدْنَـآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلّذِينَ يَتّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزّكَـاةَ وَالّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ }..

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن دعاء نبـيه موسى علـيه السلام أنه قال فـيه: وَاكْتُبْ لَنا: أي اجعلنا مـمن كتبت له فِـي هَذِهِ الدّنْـيا حَسَنَةً وهي الصالـحات من الأعمال, وَفـي الآخِرَةِ مـمن كتبت له الـمغفرة لذنوبه. كما:

11862ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَاكْتُبْ لَنا فِـي هَذِهِ الدّنْـيا حَسَنَةً قال: مغفرة.

وقوله: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ يقول: إنا تبنا إلـيك.

وبنـحو ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
11863ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير وابن فضيـل وعمران بن عيـينة, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير وقال عمران, عن ابن عبـاس: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ قال: إنا تبنا إلـيك.
11864ـ قال: حدثنا زيد بن حبـاب, عن حماد بن سلـمة, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير, قال: تبنا إلـيك.
11865ـ قال: حدثنا جابر بن نوح, عن أبـي رَوْق عن الضحاك, عن ابن عبـاس قال: تبنا إلـيك.
قال: حدثنا عبد الله بن بكر, عن حاتـم بن أبـي مغيرة, عن سِماك: أن ابن عبـاس قال فـي هذه الآية: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ قال: تبنا إلـيك.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحجاج, قال: حدثنا حماد, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, قال: أحسبه عن ابن عبـاس: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ قال: تبنا إلـيك.
حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ يقول: تبنا إلـيك.
حدثنا مـحمد بن بشار, قال: ثنـي يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفـيان, قال: حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهانـيّ عن سعيد بن جبـير, فـي قوله: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ قال: تبنا إلـيك.
قال: حدثنا عبد الرحمن ووكيع بن الـجراح, قالا: حدثنا سفـيان عن عبد الرحمن بن الأصبهانـيّ, عن سعيد بن جبـير بـمثله.
11866ـ حدثنـي ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن ابن الأصبهانـي, عن سعيد بن جبـير, مثله.
11867ـ قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيـم, قال: تبنا إلـيك.
قال: حدثنا مـحمد بن زيد, عن العوام, عن إبراهيـم التـيـميّ, قال: تبنا إلـيك.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيـم, عن العوّام, عن إبراهيـم التـيـمي مثله.
11868ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ أي إنا تبنا إلـيك.
حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, فـي قوله: هُدْنا إلَـيْكَ قال: تبنا.
11869ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ يقول: تبنا إلـيك.
11870ـ قال: حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ يقول: تبنا إلـيك.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
11871ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي جعفر الرازي, عن الربـيع بن أنس, عن أبـي العالـية, قال: هُدْنَا إلَـيْكَ قال: تبنا إلـيك.
قال: ثنا أبـي, عن أبـي جحير, عن الضحاك, قال: تبنا إلـيك.
11872ـ قال: ثنا الـمحاربـي, عن جويـبر, عن الضحاك, قال: تبنا إلـيك.

وحُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول, فذكر مثله.
قال: ثنا أبـي وعبـيد الله, عن شريك, عن جابر, عن مـجاهد, قال: تبنا إلـيك.
11873ـ قال: ثنا حبوية أبو يزيد, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبـير, مثله.
11874ـ قال: ثنا أبـي, عن شريك, عن جابر, عن عبد الله بن يحيى, عن علـيّ علـيه السلام, قال: إنـما سميت الـيهود لأنهم قالوا هُدْنا إلَـيْكَ.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ يعنـي: تبنا إلـيك.
حدثنا ابن البرقـي, قال: حدثنا عمرو, قال: سمعت رجلاً يسأل سعيدا: إنّا هُدْنا إلَـيْكَ قال: إنا تبنا إلـيك.
وقد بـيّنا معنى ذلك بشواهده فـيـما مضى قبل بـما أغنى عن إعادته.
القول فـي تأويـل قوله تعالـى: قالَ عَذَابِـي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ فَسأكْتُبُها لِلّذِينَ يَتّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزّكاةَ والّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ.
يقول تعالـى ذكره: قالَ الله لـموسى: هذا الذي أصبت به قومك من الرجفة عَذَابِـي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ من خـلقـي, كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك. وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ يقول: ورحمتـي عمت خـلقـي كلهم.
وقد اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم مخرجه عامّ ومعناه خاصّ, والـمراد به: ورحمتـي وسعت الـمؤمنـين بـي من أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم. واستشهد بـالذي بعده من الكلام, وهو قوله: فَسأكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ... الآية. ذكر من قال ذلك.
11875ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو سلـمة الـمنقري, قال: حدثنا حماد بن سلـمة, قال: أخبرنا عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس أنه قرأ: وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ فَسأكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ قال: جعلها الله لهذه الأمة.
11876ـ حدثنـي عبد الكريـم, قال: حدثنا إبراهيـم بن بشار, قال: قال سفـيان, قال أبو بكر الهذلـيّ: فلـما نزلت: وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ قال إبلـيس: أنا من الشيء. فنزعها الله من إبلـيس, قال: فَسأكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزّكاةَ وَالّذِينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنُونَ فقال الـيهود: نـحن نتقـي ونؤتـي الزكاة, ونؤمن بآيات ربنا. فنزعها الله من الـيهود, فقال: الّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِـيّ الأُمّيّ... الآيات كلها. قال: فنزعها الله من إبلـيس ومن الـيهود وجعلها لهذه الأمة.
11877ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: لـما نزلت: وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ قال إبلـيس: أنا من كلّ شيء, قال الله: فَسأكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ وَيُؤْتَونَ الزّكاةَ وَالّذِينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنُونَ... الآية. فقالت الـيهود: ونـحن نتقـي ونؤتـي الزكاة. فأنزل الله: الّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِـيّ الأُمّيّ قال: نزعها الله عن إبلـيس وعن الـيهود, وجعلها لأمة مـحمد, سأكتبها للذين يتقون من قومك.

11878ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: عَذَابـي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ فقال إبلـيس: أنا من ذلك الشيء, فأنزل الله: فَسأَكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ معاصي الله, والّذِينَ هُمْ بآياتنا يُؤْمِنُونَ. فتـمنتها الـيهود والنصارى. فأنزل الله شرطا وثـيقا بـينا, فقال: الّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِـيّ الأُمّيّ فهو نبـيكم كان أميا لا يكتب, صلى الله عليه وسلم.

11879ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, قال: أخبرنا خالد الـحذّاء, عن أنـيس بن أبـي العريان, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَاكْتُبْ لَنا فِـي الدّنْـيا حَسَنَةً وفِـي الآخِرَةِ إنّا هُدْنا إلَـيْكَ قال: فلـم يعطها, فقال: عَذَابِـي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ فَسأَكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ إلـى قوله: الرّسُولَ النّبِـيّ الأُمّيّ.

حدثنـي ابن وكيع, قال: حدثنا ابن علـية وعبد الأعلـى, عن خالد, عن أنـيس بن أبـي العربـان قال عبد الأعلـى: عن أنـيس أبـي العريان وقال: قال ابن عبـاس: وَاكْتُبْ لَنا فِـي هَذِهِ الدّنْـيا حَسَنَةً وفِـي الآخِرَةِ إنّا هُدْنا إلَـيْكَ قال: فلـم يعطها موسى. قالَ عَذَابِـي أُصيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ فَسأكْتُبُها... إلـى آخر الآية.

11880ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: كان الله كتب فـي الألواح ذكر مـحمد وذكر أمته وما ادخر لهم عنده وما يسّر علـيهم فـي دينهم وما وسّع علـيهم فـيـما أحلّ لهم, فقال: عَذَابِـي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ فَسأكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ يعنـي الشرك, الآية.

وقال آخرون: بل ذلك علـى العموم فـي الدنـيا وعلـى الـخصوص فـي الآخرة. ذكر من قال ذلك.

11881ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الـحسن وقتادة, فـي قوله: وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ قالا: وسعت فـي الدنـيا البرّ والفـاجر, وهي يوم القـيامة للذين اتقوا خاصة.

وقال آخرون: هي علـى العموم, وهي التوبة. ذكر من قال ذلك.

11882ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: أنْتَ وَلِـيّنا فـاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وأنْتَ خَيْرُ الغافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنا فِـي هَذِهِ الدّنْـيا حَسَنَةً وفِـي الآخِرَةِ إنّا هُدْنا إلَـيْكَ فقال: سأل موسى هذا, فقال الله: عَذَابـي أُصِيبُ به مَنْ أشَاءُ العذاب الذي ذكر ورَحْمتـي التوبةُ وَسِعَتْ كُلّ شَيءٍ فَسأكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ. قال: فرحمته: التوبة التـي سأل موسى علـيه السلام كتبها الله لنا.

وأما قوله: فَسأكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ فإنه يقول: فسأكتب رحمتـي التـي وسعت كلّ شيء. ومعنى «أكتب» فـي هذا الـموضع: أكتب فـي اللوح الذي كتب فـيه التوراة للّذين يَتّقُونَ يقول: للقوم الذين يخافون الله ويخشون عقابه علـى الكفر به والـمعصية له فـي أمره ونهيه, فـيؤدون فرائضه, ويجتنبون معاصيه.

وقد اختلف أهل التأويـل فـي الـمعنى الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه, فقال بعضهم: هو الشرك. ذكر من قال ذلك.

11883ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: فَسأكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ يعنـي الشرك.

وقال آخرون: بل هو الـمعاصي كلها. ذكر من قال ذلك.
11884ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَسأَكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ معاصي الله.
وأما الزكاة وإيتاؤها, فقد بـيّنا صفتها فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته.
وقد ذُكر عن ابن عبـاس فـي هذا الـموضع أنه قال فـي ذلك ما:
11885ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: وَيُؤْتُونَ الزّكاةَ قال: يطيعون الله ورسوله.
فكأن ابن عبـاس تأوّل ذلك بـمعنى أنه العمل بـما يزكي النفس ويطهّرها من صالـحات الأعمال.
وأما قوله: وَالّذِينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنُونَ فإنه يقول: وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا يصدّقون ويقرّون.

الآية : 157

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِيّ الأُمّيّ الّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلّ لَهُمُ الطّيّبَاتِ وَيُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتّبَعُواْ النّورَ الّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }..
وهذا القول إبـانة من الله جلّ ثناؤه عن أن الذين وعد موسى نبـيه علـيه السلام أن يكتب لهم الرحمة التـي وصفها جلّ ثناؤه بقوله: وَرَحْمَتِـي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ هم أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم, لأنه لا يعلـم لله رسول وصف بهذه الصفة أعنـي الأميّ غير نبـينا مـحمد صلى الله عليه وسلم, وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك.
11886ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيـينة, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: فَسأَكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ قال: أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم.
قال: ثنا زيد بن حُبـاب, عن حماد بن سلـمة, عن عطاء, عن ابن عبـاس, قال: أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم.
11887ـ حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قالا: حدثنا يحيى بن يـمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, فـي قوله: فَسأَكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ قال: أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم, فقال موسى علـيه السلام: لـيتنـي خُـلقت فـي أمة مـحمد
11888ـ حدثنا ابن حميد وابن وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير: فَسأَكْتُبُها للّذِينَ يَتّقُونَ قال: الذين يتبعون مـحمدا صلى الله عليه وسلم.
11889ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن لـيث, عن شهر بن حَوْشَب, عن نَوْف الـحميريّ, قال: لـما اختار موسى قومه سبعين رجلاً لـميقات ربه قال الله لـموسى: أجعل لكم الأرض مسجدا وطَهُورا, وأجعل السكينة معكم فـي بـيوتكم, وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهور قلوبكم, يقرؤها الرجل منكم والـمرأة والـحرّ والعبد والصغير والكبـير. فقال موسى لقومه: إن الله قد يجعل لكم الأرض طَهُورا ومسجدا. قالوا: لا نريد أن نصلـي إلاّ فـي الكنائس. قال: ويجعل السكينة معكم فـي بـيوتكم. قالوا: لا نريد إلاّ أن تكون كما كانت فـي التابوت. قال: ويجعلكم تقرءون التوراة عن

ظهور قلوبكم, ويقرؤها الرجل منكم والـمرأة والـحرَ والعبد الصغير والكبـير. قالوا: لا نريد أن نقرأها إلاّ نظرا. فقال الله: فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتّقُونَ وَيُؤْتَونَ الزّكاةَ... إلـى قوله: أُولَئِكَ هُمُ الـمُفْلِـحُونَ.

11890ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن يحيى بن أبـي كثـير, عن نوف البِكالـيّ, قال: لـما انطلق موسى بوفد بنـي إسرائيـل كلـمه الله, فقال: إنـي قد بسطت لهم الأرض طَهورا ومساجد يصلون فـيها حيث أدركتهم الصلاة إلاّ عند مرحاض أو قبر أو حمام, وجعلت السكينة فـي قلوبهم, وجعلتهم يقرءون التوراة عن ظهر ألسنتهم. قال: فذكر ذلك موسى لبنـي إسرائيـل, فقالوا: لا نستطيع حمل السكينة فـي قلوبنا, فـاجعلها لنا فـي تابوت, ولا نقرأ التوراة إلاّ نظرا, ولا نصلـي إلاّ فـي الكنـيسة فقال الله: فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتّقُونَ وَيُؤْتَونَ الزّكاةَ... حتـى بلغ: أُولَئِكَ هُمُ الـمُفْلِـحُونَ. قال: فقال موسى علـيه السلام: يا رب اجعلنـي نبـيهم قال: نبـيهم منهم. قال: ربّ اجعلنـي منهم قال: لن تدركهم. قال: يا ربّ أتـيتك بوفد بنـي إسرائيـل, فجعلت وفـادتنا لغيرنا فأنزل الله: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمّةٌ يُهْدُونَ بـالـحَقّ وبِهِ يَعْدِلُونَ. قال نوف البِكالـي: فـاحمدوا الله الذي حفظ غيبتكم, وأخذ لكم بسهمكم, وجعل وفـادة بنـي إسرائيـل لكم.

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا معاذ بن هشام, قال: ثنـي أبـي, عن يحيى بن أبـي كثـير, عن نوف البِكالـي بنـحوه, إلاّ أنه قال: فإنـي أنزل علـيكم التوراة تقرءونها عن ظهر ألسنتكم, رجالكم ونساؤكم وصبـيانكم. قالوا: لا نصلـي إلاّ فـي كنـيسة, ثم ذكر سائر الـحديث نـحوه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيـل, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبـير: فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتّقُونَ قال: أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم.

11891ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتّقُونَ قال: هؤلاء أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم.

11892ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: لـما قـيـل: فَسأَكْتُبُها للَّذِينَ يَتّقُونَ وَيُؤْتَونَ الزّكاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنُونَ تـمنتها الـيهود والنصارى, فأنزل الله شرطا بَـيّنا وثـيقا, فقال: الَّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِـيّ الأُمّيّ وهو نبـيكم صلى الله عليه وسلم كان أميّا لا يكتب.

وقد بـيّنا معنى الأميّ فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته.

وأما قوله: الّذِي يَجدُونَهُ مَكْتُوبـا عنْدَهُمْ فِـي التّوْرَاةِ والإنْـجِيـل فإن الهاء فـي قوله: يَجِدُونَهُ عائدة علـى الرسول, وهو مـحمد صلى الله عليه وسلم. كالذي:

11893ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: الَّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِـيّ الأُمّيّ هذا مـحمد صلى الله عليه وسلم.

11894ـ حدثنـي ابن الـمثنى, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: حدثنا فلـيح عن هلال بن علـيّ, عن عطاء بن يسار, قال: لقـيت عبد الله بن عمرو, فقلت: أخبرنـي عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي

التوراة قال: أجل والله إنه لـموصوف فـي التوراة كصفته فـي القرآن: يا أيّهَا النّبـيّ إنّا أرْسلناكَ شاهِدا ومبشّرا ونذِيرا وحرزا للأميـين, أنت عبدي ورسولـي, سميتك الـمتوكل, لـيس بفظّ ولا غلـيظ ولا صخّاب فـي الأسواق, ولا يَجْزِي بـالسيئة السيئة, ولكن يعفو ويصفح ولن نقبضه حتـى نقـيـم به الـملة العوجاء, بأن يقولوا: لا إله إلاّ الله, فنفتـح به قلوبـا غُلْفـا وآذانا صُمّا, وأعينا عُمْيا. قال عطاء: ثم لقـيت كعبـا فسألته عن ذلك, فما اختلفـا حرفـا, إلاّ أن كعبـا قال بلغته: قلوبـا غُلُوفِـيَا. وآذانا صموميا, وأعينا عموميَا.

حدثنـي أبو كريب, قال: حدثنا موسى بن داود, قال: حدثنا فلـيح بن سلـيـمان, عن هلال بن علـيّ, قال: ثنـي عطاء, قال: لقـيت عبد الله بن عمرو بن العاص, فذكر نـحوه. إلاّ أنه قال فـي كلام كعب: أعينا عُمُومَا, وآذانا صُمُومَا, وقلوبـا غُلُوفَـا.

قال: ثنا موسى, قال: حدثنا عبد العزيز بن سلـمة, عن هلال بن علـيّ, عن عطاء بن يسار, عن عبد الله بنـحوه, ولـيس فـيه كلام كعب.

11895ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال الله: الّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبـا عِنْدَهُمْ يقول: يجدون نعته وأمره ونبوّته مكتوبـا عندهم.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: يَأْمُرُهُمْ بـالـمَعْرُوفِ ويَنْهاهُمْ عَنِ الـمُنْكَرِ ويُحِلّ لَهُمُ الطّيِّبـاتِ ويُحَرّمُ عَلَـيْهِمُ الـخَبـائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلالَ التـي كانَتْ عَلَـيْهِمْ.

يقول تعالـى ذكره: يأمر هذا النبـيّ الأميّ أتبـاعه بـالـمعروف, وهو الإيـمان بـالله ولزوم طاعته فـيـما أمر ونهى, فذلك الـمعروف الذي يأمرهم به, وينهاهم عن الـمنكر وهو الشرك بـالله, والانتهاء عما نهاهم الله عنه.

وقوله: ويُحِلّ لَهُمُ الطّيّبـاتِ وذلك ما كانت الـجاهلـية تـحرّمه من البحائر والسوائب والوصائل والـحوامي. ويُحَرّمُ عَلَـيهِمُ الـخبَـائِثَ وذلك لـحم الـخنزير والربـا, وما كانوا يستـحلونه من الـمطاعم والـمشارب التـي حرّمها الله. كما:

11896ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: ويُحَرّمُ عَلَـيْهِمُ الـخَبـائِثَ وهو لـحم الـخنزير والربـا, وما كانوا يستـحلونه من الـمـحرَّمات من الـمآكل التـي حرّمها الله.

وأما قوله: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلالَ الّتِـي كانَتْ عَلَـيْهِمْ فإن أهل التأويـل اختلفوا فـي تأويـله, فقال بعضهم: يعنـي بـالإصر: العده والـميثاق الذي كان أخذه علـى بنـي إسرائيـل بـالعمل بـما فـي التوراة. ذكر من قال ذلك.

11897ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن أبـي رَوْق, عن الضحاك, عن ابن عبـاس: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ قال: عهدهم.

11898ـ قال: ثنا الـمـحاربـي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: عهدهم.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن علـيّ, قال: أخبرنا هشيـم, عن جويبر, عن الضحاك, مثله.

11899ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يـمان, عن مبـارك, عن الـحسن: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ قال: العهود التـي أعطوها من أنفسهم.

11900ـ قال: ثنا ابن نـمير, عن موسى بن قـيس, عن مـجاهد: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ قال: عهدهم.
11901ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلالَ التـي كانَتْ عَلَـيْهِمْ يقول: يضع عنهم عهودهم ومواثـيقهم التـي أخذت علـيهم فـي التوراة والإنـجيـل.
11902ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـي, عن ابن عبـاس: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلالَ التـي كانَتْ عَلَـيْهِمْ ما كان الله أخذ علـيهم من الـميثاق فـيـما حرّم علـيهم, يقول: يضع ذلك عنهم.
وقال بعضهم: عنـي بذلك أنه يضع عمن اتبع نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذي كان علـى بنـي إسرائيـل فـي دينهم. ذكر من قال ذلك.
11903ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلالَ التـي كانَتْ عَلَـيْهِمْ فجاء مـحمد صلى الله عليه وسلم بإقالة منه وتـجاوز عنه.
11904ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا الـحمانـي, قال: حدثنا شريك, عن سالـم, عن سعيد: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ قال: البول ونـحوه مـما غلظ علـى بنـي إسرائيـل.
11905ـ قال: ثنا الـحِمّانـي, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: شدّة العمل.
11906ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مـجاهد, قوله: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأغْلالَ التـي كانَتْ عَلَـيْهِمْ قال: من اتبع مـحمدا ودينه من أهل الكتاب, وضع عنهم ما كان علـيهم من التشديد فـي دينهم.
11907ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيـل, عن أشعث, عن ابن سيرين, قال: قال أبو هريرة لابن عبـاس: ما علـينا فـي الدين من حرج أن نزنـي ونسرق؟ قال: بلـى, ولكن الإصر الذي كان علـى بنـي إسرائيـل وُضع عنكم.
11908ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ قال:, قال: قال أبو هريرة لابن عبـاس: ما علـينا فـي الدين من حرج أن نزنـي ونسرق؟ قال: بلـى, ولكن الإصر الذي كان علـى بنـي إسرائيـل وُضع عنكم.
11909ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ قال: ها من الأعمال الشديدة كقطع الـجلد من البول, وتـحريـم الغنائم, ونـحو ذلك من الأعمال التـي كانت علـيهم مفروضة, فنسخها حكم القرآن.
وأما الأغلال التـي كانت علـيهم, فكان ابن زيد يقول بـما:
11910ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب عنه فـي قوله: والأغْلالَ التـي كانَتْ عَلَـيْهِمْ قال: الأغلال. وقرأ غُلّتْ أيْدِيهِمْ قال: تلك الأغلال, قال: ودعاهم إلـى أن يؤمنوا بـالنبـيّ, فـيضع ذلك عنهم.
القول فـي تأويـل قوله تعالـى: فـالّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتّبَعُوا النّورَ الّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الـمُفْلِـحُونَ.

يقول تعالى ذكره: فالذين صدّقوا بالنبيّ الأميّ, وأقرّوا بنبوّته, وعَزّرُوهُ يقول: وَقّروه وعظموه وحموه من الناس. كما:
11911ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وعَزّروه يقول: حَموه ووقروه.
11912ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: ثني موسى بن قيس, عن مجاهد: وَعَزّرُوهُ وَنَصَرُوهُ قال: عزّروه: سدّدوا أمره, وأعانوا رسوله ونصروه.
وقوله نَصَرُوهُ يقول: وأعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم. وَاتّبَعُوا النّورَ الّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ يعني القرآن والإسلام. أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ يقول: الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جلّ ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم المنجحون. المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم ذلك.
11913ـ حدثني بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: فما نقموا, يعني اليهود إلاّ أن حسدوا نبيّ الله, فقال الله: الّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزّرُوهُ وَنَصَرُوهُ فأما نصره وتعزيره فقد سُبقتم به, ولكن خياركم من آمن بالله واتبع النور الذي أنزل معه.
يريد قتادة بقوله: «فما نقموا إلاّ أن حسدوا نبيّ الله» أن اليهود كان محمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه, لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم, فحملهم الحسد على الكفر به وترك قبول التخفيف لغلبة خذلان الله عليهم.

الآية : 158

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَأَيّهَا النّاسُ إِنّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الّذِي لَهُ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لآ إِلَـَهَ إِلاّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النّبِيّ الأُمّيّ الّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتّبِعُوهُ لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ}..
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للناس كلهم: إنّي رَسولُ الله إلَيْكُمْ جَمِيعا لا إلى بعضكم دون بعض, كما كان من قبلي من الرسل, مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض, فمن كان منهم أرسل كذلك, فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم. وقوله: الّذِي من نعت اسم الله. وإنما معنى الكلام: قا يا أيها الناس, إني رسول الله الذي له ملك السموات والأرض إليكم.
ويعني جل ثناؤه بقوله: الّذِي لَه مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ: الذي له سلطان السموات والأرض وما فيهما, وتدبير ذلك وتصريفه. لا إلَهَ إلاّ هُوَ يقول: لا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة إلاّ له جلّ ثناؤه دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان, إلاّ لمن له سلطان كلّ شيء والقادر على إنشاء خلق كل ما شاء وإحيائه وإفنائه إذا شاء إماتته. فآمِنُوا باللّهِ وَرَسُولِهِ يقول جلّ ثناؤه: قل لهم: فصدّقوا بآيات الله الذي هذه صفته, وأقرّوا بوحدانيته, وأنه الذي له الألوهة والعبادة, وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنه مبعوث إلى خلقه داع إلى توحيده وطاعته.
القول في تأويل قوله تعالى: النّبِيّ الأمّيّ الّذِي يُؤْمِنُ باللّهِ وكَلِماتِهِ وَاتّبِعُوهُ لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ.

وأما قوله: النّبِـيّ الأمّيّ فإنه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقد بـينت معنى النبـيّ فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته. ومعنى قوله: الأمّيّ الذِي يؤْمنُ بـاللّهِ يقول: الذي يصدّق بـالله وكلـماته. ثم اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: وكَلِـماتِهِ فقال بعضهم: معناه: وآياته. ذكر من قال ذلك.

11914ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الّذِي يُؤْمِنُ بـاللّهِ وكَلِـماتِهِ يقول: آياته.

وقال آخرون: بل عنـي بذلك عيسى ابن مريـم علـيه السلام. ذكر من قال ذلك.

11915ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مـجاهد, قوله: الّذي يُؤْمِنُ بـاللّهِ وكَلِـماتِهِ قال: عيسى ابن مريـم.

11916ـ وحدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: الّذِي يُؤْمِنُ بـاللّهِ وكَلِـماتِهِ فهو عيسى ابن مريـم.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك عندنا أن الله تعالـى ذكره أمر عبـاده أن يصدّقوا بنبوّة النبـيّ الأميّ الذي يؤمن بـالله وكلـماته. ولـم يخصص الـخبر جلّ ثناؤه عن إيـمانه من كلـمات الله ببعض دون بعض, بل أخبرهم عن جميع الكلـمات, فـالـحقّ فـي ذلك أن يعمّ القول, فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلـمات الله كلها علـى ما جاء به ظاهر كتاب الله.

وأما قوله: وَاتّبعُوهُ لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ فـاهتدوا به أيها الناس, واعملوا بـما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ يقول: لكي تهتدوا فَتَرشُدوا, وتصيبوا الـحقّ فـي اتبـاعكم إياه.

الآية : 159

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمِن قَوْمِ مُوسَىَ أُمّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى يعنـي بنـي إسرائيـل, أُمّةٌ يقول: جماعة, يَهْدُونَ بـالـحَقّ يقول: يهتدون بـالـحقّ: أي يستقـيـمون علـيه ويعملون, وَبِهِ يَعْدِلونَ: أي وبـالـحقّ يعطون ويأخذون, وينصفون من أنفسهم فلا يجورون. وقد قال فـي صفة هذه الأمة التـي ذكرها الله فـي الآية جماعة أقوالاً نـحن ذاكرو ما حضَرَنا منها:

11917ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبـير, عن ابن عيـينة, عن صدقة أبـي الهذيـل, عن السديّ: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمّةٌ يَهْدُونَ بـالـحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قال: قوم بـينكم وبـينهم نهر من شهد.

11918ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمّةٌ يَهْدُونَ بـالـحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قال: بلغنـي أن بنـي إسرائيـل لـما قتلوا أنبـياءهم كفروا, وكانوا اثنـي عشر سـبطا, تـبرأ سبط منهم مـما صـنعوا, واعتـذروا, وسألوا اللـه أن يفـرّق بـينهم وبـينهم, ففتـح الله لهم نَفَقا فـي الأرض, فساروا فـيه حتـى خرجوا من وراء الصـين, فهم هنالك حنفـاء مسلـمون, يسـتقبلون قبلتنـا. قـال ابـن جريـج: قـال ابـن عبـاس: فذلك قوله: وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِـي إسْرَائِيـلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فإذَا جـاءَ

وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا ووعد الآخرة عيسى ابن مريم يخرجون معه. قال ابن جريج: قال ابن عباس: ساروا في السّرَب سنة ونصفا.

الآية : 160

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَطّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَآ إِلَىَ مُوسَىَ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلّ أُنَاسٍ مّشْرَبَهُمْ وَظَلّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنّ وَالسّلْوَىَ كُلُواْ مِن طَيّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُوَاْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }..

يقول تعالى ذكره: فرقناهم, يعني قوم موسى من بني إسرائيل, فرّقهم الله فجعلهم قبائل شتى, اثنتي عشرة قبيلة. وقد بيّنا معنى الأسباط فيما مضى ومن هم.

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الاثنتي عشرة والأسباط جمع مذكر, فقال بعض نحويي البصرة: أراد اثنتي عشرة فرقة, ثم أخبر أن الفِرَق أسباط, ولم يجعل العدد على أسباط. وكان بعضهم يَسْتَخِلّ هذا التأويل ويقول: لا يخرج العدد على عين الثاني, ولكن الفِرق قبل الاثنتي عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها, ويكون الكلام: وقطعناهم فِرَقا اثنتي عشرة أسباطا, فيصحّ التأنيث لما تقدّم. وقال بعض نحويي الكوفة, إنما قال اثنتي عشرة بالتأنيث والسبط مذكر, لأن الكلام ذهب إلى الأمم فغلّب التأنيث وإن كان السبط ذكرا, وهو مثل قول الشاعر:

وَإنّ كِلابا هَذِهِ عَشْرُ أبْطُنٍوأنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قَبائِلِهاالعَشْرِ

ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة, فلذلك جمع البطن بالتأنيث.

وكان آخرون من نحويي الكوفة يقولون: إنما أنث «الاثنتا عشرة» و «السبط» ذَكر, لذكر «الأمم».

والصواب من القول في ذلك عندي أن الاثنتي عشرة أنثت لتأنيث القطعة. ومعنى الكلام: وقطعناهم قطعا اثنتي عشرة, ثم ترجم عن القطع بالأسباط. وغير جائز أن تكون الأسباط مفسرة عن الاثنتي عشرة وهي جمع, لأن التفسير فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع, والأسباط جمع لا واحد, وذلك كقولهم: عندي اثنتا عشرة امرأة, ولا يقال: عندي اثنتا عشرة نسوة, ففي ذلك أن الأسباط ليست بتفسير للاثنتي عشرة, وإن القول في ذلك على ما قلنا. وأما الأمم فالجماعات, والسبط في بني إسرائيل نحو القرن. وقيل: إنما فرّقوا أسباطا لاختلافهم في دينهم.

القول في تأويل قوله تعالى: وأوْحَيْنا إلى مُوسَى إذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أنِ اضْرِبْ بعَصَاكَ الحَجَرَ فانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْنا قَدْ عَلِمَ كُلّ أُناسٍ مَشْرَبهُمْ وَظَلّلْنا عَلَيْهِمُ الغَمامَ وأنْزَلْنا عَلَيْهِمُ المَنّ والسّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَما ظَلَمُونا وَلَكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمونَ.

يقول تعالى ذكره: وأوحينا إلى موسى إذ فرّقنا بني إسرائيل قومه اثنتي عشرة فرقة, وتيهناهم في التيه فاستسقوا موسى من العطش وغئور الماء أن اضْرِبْ بعَصَاكَ الحَجَرَ وقد بينا السبب الذي كان قومه استسقوه, وبيَّنا معنى الوحي بشواهده. فانْبَجَسَتْ فانصبت وانفجرت من الحجر اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْنا من الماء, قَدْ عَلِمَ كُلّ أُناسٍ يعني: كلّ أناس من

الأسباط الاثنتي عشرة مَشرَبَهُمْ لا يدخل سبط على غيره في شربه. وَظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الغَمامَ يُكِنّهم من حرّ الشمس وأذاها. وقد بيّنا معنى الغمام فيما مضى قبل, وكذلك المنّ والسلوى. وأنْزَلْنا عَلَيْهِمُ المَنّ والسّلْوَى طعاما لهم. كُلُوا مِنْ طَيّباتِ ما رَزَقْناكُمْ يقول: وقلنا لهم: كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيّبناه لكم. وَما ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ, وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك, وهو: فأجمعوا ذلك وقالوا: لن نصبر على طعام واحد, فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. وَما ظَلَمُونا يقول: وما أدخلوا علينا نقصا في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا, وفعلهم ما فعلوا. وَلَكِنْ كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ: أي ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير والأرذل بالأفضل.

الآية : 161

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجّداً نّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيَئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيضا يا محمد من خطإ فعل هؤلاء القوم وخلافهم على ربهم وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: اسْكُنُوا هَذِهِ القَرْيَةَ وهي قرية بيت المقدس, وكُلُوا مِنْها يقول: من ثمارها وحبوبها ونباتها, حَيْثُ شِئْتُمْ منها يقول: أنى شئتم منها, وَقُولُوا حِطّةٌ يقول: وقولوا: هذه الفعلة حطة تحطّ ذنوبنا, نَغْفِرْ لَكُمْ: يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم, فيعفو لكم عنها, فلا يؤاخذكم بها. سَنزِيدُ المُحْسِنِينَ منكم, وهم المطيعون لله, على ما وعدتكم من غفران الخطايا. وقد ذكرنا الروايات في كل ذلك باختلاف المختلفين والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى بما أغني عن إعادته.

الآية : 162

القول في تأويل قوله تعالى: {فَبَدّلَ الّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مّنَ السّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول, فقالوا: وقد قيل لهم قولوا هذه حطة: حنطة في شعيرة وقولهم ذلك كذلك هو غير القول الذي قيل لهم قولوه. يقول الله تعالى: فَأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزا مِنَ السّماءِ: بعثنا عليهم عذابا أهلكناهم بما كانوا يغيّرون ما يُؤمرون به, فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ويقولون غير الذي أمرهم الله بقيله. وقد بيّنا معنى الرجز فيما مضى.

الآية : 163

القول في تأويل قوله تعالى: {وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ }..

يقول تعالى ذكره: واسأل يا محمد هؤلاء اليهود وهم مجاوروك, عن أمر القرية التي كانت حاضرة البحر, يقول: كانت بحضرة البحر أي بقرب البحر وعلى شاطئه.

واختلف أهل التأويـل فـيها, فقال بعضهم: هي أيـلة. ذكر من قال ذلك.
11919ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن مـحمد بن إسحاق, عن داود بن حصين, عن عكرمة عن ابن عبـاس: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ قال: هي قرية يقال لها أيـلة, بـين مدين والطور.
11920ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثـير, فـي قوله: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ قال: سمعنا أنها أيـلة.
11921ـ حدثنـي سلام بن سالـم الـخزاعيّ, قال: حدثنا يحيى بن سلـيـم الطائفـيّ, قال: حدثنا ابن جريج, عن عكرمة, قال: دخـلت علـى ابن عبـاس والـمصحف فـي حجره, وهو يبكي, فقلت: ما يبكيك جعلنـي الله فداك؟ فقال: ويـلك, وتعرف القرية التـي كانت حاضرة البحر؟ فقلت: تلك أيـلة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي بكر الهذلـيّ, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ قال: هي أيـلة.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس, قال: هي قرية علـى شاطىء البحر بـين مصر والـمدينة يقال لها أيـلة.
11922ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قال: هم أهل أيـلة, القرية التـي كانت حاضرة البحر.
11923ـ حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا أبو سعد, عن مـجاهد, فـي قوله: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ قال أيـلة.
وقال آخرون: معناه: ساحل مدين.
11924ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ... الآية, ذكر لنا أنها كانت قرية علـى ساحل البحر يقال لها أيـلة.
وقال آخرون: هي مقنا. ذكر من قال ذلك.
11925ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن يزيد, فـي قوله: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ قال: هي قرية يقال لها مقنا بـين مدين وعينونَى.
وقال آخرون: هي مدين. ذكر من قال ذلك.
11926ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قال: ثنـي مـحمد بن إسحاق, عن داود بن الـحصين, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: هي قرية بـين أيـلة والطور يقال لها مدين.
والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: هي قرية حاضرة البحر, وجائز أن يكون أيـلة, وجائز أن تكون مدين, وجائز أن تكون مقنا لأن كلّ ذلك حاضرة البحر. ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأن ذلك من أيّ, والاختلاف فـيه علـى ما وصفت, ولا يوصل إلـى علـم ما قد كان فمضى مـما لـم نعاينه, إلاّ بخبر يوجب العلـم ولا خبر كذلك فـي ذلك.
وقوله: إذْ يَعْدُونَ فـي السّبْتِ يعنـي به أهله: إذ يعتدون فـي السبت أمر الله, ويتـجاوزونه إلـى ما حرّمه الله علـيهم, يقال منه: عدا فلان أمرى واعتدى: إذا تـجاوزه. وكان اعتداؤهم فـي السبت أن الله كان حرّم علـيهم السبت, فكانوا يصطادون فـيه السمك. إذْ تَأتِـيهِمْ حيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ

شُرّعا: يقول: إذ تأتـيهم حيتانهم يوم سبتهم الذي نهوا فـيه عن العمل شرّعا, يقول: شارعة ظاهرة علـى الـماء من كلّ طريق وناحية كشوارع الطوق. كالذي:
11927ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعد, عن بشر بن عمارة, عن أبـي روق, عن الضحاك عن ابن عبـاس: إذْ تأتِـيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرّعا يقول: ظاهرة علـى الـماء.
11928ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس شُرّعا يقول: من كلّ مكان.
وقوله: وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ يقول: ويوم لا يعظمونه تعظيـمهم السبت, وذلك سائر الأيام غير يوم السبت, لا تأتـيهم الـحيتان. كذلكَ نَبْلُوهُمْ بِـمَا كانُوا يَفْسُقُونَ يقول: كما وصفنا لكم من الاختبـار والابتلاء الذي ذكرنا بإظهار السمك لهم علـى ظهر الـماء فـي الـيوم الـمـحرّم علـيهم صيده, وإخفـائها عنه فـي الـيوم الـمـحلل صيده, كذلك نبلوهم ونـختبرهم بـما كَانُوا يَفْسُقُونَ يقول: بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.
واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ فقُرىء بفتـح الـياء من «يسبتون» من قول القائل: سَبَتَ فلان يَسْبِتُ سَبْتا وسُبُوتا: إذا عظّم السبت. وذُكر عن الـحسن البصري أنه كان يقرؤه: «وَيَوْمَ لا يُسْبِتُونَ» بضم الـياء, من أسْبَتَ القوم يسبتون: إذا دخـلوا فـي السبت, كما يقال: أجمعنا مرّت بنا جمعة, وأشهرنا مرّ بنا شهر, وأسبتنا مرّ بنا سبت. ونصب «يوم» من قوله: وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ بقوله: لا تَأتِـيهِمْ, لأن معنى الكلام: لا تأتـيهم يوم لا يسبتون.

الآية : 164

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا قَالَتْ أُمّةٌ مّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىَ رَبّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ}..
يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيضا يا مـحمد, إذ قالت أمة منهم, جماعة منهم لـجماعة كانت تعظ الـمعتدين فـي السبت وتنهاهم عن معصية الله فـيه: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكهُمْ فـي الدنـيا بـمعصيتهم إياه, وخلافهم أمره, واستـحلالهم ما حرّم علـيهم. أوْ مُعَذّبُهُمْ عَذَابـا شَدِيدا فـي الآخرة, قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مـجيبـيهم عن قولهم: عظتنا إياهم مَعْذِرَةً إلـى رَبّكُمْ نؤدّي فرضه علـينا فـي الأمر بـالـمعروف والنهي عن الـمنكر. وَلَعَلّهُمْ يَتّقونَ يقول: ولعلهم أن يتقوا الله فـيخافوه, فـينـيبوا إلـى طاعته ويتوبوا من معصيتهم إياه وتعدّيه علـى ما حرّم علـيهم من اعتدائهم فـي السبت. كما:
11929ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن داود بن الـحصين, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: قالُوا مَعْذِرَةً إلـى رَبّكُمْ لسخطنا أعمالهم. وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ: أي ينزعون عما هم علـيه.
11930ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلَعلّهُمْ يَتّقُونَ قال: يتركون هذا العمل الذي هم علـيه.
واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: قالُوا مَعْذِرَةً فقرأ ذلك عامة قرّاء الـحجاز والكوفة والبصرة: «مَعْذِرَةٌ» بـالرفع علـى ما وصفت من معناها.

وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة: مَعْذِرَةً نصبا, بمعنى: إعذارا وعظناهم وفعلنا ذلك.

واختلف أهل العلم في هذه الفرقة التي قالت: لِمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ هل كانت من الناجية, أم من الهالكة؟ فقال بعضهم: كانت من الناجية, لأنها كانت من الناهية الفرقةَ الهالكة عن الاعتداء في السبت. ذكر من قال ذلك.

11931ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ قالَتْ أُمّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مُعَذّبُهُمْ عَذَابا شَدِيدا هي قرية على شاطىء البحر بين مكة والمدينة يقال لها أيلة, فحرّم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم, فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرّعا في ساحل البحر, فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها, فمكثوا بذلك ما شاء الله. ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم, فنهتهم طائفة وقالوا: تأخذونها وقد حرّمها الله عليكم يوم سبتكم فلم يزدادوا إلاّ غيّا وعتوّا, وجعلت طائفة أخرى تنهاهم. فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة: تعلمون أن هؤلاء قوم قد حقّ عليهم العذاب لِمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ؟ وكانوا أشدّ غضبا لله من الطائفة الأخرى, فقالوا: معذِرَةً إلى رَبّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ وكلّ قد كانوا ينهون. فلما وقع عليهم غضب الله, نجت الطائفتان اللتان قالوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ, والذين قالوا: مَعْذِرَةً إلى رَبّكُمْ, وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان, فجعلهم قردة وخنازير.

11932ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ... إلى قوله: وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأتِيهِم وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم, يقول: إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرّعا, يعني من كلّ مكان, ويَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأتِيهِمْ. وأنهم قالوا: لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ما يكفينا فيما سوى ذلك من الأيام. فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم. وقالت طائفة من المؤمنين: إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه, والله مخزيهم ومعذّبهم عذابا شديدا. قال المؤمنون بعضهم لبعض: مَعْذِرَةً إلى رَبّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ إن كان هلاك فلعلنا ننجو وإما أن ينتهوا فيكون لنا أجرا. وقد كان الله جعل على بني إسرائيل يوما يعبدونه ويتفرّغون له فيه, وهو يوم الاثنين, فتعدّى الخبثاء من الاثنين إلى السبت, وقالوا: هو يوم السبت. فنهاهم موسى, فاختلفوا فيه, فجعل عليهم السبت, ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه. وإن رجلاً منهم ذهب ليحتطب, فأخذه موسى عليه السلام, فسأله: هل أمرك بهذا أحد؟ فلم يجد أحدا أمره, فرجمه أصحابه.

11933ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قال بعض الذين نهوهم لبعض: لِمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ عَذَابا شَدِيدا؟ يقول: لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم؟ فقال بعضهم: مَعْذِرَةً إلى رَبّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ.

11934ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا معاذ بن هانىء, قال: حدثنا حماد, عن داود, عن عكرمة, عن ابن عباس: وَإِذْ قالَتْ أُمّةٌ مِنْهُمْ لِمَ

تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ عَذَابـا شَدِيدا قال: ما أدري أنـجا الذين قالوا: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أم لا؟ قال: فلـم أزل به حتـى عرّفته أنهم قد نـجوا, فكسانـي حُلّة.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا حماد, عن داود, عن عكرمة, قال: قرأ ابن عبـاس هذه الآية, فذكر نـحوه, إلا أنه قال فـي حديثه: فما زلت أبصّره حتـى عرف أنهم قد نـجوا.

حدثنـي سلام بن سالـم الـخزاعي, قال: حدثنا يحيى بن سلـيـم الطائفـي, قال: حدثنا ابن جريج, عن عكرمة, قال: دخـلت علـى ابن عبـاس والـمصحف فـي حجره وهو يبكي, فقلت: ما يبكيك جعلنـي الله فداءك؟ قال: فقرأ: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ... إلـى قوله: بِـمَا كانُوا يَفْسُقُونَ قال ابن عبـاس: لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نـخاف أن نكون مثلهم. فقلت: أما تسمع الله يقول: فَلَـمّا عَتَوْا عَمّا نُهوا عَنْه؟ فسرّي عنه وكسانـي حُلّة.

11935ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: ثنـي رجل, عن عكرمة, قال: جئت ابن عبـاس يوما وهو يبكي, وإذا الـمصحف فـي حجره, فأعظمت أن أدنو, ثم لـم أزل علـى ذلك حتـى تقدمت فجلست, فقلت: ما يبكيك يا ابن عبـاس جعلنـي الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات. قال: وإذا هو فـي سورة الأعراف. قال: تعرف أيـلة؟ قلت: نعم. قال: فإنه كان حيّ من يهود سيقت الـحيتان إلـيهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون علـيها حتـى يغوصوا بعد كدّ ومؤنة شديدة, كانت تأتـيهم يوم السبت شرّعا بـيضا سمانا كأنها الـماخض, تنتطح ظهورها لبطونها بأفنـيتهم وأبنـيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر, ثم إن الشيطان أوحى إلـيهم, فقال: إنـما نهيتـم عن أكلها يوم السبت, فخذوها فـيه وكلوها فـي غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم, وقالت طائفة منهم: بل نهيتـم عن أكلها وأخذها وصيدها فـي يوم السبت. وكانوا كذلك حتـى جاءت الـجمعة الـمقبلة, فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها, واعتزلت طائفة ذات الـيـمين وتنـحت, واعتزلت طائفة ذات الـيسار وسكتت, وقال الأيـمنون: الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله, وقال الأيسرون: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ عَذَابـا شَدِيدا؟ قال الأيـمنون: مَعْذِرَةً إلـى رَبّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ أي ينتهون, فهو أحبّ إلـينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا, وإن لـم ينتهوا فمعذرة إلـى ربكم. فمضوا علـى الـخطيئة, فقال الأيـمنون: قد فعلتـم يا أعداء الله, والله لا نبـايتكم اللـيـلة فـي مدينتكم, والله ما نراكم تصبحون حتـى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده بـالعذاب فلـما أصبحوا ضربوا علـيهم البـاب ونادوا, فلـم يجابوا, فوضعوا سلـما وأعلوا سور الـمدينة رجلاً, فـالتفت إلـيهم فقال: أي عبـاد الله قردة والله تعاوى لها أذناب قال: ففتـحوا فدخـلوا علـيهم, فعرفت القردة أنسابها من الإنس, ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة, فجعلت القرود تأتـي نسيبها من الإنس, فتشمّ ثـيابه وتبكي, فتقول لهم: ألـم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها نعم. ثم قرأ ابن عبـاس: فَلَـمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ أنْـجَيْنا الّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ وأخَذْنا الّذِينَ ظَلَـمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِـمَا كانُوا يَفْسُقُونَ قال: فأرى الـيهود الذين نهوا قد نـجوا, ولا أرى الآخرين ذكروا, ونـحن نرى أشياء ننكرها, فلا نقول فـيها, قال: قلت: أي جعلنـي الله فداك, ألا ترى أنهم قد

كرهوا ما هم علـيه وخالفوهم وقالوا: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ؟ قال: فأمر بـي فكسيت بردين غلـيظين.
11936ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحرِ ذكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الـحيتان حتـى تنتطح علـى سواحلهم وأفنـيتهم لـما بلغها من أمر الله فـي الـماء, فإذا كان فـي غير يوم السبت بعُدت فـي الـماء حتـى يطلبها طالبهم, فأتاهم الشيطان, فقال: إنـما حرم علـيكم أكلها يوم السبت, فـاصطادوها يوم السبت وكلوها فـيـما بعد... قوله: وَإذْ قالَتْ أُمّةٌ مِنْهُمْ لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ عَذَابـا شَدِيدا قالُوا مَعْذِرَةً إلـى رَبّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ فصار القوم ثلاثة أصناف: أما صنف, فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله. وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله. وأما صنف فـانتهك الـحرمة ووقع فـي الـخطيئة.
11937ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, عن ابن عبـاس فـي قول الله: حاضِرَةَ البَحْرِ قال: حرمت علـيهم الـحيتان يوم السبت, وكانت تأتـيهم يوم السبت شرّعا, بلاء ابتلوا به, ولا تأتـيهم فـي غيره إلا أن يطلبوها, بلاء أيضا بـما كانوا يفسقون. فأخذوها يوم السبت استـحلالاً ومعصية, فقال الله لهم: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ إلا طائفة منهم لـم يعتدوا ونهوهم, فقال بعضهم لبعض: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما.
11938ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَإذْ قالَتْ أُمّةٌ مِنْهُمْ لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ... حتـى بلغ: وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ لعلهم يتركون ما هم علـيه. قال: كانوا قد بلوا بكفّ الـحيتان عنهم, وكانوا يسبتون فـي يوم السبت, ولا يعملون فـيه شيئا, فإذا كان يوم السبت أتتهم الـحيتان شرّعا, وإذا كان غير يوم السبت لـم يأت حوت واحد. قال: وكانوا قوما قد قرنوا بحبّ الـحيتان, ولقوا منه بلاء, فأخذ رجل منهم حوتا, فربط فـي ذنبه خيطا, ثم ربطه إلـى خَشَفَة, ثم تركه فـي الـماء, حتـى إذا غربت الشمس من يوم الأحد اجترّه بـالـخيط, ثم شواه. فوجد جار له ريح حوت, فقال: يا فلان إنـي أجد فـي بـيتك ريح نون فقال: لا. قال: فتطلع فـي تنوره فإذا هو فـيه فأخبره حينئذ الـخبر, فقال: إنـي أرى الله سيعذّبك. قال: فلـما لـم يره عجل عذابـا, فلـما أتـى السبت الآخر أخذ اثنـين فربطهما, ثم اطلع جار له علـيه. فلـما رآه لـم يعجل عذابـا جعلوا يصيدونه, فـاطلع أهل القرية علـيهم, فنهاهم الذين ينهون عن الـمنكر, فكانوا فرقتـين: فرقة تنهاهم وتكفّ, وفرقة تنهاهم ولا تكفّ, فقال الذين نهوا وكفوا للذين ينهون ولا يكفون: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ عَذَابـا شَدِيدا فقال الآخرون: مَعْذِرَةً إلـى رَبّكُمْ وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ فقال الله: فَلَـمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ أنْـجَيْنا الّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ... إلـى قوله: بِـمَا كانُوا يَفْسُقُونَ قال الله: فَلَـمّا عَتَوْا عَمّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ وقال لهم أهل تلك القرية: عملتـم بعمل سوّء, من كان يريد يعتزل ويتطهر فلـيعتزل هؤلاء قال: فـاعتزل هؤلاء وهؤلاء فـي مدينتهم, وضربوا بـينهم سورا, فجعلوا فـي ذلك السور أبوابـا يخرج بعضهم إلـى بعض. قال: فلـما كان اللـيـل طرقهم الله بعذابه, فأصبح أولئك الـمؤمنون لا يرون منهم أحدا, فدخـلوا علـيهم, فإذا هم قردة, الرجل وأزواجه وأولاده. فجعلوا

يدخـلون علـى الرجل يعرفونه, فـيقولون: يا فلان ألـم نـحذّرك سطوات الله؟ ألـم نـحذرك نقِمات الله؟ ونـحذّرك ونـحذرك؟ قال: فلـيس إلا بكاء. قال: وأنـما عذّب الله الذين ظلـموا الذين أقاموا علـى ذلك. قال: وأما الذين نهوا فكلهم قد نَهَى, ولكن بعضهم أفضل من بعض فقرأ: أَنْـجَيْنا الّذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ وأخَذْنا الّذِين ظَلَـمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِـمَا كانُوا يَفْسُقُونَ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا الـمحاربـي, عن داود, عن عكرمة, قال: قرأ ابن عبـاس هذه الآية: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ عَذَابـا شَدِيدا قال: لا أدري أنـجا القوم أو هلكوا؟ فما زلت أبصّره حتـى عرف أنهم نـجوا, وكسانـي حُلّة.

11939ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنـي أشهب بن عبد العزيز, عن مالك, قال: زعم ابن رومان أن قوله: تَأتِـيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرّعا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأتِـيهِمْ قال: كانت تأتـيهم يوم السبت, فإذا كان الـمساء ذهبت فلا يرى منها شيء إلـى السبت, فـاتـخذ لذلك رجل منهم خيطا ووتدا, فربط حوتا منها فـي الـماء يوم السبت, حتـى إذا أمسوا لـيـلة الأحد أخذه فـاشتواه, فوجد الناس ريحه, فأتوه فسألوه عن ذلك, فجحدهم, فلـم يزالوا به حتـى قال لهم: فإنه جلد حوت وجدناه فلـما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك, ولا أدري لعله قال: ربط حوتـين, فلـما أمسى من لـيـلة الأحد أخذه فـاشتواه, فوجدوا ريحه, فجاءوا فسألوه, فقال لهم: لو شئتـم صنعتـم كما أصنع, فقالوا له: وما صنعت؟ فأخبرهم, ففعلوا مثل ما فعل, حتـى كثر ذلك. وكانت لهم مدينة لها ربَض, فغلّقوها علـيهم, فأصابهم من الـمسخ ما أصابهم, فغدا إلـيهم جيرانهم مـمن كان يكون حولهم, يطلبون منهم ما يطلب الناس, فوجدوا الـمدينة مغلقة علـيهم, فنادوا فلـم يجيبوهم, فتسوّروا علـيهم, فإذا هم قردة, فجعل القرد يدنو يتـمسح بـمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتـمسح به.

وقال آخرون: بل الفرقة التـي قالت: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ كانت من الفرقة الهالكة. ذكر من قال ذلك:

11940ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن مـحمد بن إسحاق, عن داود بن حصين, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ... إلـى قوله: شُرّعا قال: قال ابن عبـاس: ابتدعوا السبت, فـابتلوا فـيه, فحرّمت علـيهم فـيه الـحيتان, فكانوا إذا كان يوم السبت شرَعت لهم الـحيتان ينظرون إلـيها فـي البحر, فإذا انقضى السبت ذهبت, فلـم تر حتـى السبت الـمقبل, فإذا جاء السبت جاءت شرّعا. فمكثوا ما شاء الله أن يـمكثوا كذلك, ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتا فخزم أنفه, ثم ضرب له وتدا فـي الساحل وربطه وتركه فـي الـماء, فلـما كان الغد أخذه فشواه فأكله. ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون, ولا ينهاه منهم أحد إلا عصبة منهم نهوه, حتـى ظهر ذلك فـي الأسواق وفعل علانـية, قال: فقالت طائفة للذين ينهون: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ عَذَابـا شَدِيدا قالُوا مَعْذِرَةً إلـى رَبّكُمْ فـي سخطنا أعمالهم وَلَعَلّهُمْ يَتّقُونَ فَلَـمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ... إلـى قوله: قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ. قال ابن عبـاس: كانوا أثلاثا: ثلث نهوا, وثلث قالوا: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ, وثلث أصحاب الـخطيئة. فلـما نـجا إلا الذين نهوا, وهلك سائرهم, فأصبح الذين نهوا عن السوء ذات يوم فـي مـجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم, فغلقوا علـيهم

دورهم, فجعلوا يقولون: إن للناس لشأنا, فـانظروا ما شأنهم فـاطلعوا فـي دورهم, فإذا القوم قد مسخوا فـي ديارهم قردة, يعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد, ويعرفون الـمرأة بعينها وإنها لقردة, قال الله: فجَعَلْناها نَكالاً لِـمَا بـينَ يَدَيْها وما خَـلْفَها وَمَوْعِظَةً لِلْـمُتّقِـينَ.

11941ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن أبـي بكر الهذلـيّ, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: أنْـجَيْنا الّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ... الآية, قال ابن عبـاس: نـجا الناهون, وهلك الفـاعلون, ولا أدري ما صنع بـالساكتـين.

11942ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن ابن عبـاس: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ قال: هم ثلاث فرق: الفرقة التـي وعظت, والـموعوظة التـي وُعِظت, والله أعلـم ما فعلت الفرقة الثالثة, وهم الذين قالوا: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ.

وقال الكلبـي: هما فرقتان: الفرقة التـي وعظت, والفرقة التـي قالت: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ قال: هي الـموعوظة.

11943ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيـينة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قال: لأن أكون علـمتُ مَنْ هؤلاء الذين قالوا: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أوْ مَعَذّبُهُمْ عَذَابـا شَدِيدا أحبّ إلـيّ مـما عدل به.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, قال: قال ابن عبـاس: وَإذْ قالَتْ أُمّةٌ مِنْهُمْ لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ قال: أسمع الله يقول: أنْـجَيْنا الّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ وأخَذْنا الّذِينَ ظَلَـمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ فلـيت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا: لِـمَ تَعِظُونَ قَوْما اللّهُ مُهْلِكُهُمْ.

11944ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن ماهان الـحنفـيّ أبـي صالـح, فـي قوله: تَأْتِـيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرّعا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِـيهِمْ قال: كانوا فـي الـمدينة التـي علـى ساحل البحر, وكانت الأيام ستة, الأحد إلـى الـجمعة, فوضعت الـيهود يوم السبت, وسَبَتوه علـى أنفسهم, فسبته الله علـيهم, ولـم يكن السبت قبل ذلك, فوكّده الله علـيهم, وابتلاهم فـيه بـالـحيتان, فجعلت تشرع يوم السبت, فـيتقون أن يصيبوا منها, حتـى قال رجل منهم: والله ما السبت بـيوم وكّده الله علـينا, ونـحن وكدناه علـى أنفسنا, فلو تناولت من هذا السمك فتناول حوتا من الـحيتان, فسمع بذلك جاره, فخاف العقوبة فهرب من منزله. فلـما مكث ما شاء الله ولـم تصبه عقوبة تناول غيره أيضا فـي يوم السبت. فلـما لـم تصبهم العقوبة كثر من تناول فـي يوم السبت, واتـخذوا يوم السبت ولـيـلة السبت عيدا يشربون فـيه الـخمور ويـلعبون فـيه بـالـمعازف, فقال لهم خيارهم وصلـحاؤهم: ويحكم, انتهوا عما تفعلون, إن الله مهلككم أو معذّبكم عذابـا شديدا أفلا تعقلون؟ ولا تعدوا فـي السبت فأبوا, فقال خيارهم: نضرب بـيننا وبـينهم حائطا ففعلوا. وكان إذا كان لـيـلة السبت تأدّوا بـما يسمعون من أصواتهم وأصوات الـمعازف. حتـى إذا كانت اللـيـلة التـي مسخوا فـيها, سكنت أصواتهم أوّل اللـيـل, فقال خيارهم: ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم اللـيـلة؟ فقال بعضهم: لعلّ الـخمر غلبتهم فناموا. فلـما أصبحوا لـم يسمعوا لهم حسّا, فقال بعضهم لبعض: ما لنا لا نسمع من قومكم حسّا؟ فقالوا لرجل: اصعد الـحائط وانظر ما شأنهم فصعد الـحائط فرآهم يـموج بعضهم فـي بعض, قد مسخوا قردة, فقال لقومه: تعالوا

فـانظروا إلـى قومكم ما لقوا فصعدوا, فجعلوا ينظرون إلـى الرجل, فـيتوسمون فـيه, فـيقولون: أي فلان أنت فلان؟ فـيومىء بـيده إلـى صدره: أي نعم بـما كسبت يداي.

11945ـ حدثنـي يعقوب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن علـية, عن أيوب قال: تلا الـحسن ذات يوم: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ إذْ يَعْدُونَ فِـي السّبْتِ إذْ تَأتِـيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرّعا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأتِـيهِمْ كذلكَ نَبْلُوهُمْ بِـمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فقال: كان حوتا حرّمه الله علـيهم فـي يوم وأحله لهم فـيـما سوى ذلك, فكان يأتـيهم فـي الـيوم الذي حرّمه الله علـيهم كأنه الـمخاض لا يـمتنع من أحد, وقلّـما رأيت أحدا يكثر الاهتـمام بـالذنب إلا واقعه. قال: فجعلوا يهمون ويـمسكون حتـى أخذوه, فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قطّ, أثقله خزيا فـي الدنـيا وأشدّه عقوبة فـي الآخرة, وايـمُ الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن, وللـمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت, ولكن الله جعل موعد قوم الساعة والسّاعَةُ أدْهَى وأَمَرّ.

11946ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا سفـيان, عن أبـي موسى, عن الـحسن, قال: جاءتهم الـحيتان تشرع فـي حياضهم كأنها الـمخاض, فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قطّ, أسوأه عقوبة فـي الدنـيا وأشدّه عذابـا فـي الآخرة. وقال الـحسن: وقتل الـمؤمن والله أعظم من أكل الـحيتان.

11947ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, قال: كنت جالسا فـي الـمسجد, فإذا شيخ قد جاء وجلس الناس إلـيه, فقالوا: هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود, فقال: قال ابن مسعود: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ التـي كانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ... الآية, قال: لـما حرّم علـيهم السبت كانت الـحيتان تأتـي يوم السبت, وتأمن وتـجيء فلا يستطيعون أن يـمسّوها, وكان إذا ذهب السبت ذهبت, فكانوا يتصيّدُونَ كما يتصيّد الناس. فلـما أرادوا أن يعدوا فـي السبت, اصطادوا, فنهاهم قوم من صالـحيهم, فأبوا, وكثّرهم الفجار, فأراد الفجار قتالهم, فكان فـيهم من لا يشتهون قتاله, أبو أحدهم وأخوه أو قريبه. فلـما نهوهم وأبوا, قال الصالـحون: إنا نبـاينهم, وإنا نـجعل بـيننا وبـينهم حائطا ففعلوا, فلـما فقدوا أصواتهم, قالوا: لو نظرتـم إلـى إخوانكم ما فعلوا فنظروا فإذا هم قد مسخوا قردة, يعرفون الكبـير بكبره والصغير بصغره, فجعلوا يبكون إلـيهم. وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم.

الآية : 165

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَماّ نَسُواْ مَا ذُكّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُوَءِ وَأَخَذْنَا الّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: فلـما تركت الطائفة الّتـي اعتدت فـي السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فـيه وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها ما ذكرتها به من تـحذيرها عقوبة الله علـى معصيتها فتقدمت علـى استـحلال ما حرّم الله علـيها, أنـجى الله الذين ينهون منهم عن السوء, يعنـي عن معصية الله, واستـحلال حرمه. وأخَذْنا الّذِينَ ظَلَـمُوا يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا فـي السبت فـاستـحلوا فـيه ما حرّم الله من صيد السمك وأكله, فأحلّ بهم بأسه وأهلكهم. بِعَذَابٍ شديد بِئِيسٍ بِـمَا كانُوا يَفْسُقونَ يخالفون أمر الله, فـيخرجون من طاعته إلـى معصيته, وذلك هو الفسق.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11948ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جريج, في قوله: فَلَمّا نَسُوا ما ذُكّرُوا بِهِ أنْجَيْنا الّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ قال: فلما نسوا موعظة المؤمنين إياهم, الذين قالوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْما.
11949ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا حرميّ, قال: ثني شعبة, قال: أخبرني عمارة, عن عكرمة, عن ابن عباس: أنْجَيْنا الّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السّوءِ قال: يا ليت شعري ما السوء الذي نهوا عنه.
وأما قوله: بِعَذَابٍ بَئِيسٍ فإن القرّاء اختلفت في قراءته, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «بِعَذَابٍ بِيسٍ» بكسر الباء وتخفيف الياء بغير همز, على مثال «فِعْل». وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة: بِعَذَابٍ بَئِيسٍ على مثل «فعيل» من البؤس, بنصب الباء وكسر الهمزة ومدّها. وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين, غير أنه كسر بار: «بِئِيسٍ» على مثال «فِعِيل». وقرأه بعض الكوفيين: «بَيْئِسٍ» بفتح الباء, وتسكين الياء, وهمزة بعدها مكسورة على مثال «فَيْعِلٍ». وذلك شاذّ عند أهل العربية, لأن «فيعل» إذا لم يكن من ذوات الياء والواو, فالفتح في عينه الفصيح في كلام العرب, وذلك مثل قولهم في نظيره من السالم: صيقل, ونيرب, وإنما تكسر العين من ذلك في ذوات الياء والواو, كقولهم: سيد, وميت. وقد أنشد بعضهم قول امرىء القيس بن عابس الكنديّ:
كِلاهُما كانَ رَئِيسا بَيْئِسَايَصْرِبُ فِي يَوْمِ الهِياجِ القَوْنَسا
بكسر العين من «فَيْعِل», وهي الهمزة من بيئِس. فلعلّ الذي قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه. وذكر عن آخر من الكوفيين أيضا أنه قرأه: بَيْئَس نحو القراءة التي ذكرناها قبل هذه, وذلك بفتح الباء وتسكين الياء وفتح الهمزة بعد الياء على مثال «فَيْعَل» مثل «صَيْقَل». وروي عن بعض البصريين أنه قرأه: «بَئِس» بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال «فَعِل», كما قال ابن قيس الرقيات:
لَيْتَنِي ألْقَي رُقَيّةَ فِيخَلْوَةٍ مِنْ غيرِ ما بَئِسِ
وروى عن آخر منهم أنه قرأ: «بِئْسَ» بكسر الباء وفتح السين على معنى بئس العذاب.
وأولى هذه القراءات عندي بالصواب قراءة من قرأه: بَئِيس بفتح الباء وكسر الهمزة ومدّها على مثال فَعِيل, كما قال ذو الأصبع العدواني:
حَنَقا عَليّ وَلَنْ تَرَلي فِيهِمُ أثَرا بَئِيسا
لأن أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد, فدلّ ذلك على صحة ما اخترنا. ذكر من قال ذلك:
11950ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: أخبرني رجل عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: وأخَذْنا الّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ: أليم وجيع.
11951ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بِعَذَابٍ بَئِيسٍ قال: شديد.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بِعَذَابٍ بَئِيسٍ: أليم شديد.
11952ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: بِعَذَابٍ بَئِيسٍ قال: موجع.

11953ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: بِعَذَابٍ بَئِيسٍ قال: بعذاب شديد.

الآية : 166

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمآ عَتَوْاْ عَن مّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ }..

يقول تعالى ذكره: فلما تمرّدوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت, واستحلالهم ما حرّم الله عليهم من صيد السمك وأكله وتمادوا فيه قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ: أي بُعداء من الخير.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11954ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَلَمّا عَتَوْا عَمّا نُهُوا عَنْهُ يقول: لما مرد القوم على المعصية. قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ فصاروا قردة لها أذناب تَعَاوَى بعد ما كانوا رجالاً ونساء.

11955ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَلَمّا عَتَوْا عَمّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ فجعل الله منهم القردة والخنازير. فزعم أن شباب القوم صاروا قردة, وأن المشيخة صاروا خنازير.

11956ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحمانيّ, قال: حدثنا شريك, عن السديّ, عن أبي مالك أو سعيد بن جبير, قال: رأى موسى عليه السلام رجلاً يحمل قصبا يوم السبت, فضرب عنقه.

الآية : 167

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذّنَ رَبّكَ لَيَبْعَثَنّ عَلَيْهِمْ إِلَىَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ إِنّ رَبّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنّهُ لَغَفُورٌ رّحِيمٌ }..

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَإِذْ تَأَذّنَ واذكر يا محمد إذ آذن ربك فأعلم. وهو تفعل من الإيذان, كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

آذَنَ اليَوْمَ جِيرَتِي بِخُفُوفِصَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ

يعني بقوله آذن: أعلم, وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11957ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَإِذْ تَأَذّنَ رَبّكَ قال: أمر ربك.

حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز. قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد: وَإِذْ تَأَذّنَ رَبّكَ قال: أمر ربك.

وقوله: لَيَبْعَثَنّ عَلَيْهِمْ يعني: أعلم ربك ليبعثنّ على اليهود من يسومهم سوء العذاب, قيل: إن ذلك العرب بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية, ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صَغَارا وذلة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11958ـ حدثني المثنى بن إبراهيم وعليّ بن داود قالا: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ تَأَذّنَ رَبّكَ لَيَبْعَثَنّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ يَسُومهُمْ سُوءَ العَذَابِ قال: هي

الـجزية, والذين يسومونهم: مـحمد صلى الله عليه وسلم وأمته إلـى يوم القـيامة.
11959ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ فهي الـمسكنة, وأخذ الـجزية منهم.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج, قال ابن عبـاس: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ قال: يهود, وما ضرب علـيهم من الذلة والـمسكنة.
11960ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ قال: فبعث الله علـيهم هذا الـحيّ من العرب, فهم فـي عذاب منهم إلـى يوم القـيامة.
11961ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ قال: بعث علـيهم هذا الـحيّ من العرب, فهم فـي عذاب منهم إلـى يوم القـيامة. وقال عبد الكريـم الـجزري: يُستـحبّ أن تبعث الأنبـاط فـي الـجزية.
11962ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيـل, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ قال: العرب. سُوءَ العَذَابِ قال: الـخراج. وأوّل من وضع الـخراج موسى علـيه السلام, فجبى الـخراج سبع سنـين.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ قال: العرب. سُوءَ العَذَابِ قال: الـخراج. قال: وأوّل من وضع الـخراج موسى, فجبى الـخراج سبع سنـين.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ قال: هم أهل الكتاب, بعث الله علـيهم العرب يجبونهم الـخراج إلـى يوم القـيامة, فهو سوء العذاب, ولـم يجب نبـيّ الـخراج قطّ إلا موسى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ثم أمسك, وإلا النبـيّ صلى الله عليه وسلم.
11963ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ قال: يبعث علـيهم هذا الـحيّ من العرب, فهم فـي عذاب منهم إلـى يوم القـيامة.
11964ـ قال: أخبرنا معمر, قال: أخبرنـي عبد الكريـم, عن ابن الـمسيب, قال: يستـحبّ أن تبعث الأنبـاط فـي الـجزية.
11965ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ يقول: إن ربك يبعث علـى بنـي إسرائيـل العرب, فـيسومونهم سوء العذاب: يأخذون منهم الـجزية ويقتلونهم.
11966ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَإذْ تَأذّنَ رَبّكَ لَـيَبْعَثَنّ عَلَـيْهِمْ إلـى يَوْمِ القِـيامَةِ لـيبعثنّ علـى يهود.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: إنّ رَبّكَ لَسَرَيعُ العِقابِ وَإنّهُ لَغَفُورٌ رَحِيـمٌ.
يقول تعالـى ذكره: إن ربك يا مـحمد لسريع عقابه إلـى من استوجب منه العقوبة علـى كفره به ومعصيته له. وإنّهُ لَغَفُورٌ رَحِيـمٌ يقول: وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه فأناب وراجع طاعته, يستر علـيها بعفوه عنها, رحيـم له أن يعاقبه علـى جرمه بعد توبته منها, لأنه يقبل التوبة ويُقـيـل العثرة.

الآية : 168

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَطّعْنَاهُمْ فِي الأرْضِ أُمَماً مّنْهُمُ الصّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسّيّئَاتِ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ }..
يقول تعالـى ذكره: وفرّقنا بنـي إسرائيـل فـي الأرض أمـما, يعنـي جماعات شتـى متفرّقـين. كما:
11967ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيـل, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن حبـير, عن ابن عبـاس: وَقَطّعناهُمْ فِـي الأرْضِ أُمَـما قال: فـي كلّ أرض يدخـلها قوم من الـيهود.
11968ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَقَطّعناهُمْ فِـي الأرْضِ أُمَـما قال: يهود.
وقوله: مِنْهُمُ الصّالِـحُونَ يقول: من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بنـي إسرائيـل الصالـحون, يعنـي: من يؤمن بـالله ورسله. وَمِنْهُمْ دُونَ ذلكَ يعنـي: دون الصالـح. وإنـما وصفهم الله جلّ ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وقبل كفرهم بربهم, وذلك قبل أن يُبعث فـيهم عيسى ابن مريـم صلوات الله علـيه.
وقوله: وَبَلَوْناهُمْ بـالـحَسَناتِ وَالسّيّئاتِ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول: واختبرناهم بـالرخاء فـي العيش, والـخفض فـي الدنـيا, والدعة والسعة فـي الرزق, وهي الـحسنات التـي ذكرها جلّ ثناؤه. ويعنـي بـالسيئات: الشدّة فـي العيش, والشظف فـيه, والـمصائب والرزايا فـي الأموال. لَعلّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول: لـيرجعوا إلـى طاعة ربهم, وينـيبوا إلـيها, ويتوبوا من معاصيه.

الآية : 169

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَىَ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاّ الْحَقّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لّلّذِينَ يَتّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }..
يقول تعالـى ذكره: فخـلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خـلْف يعنـي خـلف سَوْء, يقول: حدث بعدهم وخلافهم, وتبدّل منهم بدل سوء, يقال منه: هو خَـلَفُ صدق, وخَـلْفُ سَوْءٍ, وأكثر ما جاء فـي الـمدح بفتـح اللام وفـي الذمّ بتسكينها, وقد تـحرّك فـي الذمّ وتسكن فـي الـمدح, ومن ذلك فـي تسكينها فـي الـمدح قول حسان:
لنا القَدَمُ الأولـى إلـيكَ وخَـلْفُنالاِءَوّلِنا فـي طاعَةِ اللّهِ تابِعُ
وأحسب أنه إذا وجه إلـى الفساد مأخوذ من قولهم: خـلف اللبن: إذا حمض من طول تركه فـي السقاء حتـى يفسد, فكأنّ الرجل الفـاسد مشبّه به,

وقد يجوز أن يكون منه قولهم: خَـلَف فم الصائم: إذا تغيرت ريحه. وأما فـي تسكين اللام فـي الذمّ, فقول لبـيد:
ذَهَبَ الّذِينَ يُعاشُ فِـي أكْنافِهِمْوَبَقِـيتُ فِـي خَـلْفِ كَجِلْدِ الأجْرَبِ
وقـيـل: إن الـخـلْف الذي ذكر الله فـي هذه الآية أنهم خـلَفوا من قبلهم هم النصارى. ذكر من قال ذلك:
11969ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: فَخَـلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَـلْفٌ قال: النصارى.
والصواب من القول فـي ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالـى إنـما وصف أنه خـلَف القوم الذي قصّ قصصهم فـي الآيات التـي مضت خـلف سوْء رديء, ولـم يذكر لنا أنهم نصارى فـي كتابه, وقصتهم بقصص الـيهود أشبه منها بقصص النصارى. وبعدُ, فإن ما قبل ذلك خبر عن بنـي إسرائيـل وما بعده كذلك, فما بـينهما بأن يكون خبرا عنهم أشبه, إذ لـم يكن فـي الآية دلـيـل علـى صرف الـخبر عنهم إلـى غيرهم, ولا جاء بذلك دلـيـل يوجب صحة القول به.
فتأويـل الكلام إذن: فتبدّل من بعدهم بَدَلُ سوْء, ورثوا كتاب الله: تعلـموه, وضيعوا العمل به فخالفوا حكمه, يُرْشَوْنَ فـي حكم الله, فـيأخذون الرشوة فـيه من عرض هذا العاجل الأدنى, يعنـي بـالأدنى: الأقرب من الآجل الأبعد, ويقولون إذا فعلوا ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا تـمنـيا علـى الله الأبـاطيـل, كما قال جلّ ثناؤه فـيهم: فَوَيْـلٌ لِّلّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتابَ بِأيْدِيهِمْ ثّم يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللّهِ لِـيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنا قَلِـيلاً فَوَيْـلٌ لَهُمْ مِـمّا كَتَبَتْ أيْدِيهِمْ وَوَيْـلٌ لَهُمْ مِـمّا يَكْسِبونَ. وَإنْ يَأتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ يقول: وإن شرع لهم ذنب حرام مثله من الرشوة بعد ذلك أخذوه واستـحلوه, ولـم يرتدعوا عنه. يخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم أهل إصرار علـى ذنوبهم, ولـيسوا بأهل إنابة ولا توبة.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل وإن اختلفت عنه عبـاراتهم. ذكر من قال ذلك:
11970ـ حدثنا أحمد بن الـمقدام, قال: حدثنا فضيـل بن عياض, عن منصور, عن سعيد بن جبـير, فـي قوله: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَإنْ يَأتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ. قال: يعملون الذنب ثم يستغفرون الله, فإن عرض ذلك الذنب أخذوه.
11971ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, عن سعيد بن جبـير: وَإنْ يَأتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ قال: من الذنوب.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن سعيد بن جبـير: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا قال: يعملون بـالذنوب. وَإنْ يَأتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ: قال: ذنب آخر يعملون به.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن منصور, عن سعيد بن جبـير: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى قال: الذنوب. وَإنْ يَأتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأخُذُوهُ قال: الذنوب.
11972ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى قال: ما

أشرف لهم من شيء فـي الـيوم من الدنـيا حلال أو حرام يشتهونه أخذوه, ويبتغون الـمغفرة, فإن يجدوا الغد مثله يأخذوه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, بنـحوه, إلا أنه قال: يتـمنون الـمغفرة.
حدثنا الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مـجاهد: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى قال: لا يشرف لهم شيء من الدنـيا إلا أخذوه حلالاً كان أو حراما, ويتـمنون الـمغفرة, وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وإن يجدوا عرضا مثله يأخذوه.
11973ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَخَـلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَـلْفٌ: أي والله لـخـلْف سَوْء ورِثوا الكتاب بعد أنبـيائهم ورسلهم, ورّثهم الله وعهد إلـيهم, وقال الله فـي آية أخرى: فَخَـلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَـلْفٌ أضَاعُوا الصّلاةَ وَاتّبَعُوا الشّهَوَاتِ قال: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا تـمنوا علـى الله أمانـي وغرّة يغترّون بها. وَإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينهاهم عن ذلك, كلـما أشرف لهم شيء من الدنـيا أكلوه لا يبـالون حلالاً كان أو حراما.
11974ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى قال: يأخذونه إن كان حلالاً وإن كان حراما. وَإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه قال: إن جاءهم حلال أو حرام أخذوه.
11975ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قوله: فَخَـلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَـلْفٌ... إلـى قوله: وَدَرَسُوا ما فِـيهِ قال: كانت بنو إسرائيـل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى فـي الـحكم. وإن خيارهم اجتـمعوا فأخذ بعضهم علـى بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا, فجعل الرجل منهم إذا استُقْضِي ارتشى, فقال له: ما شأنك ترتشي فـي الـحكم؟ فـيقول: سيغفر لـي فـيطعن علـيه البقـية الآخرون من بنـي إسرائيـل فـيـما صنع. فإذا مات أو نُزِع, وجُعل مكانه رجل مـمن كان يطعن علـيه فـيرتشي, يقول: وإن يأت الآخرين عرض الدنـيا يأخذوه. وأما عَرَض الأدنى, فعرض الدنـيا من الـمال.
11976ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـيه, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: فَخَـلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَـلْفٌ وَرِثُوا الكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا يقول: يأخذون ما أصابوا, ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام, ويقولون: سيغفر لنا.
11977ـ وحدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى قال: الكتاب الذي كتبوه, ويقولون: سَيُغْفَرُ لَنا لا نشرك بـالله شيئا. وَإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يأْخُذُوهُ يأتهم الـمـحقّ برشوه, فـيخرجوا له كتاب الله ثم يحكموا له بـالرشوة. وكان الظالـم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له الـمثناة, وهو الكتاب الذي كتبوه, فحكموا له بـما فـي الـمثناة بـالرشوة, فهو فـيها مـحقّ, وهو فـي التوراة ظالـم, فقال الله: أَلَـمْ يُؤخَذْ عَلَـيْهِمْ مِيثاقُ الكِتابِ أَلاّ يَقُولُوا عَلـى اللّهِ إلاّ الـحَقّ وَدَرَسوا ما فِـيهِ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن سعيد بن جبـير, قوله: فَخَـلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَـلْفٌ ورِثُوا الكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى قال: يعملون الذنوب.

القول في تأويل قوله تعالى: أَلَمْ يُؤخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الكِتابِ ألاّ يَقُولُوا على اللّهِ إلاّ الحَقّ وَدَرَسُوا ما فِيهِ والدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلّذِينَ يَتّقُونَ أفَلا تَعْقِلُونَ.

يقول تعالى ذكره: ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم, القائلين: سيغفر الله لنا فعلنا هذا, إذا عوتبوا على ذلك ميثاقُ الكتاب, وهو أخذ الله العهود على بني إسرائيل بإقامة التوراة والعمل بما فيها. فقال جلّ ثناؤه لهؤلاء الذين قصّ قصتهم في هذه الآية موبخا لهم على خلافهم أمره ونقضهم عهده وميثاقه: ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ألاّ يَقُولُوا على اللّهِ إلاّ الحَقّ ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم في التوراة, وأن لا يكذبوا عليه؟ كما:

11978ـ حدثنا القاسم,قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: أَلَمْ يُؤخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الكِتابِ ألاّ يَقُولُوا على اللّهِ إلاّ الحَقّ قال: فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها.

وأما قوله: وَدَرَسُوا ما فِيهِ فإنه معطوف على قوله: وَرِثُوا الكِتابَ ومعناه: فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب, ودرسوا ما فيه. ويعني بقوله: وَدَرَسُوا ما فِيهِ قرءوا ما فيه. يقول: ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه, فضيعوه وتركوا العمل به, وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك. كما:

11979ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَدَرَسُوا ما فِيهِ قال: علموه وعلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله وقرأ: بِمَا كُنْتُمْ تُعَلّمُونَ الكِتابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ.

والدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلّذِينَ يَتّقُونَ يقول جلّ ثناؤه: وما في الدار الآخرة, وهو ما في المعاد عند الله مما أعدّ لأوليائه والعاملين بما أنزل في كتابه المحافظين على حدوده, خير للذين يتقون الله ويخافون عقابه, فيراقبونه في أمره ونهيه, ويطيعونه في ذلك كله في دنياهم. أفَلا تَعْقِلونَ يقول: أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم, ويقولون سيغفر لنا, أن ما عند الله في الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس في أحكامهم, خير من هذا العرض القليل الذي يستعجلونه في الدنيا على خلاف أمر الله والقضاء بين الناس بالجوار؟

الآية : 170

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يُمَسّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ إِنّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ }..

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعضهم: «يُمْسِكُونَ» بتخفيف الميم وتسكينها, من أمسك يمسك. وقرأه آخرون: يُمَسّكُونَ بفتح الميم وتشديد السين, من مسّك يمسّك. ويعني بذلك: والذين يعملون بما في كتاب الله, وأقاموا الصلاة بحدودها, ولم يضيعوا أوقاتها إنّا لا نُضِيعُ أجْرَ المُصْلِحِينَ يقول تعالى ذكره: فمن فعل ذلك من خلقي, فإني لا أضيع أجر عمله الصالح. كما:

11980ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وَالّذِينَ يُمَسّكُونَ بالكِتابِ قال: كتاب الله الذي جاء به موسى صلى الله عليه وسلم.

11981ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مـجاهد, قوله: والّذِينَ يُـمَسّكُونَ بـالكِتابِ من يهود أو نصارى إنّا لا نُضِيعُ أجْرَ الـمُصْلِـحِينَ.

الآية : 171

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنّهُ ظُلّةٌ وَظَنّوَاْ أَنّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَآ آتَيْنَاكُم بِقُوّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ }..

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا مـحمد إذ اقتلعنا الـجبل, فرفعناه فوق بنـي إسرائيـل, كأنه ظلة غمام من الظلام, وقلنا لهم: خذوا ما آتـيناكم بقوّة من فرائضنا, وألزمناكم من أحكام كتابنا, فـاقبلوه, واعملوا بـاجتهاد منكم فـي أدائه من غير تقصير ولا توان. واذْكُرُوا ما فِـيهِ يقول ما فـي كتابنا من العهود والـمواثـيق التـي أخذنا علـيكم بـالعمل بـما فـيه. لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ يقول: كي تتقوا ربكم, فتـخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتـم ما أخذ علـيكم فـيه من الـمواثـيق.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

11982ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَإذْ نَتَقْنا الـجَبَلَ فَوْقَهُمْ كأنّهُ ظُلّةٌ فقال لهم موسى: خذوا ما آتـيناكم بقوّة يقول: من العمل بـالكتاب وإلا خرّ علـيكم الـجبل, فأهلككم فقالوا: بل نأخذ ما آتانا الله بقوّة ثم نكثوا بعد ذلك.

11983ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ عن ابن عبـاس, قوله: وَإذْ نَتَقْنا الـجَبَلَ فَوْقَهُمْ كأنّهُ ظُلّةٌ فهو قوله: وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطّورَ بِـمِيثاقِهِمْ فقال: خُذُوا مَا آتَـيْنَاكُمْ بِقُوّةٍ, وإلا أرسلته علـيكم.

11984ـ حدثنـي إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود, عن عامر, عن ابن عبـاس, قال: إنـي لأعلـمُ خـلق الله لأيّ شيء سجدت الـيهود علـى حرف وجوههم, لـما رفع الـجبل فوقهم سجدوا وجعلوا ينظرون إلـى الـجبل مخافة أن يقع علـيهم, قال: فكانت سجدة رضيها الله, فـاتـخذوها سنة.

حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن ابن عبـاس, مثله.

11985ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذْ نَتَقْنا الـجَبَلَ فَوْقَهُمْ كأنّهُ ظُلّةٌ وَظَنّوا أنّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَـيْناكُمْ بِقُوّةٍ: أي بجدّ. واذْكُرُوا ما فِـيهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رءوسهم, فقال: لتأخذنّ أمري, أو لأرمينّكم به

11986ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج, قال مـجاهد: وَإذْ نَتَقْنا الـجَبَلَ قال: كما تنتق الزّبدة. قال ابن جريج: كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا بها. خُذُوا ما آتَـيْناكُمْ بِقُوّةٍ قال: يقول: لتؤمننّ بـالتوراة ولتقبلنها, أو لـيقعن علـيكم

11987ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي بكر بن عبد الله, قال: هذا كتاب الله أتقبلونه بـما فـيه, فإن فـيه بـيان ما أحلّ لكم وما حرّم علـيكم وما أمركم وما نهاكم. قالوا: انشر علـينا ما فـيها, فإن كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفـيفة قبلناها قال: اقبلوها بـما فـيها

قالوا: لا, حتـى نعلـم ما فـيها كيف حدودها وفرائضها. فراجعوا موسى مرارا, فأوحى الله إلـى الـجبل, فـانقلع فـارتفع فـي السماء حتـى إذا كان بـين رءوسهم وبـين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربـي؟ لئن لـم تقبلوا التوراة بـما فـيها لأرمينكم بهذا الـجبل قال: فحدثنـي الـحسن البصري, قال: لـما نظروا إلـى الـجبل خرّ كلّ رجل ساجدا علـى حاجبه الأيسر, ونظر بعينه الـيـمنى إلـى الـجبل, فرَقا من أن يسقط علـيه فلذلك لـيس فـي الأرض يهوديّ يسجد إلا علـى حاجبه الأيسر, يقولون: هذه السجدة التـي رفُعت عنا بها العقوبة. قال أبو بكر: فلـما نشَرَ الألواح فـيها كتاب الله كتبه بـيده, لـم يبق علـى وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتزّ, فلـيس الـيوم يهوديّ علـى وجه الأرض صغير ولا كبـير تقرأ علـيه التوراة إلا اهتزّ ونغض لها رأسه.

واختلف أهل العلـم بكلام العرب فـي معنى قوله: نَتَقْنا فقال بعض البصريـين: معنى نتقنا: رفعنا واستشهد بقول العجّاج:

يَنْتُقُ أقْتادَ الشّلِيـلِ نَتْقا

وقال: يعنـي بقوله: «ينتق» يرفعها عن ظهره. وبقول الآخر:

وَنَتَقُوا أحْلامَنا الأثاقِلا

وقد حُكي عن قائل هذه الـمقالة قول آخر, وهو أن أصل النتق والنتوق كلّ شيء قلعته من موضعه فرميت به, يقال منه: نتقت نتقا. قال: ولهذا قـيـل للـمرأة الكبـيرة ناتق لأنها ترمي بأولادها رميا, واستشهد ببـيت النابغة:

لَـمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذَاءِ وأُمّهُمْدَحَقَتْ عَلَـيْكَ بِناتقٍ مِذْكارِ

وقال آخر: معناه فـي هذا الـموضع: رفعناه. وقال: قالوا: نتقنـي السير: حرّكنـي. وقال: قالوا: ما نتق برجله لا يركض, والنتق: نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتـى يربو, فذلك النتق والنتوق, ونتقتنـي الدابة, ونتقت الـمرأة تنتق نتوقا: كثر ولدها. وقال بعض الكوفـيين: نتقنا الـجبل: علقنا الـجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقا, وامرأة منتاق: كثـيرة الولد, قال: وسمعت أخذ الـجراب ونَتَقَ ما فـيه: إذا نثر ما فـيه.

الآية : 172

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِن بَنِيَ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرّيّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىَ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبّكُمْ قَالُواْ بَلَىَ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ }..

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا مـحمد ربك إذ استـخرج ولد آدم من أصلاب آبـائهم, فقرّرهم بتوحيده, وأشهد بعضهم علـى بعض شهادتهم بذلك, وإقرارهم به. كما:

11988ـ حدثنـي أحمد بن مـحمد الطوسي, قال: حدثنا الـحسين بن مـحمد, قال: حدثنا جرير بن حازم, عن كلثوم بن جبـير, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «أخَذَ اللّهُ الـمِيثاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمانَ» يعنـي عرفة «فَأخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلّ ذُرّيّةٍ ذَرأها, فَنَثَرَهُمْ بَـينَ يَدَيْهِ كالذّرّ, ثُمّ كَلّـمَهُمْ فَتَلا فَقالَ: ألَسْتُ بِرَبّكُمْ؟ قالُوا بَلـى شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا... الآية إلـى ما فَعَلَ الـمبْطِلونَ».

11989ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا كلثوم بن جبر, قال: سألت سعيد بن جبـير عن قوله: وَإِذْ أخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: سألت عنها ابن عبـاس, فقال: مسح ربك

ظهر آدم, فخرجت كلّ نسمة هو خالقها إلـى يوم القـيامة بنعمان هذا, وأشار بـيده, فأخذ مواثـيقهم, وأشهدهم علـى أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى.

حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا: حدثنا ابن علـية, قال: حدثنا كلثوم بن جبر, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَإذْ أخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ وأشْهَدَهُمْ علـى أنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى شَهِدْنا قالَ: مسح ربك ظهر آدم, فخرجت كَلّ نسمة هو خالقها إلـى يوم القـيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة, وأخذ ميثاقهم أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى شَهِدْنا اللفظ لـحديث يعقوب.

11990ـ وحدثنـي يعقوب قال: حدثنا ابن علـية, قال ربـيعة بن كلثوم, عن أبـيه فـي هذا الـحديث: قالُوا بَلـى شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِـيامَةِ إنّا كُنّا عَنْ هَذَا غافِلِـينَ.

حدثنا عمرو, قال: حدثنا عمران بن عيـينة, قال: أخبرنا عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قال: أوّل ما أهبط الله آدم, أهبطه بدجنـي, أرض بـالهند, فمسح الله ظهره, فأخرج منه كلّ نسمة هو بـارئها إلـى أن تقوم الساعة, ثم أخذ علـيهم الـميثاق: وأشْهَدَهُمْ علـى أنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِـيامَةِ إنّا كُنّا عَنْ هَذَا غافِلِـينَ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيـينة, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قال: أُهبِط آدم حين أهبط, فمسح الله ظهره, فأخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلـى يوم القـيامة, ثم قال أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى, ثم تلا: وَإذْ أخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ فجفّ القلـم من يومئذ بـما هو كائن إلـى يوم القـيامة.

11991ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن حبـيب بن أبـي ثابت, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس: وَإذْ أخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: لـما خـلق الله آدم, أخذ ذرّيته من ظهره مثل الذرّ, فقبض قبضتـين, فقال لأصحاب الـيـمين ادخـلوا الـجنة بسلام, وقال للآخرين: ادخـلوا النار ولا أبـالـي.

11992ـ حدثنا ابن وكيع,قال: حدثنا أبـي, عن الأعمش, عن حبـيب, عن ابن عبـاس, قال: مسح الله ظهر آدم, فأخرج كلّ طيب فـي يـمينه, وأخرج كلّ خبـيث فـي الأخرى.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن علـية, عن شريك, عن عطاء, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس قال: مسح الله ظهر آدم, فـاستـخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلـى يوم القـيامة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو بن أبـي قـيس, عن عطاء, عن سعيد, عن ابن عبـاس: وَإذْ أخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: لـما خـلق الله آدم مسح ظهره بدجنـي, وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلـى يوم القـيامة, فقال: أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى قال: فـيرون يومئذ جفّ القلـم بـما هو كائن إلـى يوم القـيامة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن الـمسعودي, عن علـيّ بن بذيـمة, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قال: لـما خـلق الله آدم علـيه السلام

أخذ ميثاقه, فمسح ظهره, فأخذ ذرّيته كهيئة الذرّ, فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم, وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلى.

قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن المسعودي, عن عليّ بن بذيمة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: لما خلق الله آدم, أخذ ميثاقه أنه ربه, وكتب أجله ومصائبه, واستخرج ذرّيته كالذرّ, وأخذ ميثاقهم, وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن ربيعة بن كلثوم بن جبر, عن أبيه سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أنْفُسِهِمْ قال: مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان, واد إلى جنب عرفة, وأخرج ذرّيته من ظهره كهيئة الذرّ, ثم أشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا.

11993ـ قال: حدثنا أبي, عن أبي هلال, عن أبي حمزة الضّبَعي, عن ابن عباس, قال: أخرج الله ذرّية آدم عليه السلام من ظهره كهيئة الذرّ, وهو في آذيّ من الماء.

11994ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة, قال: حدثنا أبو مسعود, عن جويبر, قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام, قال: فقال: يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده, فأبرز وجهه, وحلّ عنه عقْده, فإن ابني مُجْلَس ومسؤول ففعلت به الذي أمرني, فلما فرغت, قلت: يرحمك الله, عمّ يُسئل ابنك؟ قال: يُسأل عن الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم عليه السلام. قلت: يا أبا القاسم, وما هذا الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم؟ قال: ثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم, فاستخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة, وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه, ولا يشركوا به شيئا, فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطَى الميثاق يومئذ, فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأوّل, ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأوّل, ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأوّل على الفطرة.

11995ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني السريّ بن يحيى, أن الحسن بن أبي الحسن, حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد, قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات, قال: فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة, فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاشتدّ عليه, ثم قال: «ما بالُ أقْوَامٍ يَتَناوَلُونَ الذّرّيّة؟» فقال رجل: يا رسول الله, أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: «إنّ خِيارَكُمْ أوْلادُ المُشْرِكِينَ, ألاّ إنّها لَيْسَتْ نَسَمَةٌ تُولَدُ إلاّ وُلِدَتْ على الفِطْرَة, فَمَا تَزَالُ عَلَيْها حتى يَبِينَ عَنْها لِسانُها, فأبَوَاها يُهَوّدَانِها أوْ يُنَصّرَانِها». قال الحسن: والله لقد قال الله ذلك في كتابه, قال: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ.

11996ـ حدثنا عبد الرحمن بن الوليد, قال: حدثنا أحمد بن أبي طيبة, عن سفيان, عن سعيد, عن الأجلح, عن الضحاك, وعن منصور, عن مجاهد, عن عبد الله بن عمرو, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: «أخِذُوا مِنْ ظَهْره كمَا

يُؤْخَذُ بـالـمِشْطِ مِنَ الرأس, فَقالَ لَهُمْ أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ؟ قالُوا بَلـى, قالَتِ الـمَلائِكَةُ: شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِـيامَةِ إنّا كُنّا عَنْ هَذَا غافِلِـينَ».

11997ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفـيان, عن منصور, عن مـجاهد, عن عبد الله بن عمرو, فـي قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: أخذهم كما يأخذ الـمشط من الرأس.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, عن مـجاهد, عن عبد الله بن عمرو: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: أخذهم كما يأخذ الـمشط عن الرأس. قال ابن حميد: كما يؤخذ بـالـمشط.

11998ـ حدثنا إبراهيـم بن سعيد الـجوهري, قال: حدثنا روح بن عبـادة, وسعد بن عبد الـحميد بن جعفر بن مالك بن أنس, عن زيد بن أبـي أنـيسة, عن عبد الـحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الـخطاب, عن مسلـم بن يسار الـجهنـي: أن عمر بن الـخطاب سئل عن هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ فقال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ اللّهَ خَـلَقَ آدَمَ ثُمّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِـيَـمِينِهِ فـاسْتَـخْرَجَ مِنْهُ ذُرّيّةً, فَقالَ: خَـلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْـجَنّة, وَبِعَمَل أَهْل الـجَنّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فـاسْتَـخْرَجَ مِنْهُ ذُرّيّةً, فَقالَ: خَـلَقْتُ هَؤُلاءِ للنّارِ, وَبِعَمَلِ أَهْلِ النّارِ يَعْمَلُونَ». فقال رجل: يا رسول الله ففـيـم العمل؟ قال: «إنّ اللّهَ إذَا خَـلَقَ العَبْدَ لِلْـجَنّةَ اسْتَعْمَلَهُ بَعَمل أَهْلِ الـجَنّةِ حتـى يَـمُوتَ علـى عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الـجَنّة فَـيُدْخِـلَهُ الـجَنَّةَ وإذَا خَـلَقَ العَبْدَ للنّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النّارِ حتـى يَـمُوتَ علـى عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ النّارِ فَـيُدْخِـلَهُ النّار».

حدثنا إبراهيـم, قال: حدثنا مـحمد بن الـمصفـي, عن بقـية عن عمرو بن جعثم القرشي, قال: ثنـي زيد بن أبـي أنـيسة, عن عبد الـحميد بن عبد الرحمن, عن مسلـم بن يسار, عن نعيـم بن ربـيعة, عن عمر, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, بنـحوه.

11999ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن عمارة, عن أبـي مـحمد رجل من الـمدينة, قال: سألت عمر بن الـخطاب عن قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: سألت النبـيّ صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتنـي, فقال: «خَـلَقَ اللّهُ آدَمَ بِـيَدِهِ, وَنَفَخَ فِـيهِ مِنْ رُوحِهِ, ثُمّ أَجْلَسَهُ فَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِـيَدِهِ الـيُـمْنَى, فَأَخْرَجَ ذَرْأً, فقال: ذَرْءٌ ذَرأْتُهُمْ للْـجَنّةِ, ثُمّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِـيَدِهِ الأُخْرَى, وكِلْتا يَدَيْهِ يَـمِينٌ, فَقالَ: ذَرْءٌ ذَرَأْتُهُمْ للنّارِ, يَعْمَلُونَ فِـيـما شِئْتَ مِنْ عَمَلٍ, ثُمّ أَخْتِـمُ لَهُمْ بِأَسْوإِ أَعْمالِهِمْ فَأُدْخِـلُهُمْ النّارِ».

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: إن الله خـلق آدم, ثم أخرج ذرّيته من صلبه مثل الذرّ, فقال لهم: من ربكم؟ قالوا: الله ربنا, ثم أعادهم فـي صلبه, حتـى يولد كلّ من أخذ ميثاقه لا يزاد فـيهم ولا ينقص منهم إلـى أن تقوم الساعة.

12000ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ... إلـى قوله: قالُوا بَلـى شَهِدْنا قال ابن عبـاس: إن الله لـمّا خـلق آدم مسح ظهره, وأخرج ذرّيته كلهم كهيئة الذرّ, فأنطقهم

فتكلـموا, وأشهدهم علـى أنفسهم, وجعل مع بعضهم النور, وإنه قال لآدم: هؤلاء ذرّيتك آخذ عليهم الـميثاق, أنا ربهم, لئلا يشركوا بـي شيئا, وعلـيّ رزقهم. قال آدم: فمن هذا الذي معه النور؟ قال: هو داود. قال: يا ربّ كم كتبت له من الأجل؟ قال: ستـين سنة. قال: كم كتبت لـي؟ قال: ألف سنة, وقد كتبت لكلّ إنسان منهم كم يعمّر وكم يـلبث. قال: يا ربّ زده قال: هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك. قال: نعم. وقد جفّ القلـم عن أجل سائر بنـي آدم, فكتب له من أجَل آدم أربعين سنة, فصار أجله مائة سنة. فلـما عمر تسع مئة سنة وستـين جاءه ملك الـموت فلـما رآه آدم, قال: ما لك؟ قال له: قد استوفـيت أجلك. قال له آدم: إنـما عمرت تسع مائة وستـين سنة, وبقـي أربعون سنة. قال: فلـما قال ذلك للـمَلك, قال الـملك: قد أخبرنـي بها ربـي. قال: فـارجع إلـى ربك فـاسأله فرجع الـملك إلـى ربه, فقال: ما لك؟ قال: يا ربّ رجعت إلـيك لـما كنت أعلـم من تكرمتك إياه. قال الله: ارجع فأخبره أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة

12001ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن الزبـير بن موسى, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قال: إن الله تبـارك وتعالـى ضرب منكبه الأيـمن, فخرجت كلّ نفس مخـلوقة للـجنة بـيضاء نقـية, فقال: هؤلاء أهل الـجنة. ثم ضرب منكبه الأيسر, فخرجت كلّ نفس مخـلوقة للنار سوداء, فقال: هؤلاء أهل النار. ثم أخذ عهودهم علـى الإيـمان والـمعرفة له ولأمره, والتصديق به وبأمره بنـي آدم كلهم, فأشهدهم علـى أنفسهم, فآمنوا وصدّقوا وعرفوا وأقرّوا. وبلغنـي أنه أخرجهم علـى كفه أمثال الـخردل. قال ابن جريج عن مـجاهد, قال: إن الله لـما أخرجهم قال: يا عبـاد الله أجيبوا الله والإجابة: الطاعة فقالوا: أطعنا, اللهمّ أطعنا, اللهمّ أطعنا, اللهمّ لبـيك قال: فأعطاها إبراهيـم علـيه السلام فـي الـمناسك: لبـيك اللهمّ لبـيك. قال: ضرب متن آدم حين خـلقه. قال: وقال ابن عبـاس: خـلق آدم, ثم أخرج ذرّيته من ظهره مثل الذرّ, فكلـمهم, ثم أعادهم فـي صلبه, فلـيس أحد إلا وقد تكلـم فقال: ربـي الله. فقال: وكلّ خـلق خـلق فهو كائن إلـى يوم القـيامة وهي الفطرة التـي فطر الناس علـيها. قال ابن جريج, قال سعيد بن جبـير: أخذ الـميثاق علـيهم بنعَمان ونَعمان من وراء عرفة أن يقولوا يوم القـيامة إنّا كُنّا عَنْ هَذَا غافِلِـينَ عن الـميثاق الذي أخذ علـيهم.

12002ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر, عن الربـيع, عن أبـي العالـية, عن أبـيّ بن كعب, قال: جمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن إلـى يوم القـيامة, ثم استنطقهم, وأخذ علـيهم الـميثاق وأشْهَدَهُمْ علـى أنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى شَهِدْنا أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِـيامَةِ إنّا كُنّا عَنْ هَذَا غافِلِـينَ أَوْ تَقُولُوا إنّـمَا أشْرَكَ آبـاؤُنا مِنْ قَبْلُ وكُنّا ذُرّيّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أفَتُهْلِكُنا بِـمَا فَعَلَ الـمُبْطِلُونَ؟ قال: فإنـي أشهد علـيكم السموات السبع والأرضين السبع, وأشهد علـيكم أبـاكم آدم أن تقولوا يوم القـيامة لـم نعلـم بهذا, اعلـموا أنه لا إله غيري, ولا ربّ غيري, ولا تشركوا بـي شيئا, وسأرسل إلـيكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقـي, وسأنزل علـيكم كتبـي قالوا: شهدنا أنك ربنا وإلهنا, لا ربّ لنا غيرك, ولا إله لنا غيرك. فأقرّوا له يومئذ بـالطاعة, ورفع علـيهم أبـاهم آدم, فنظر إلـيهم, فرأى منهم الغنـيّ والفقـير, وحسن الصورة, ودون ذلك, فقال: ربّ لولا ساويت

بـينهم قال: فإنـي أحبّ أن أشكر. قال: وفـيهم الأنبـياء علـيهم السلام يومئذ مثل السرج. وخصّ الأنبـياء بـميثاق آخر, قال الله: وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النّبـيّـينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيـمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَـمَ وأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقا غَـليظا وهو الذي يقول تعالـى ذكره: فأَقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفـا فطْرَةَ اللّهِ التـي فَطَرَ النّاسَ عَلَـيْها لا تَبْدِيـلَ لِـخَـلْقِ اللّهِ وفـي ذلك قال: هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النّذُرِ الأولـىَ يقول: أخذنا ميثاقه مع النذر الأولـى, ومن ذلك قوله: وَما وَجَدْنا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفَـاسِقِـينَ. ثُمّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إلـى قَوْمِهِمْ فَجاءُوهُمْ بـالبَـيّنات فَمَا كانُوا لِـيُؤْمِنُوا بـمَا كَذّبُوا مِنْ قَبْلُ قال: كان فـي عَلـمه يوم أقرّوا به من يصدّق ومن يكذّب.

12003ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي بشر, عن سعيد بن جبـير فـي هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ وأَشْهَدَهُمْ علـى أنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قال: أخرجهم من ظهر آدم, وجعل لآدم عمرَ ألف سنة, قال: فعُرِضوا علـى آدم, فرأى رجلاً من ذرّيته له نور فأعجبه, فسأل عنه, فقال: هو داود, قد جعل عمره ستـين سنة, فجعل له من عمره أربعين سنة فلـما احتضر آدم, جعل يخاصمهم فـي الأربعين سنة, فقـيـل له: إنك أعطيتها داود, قال: فجعل يخاصمهم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, فـي قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: أخرج ذرّيته من ظهره كهيئة الذرّ, فعرضهم علـى آدم بأسمائهم وأسماء آبـائهم وآجالهم, قال: فعرض علـيه روح داود فـي نور ساطع, فقال: من هذا؟ قال: هذا من ذرّيتك نبـيّ خـلـيفة, قال: كم عمره؟ قال: ستون سنة, قال: زيدوه من عمري أربعين سنة قال: والأقلام رطبة تـجري. فأثبت لداود الأربعون, وكان عمر آدم علـيه السلام ألف سنة فلـما استكملها إلا الأربعين سنة, بعث إلـيه ملك الـموت, فقال: يا آدم أمرت أن أقبضك, قال: ألـم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: فرجع ملك الـموت إلـى ربه, فقال: إن آدم يدّعي من عمره أربعين سنة, قال: أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود والأقلام رطبة فأثبتت لداود.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو داود, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بنـحوه.

12004ـ قال: حدثنا ابن فضيـل وابن نـمير, عن عبد الـملك, عن عطاء: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: أخرجهم من ظهر آدم حتـى أخذ علـيهم الـميثاق, ثم ردّهم فـي صلبه.

12005ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن نضر بن عربـي: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: أخرجهم من ظهر آدم حتـى أخذ علـيهم الـميثاق, ثم ردّهم فـي صلبه.

12006ـ قال: حدثنا مـحمد بن عبـيد, عن أبـي بسطام, عن الضحاك, قال: حيث ذرأ الله خـلقه لآدم, قال: خـلقهم وأشهدهم علـى أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلـى.

حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ, قال: حدثنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: قال ابن عبـاس: خـلق الله آدم, ثم أخرج ذرّيته من ظهره, فكلـمهم الله وأنطقهم, فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلـى, ثم

أعادهم فـي صلبه, فلـيس أحد من الـخـلق إلا قد تكلـم فقال ربـي الله, وإن القـيامة لن تقوم حتـى يولد من كان يومئذ أشهد علـى نفسه.
12007ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمر بن طلـحة, عن أسبـاط, عن السديّ: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ وأَشْهَدَهُمْ علـى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى وذلك حين يقول تعالـى ذكره: وَلَهُ أَسْلَـمَ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ والأَرْض طَوْعا وَكَرْها وذلك حين يقول: فللّهِ الـحُجّةُ البـالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أجمَعِينَ يعنـي: يوم أخذ منهم الـميثاق, ثم عرضهم علـى آدم علـيه السلام.
12008ـ قال: حدثنا عمر, عن أسبـاط, عن السديّ, قال: أخرج الله آدم من الـجنة, ولـم يهبط من السماء, ثم مسح صفحة ظهره الـيـمنى, فأخرج منه ذرّية بـيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذرّ, فقال لهم: ادخـلوا الـجنة برحمتـي ومسح صفحة ظهره الـيسرى, فأخرج منه ذرّية سوداء كهيئة الذرّ, فقال: ادخـلوا النار ولا أبـالـي فذلك حين يقول: «وأَصْحابُ الـيَـمِين وأَصْحابُ الشّمال» ثم أخذ منهم الـميثاق, فقال: أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى, فأطاعه طائفة طائعين, وطائفة كارهين علـى وجه التقـيّة.
12009ـ حدثنـي موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرُ, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ بنـحوه, وزاد فـيه بعد قوله: وطائفة علـى وجه التقـية, فقال هو والـملائكة: شهِدْنَا أن يقولوا يوم القـيامة إنا كنا عن هذا غافلـين أو يقولوا إنـما أشرك آبـاؤنا من قبل وكنا ذرّية من بعدهم. فلذلك لـيس فـي الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله, ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه: إنّا وَجَدْنا آبـاءَنا علـى أُمّةٍ والأمّة: الدين وإنّا علـى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ, وذلك حين يقول الله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ وأَشْهَدَهُمْ علـى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى وذلك حين يقول: وَلَهُ أَسْلَـمَ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ والأَرْض طَوْعا وكَرْها وذلك حين يقول: فللّه الـحُجّةُ البـالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أجمَعِينَ يعنـي يوم أخذ منهم الـميثاق.
12010ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن الكلبـي: مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: مسح الله علـى صلب آدم, فأخرج من صلبه من ذرّيته ما يكون إلـى يوم القـيامة, وأخذ ميثاقهم أنه ربهم, فأعطوه ذلك, ولا يُسأل أحد كافر ولا غيره: من ربك؟ إلا قال: الله. وقال الـحسن مثل ذلك أيضا.
12011ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن جعفرٍ, عن أبـيه, عن علـيّ بن حسين أنه كان يعزل, ويتأوّل هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ.
12012ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا موسى بن عبـيدة, عن مـحمد بن كعب القرظي فـي قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِـي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّاتِهِمْ قال: أقرّت الأرواح قبل أن تـخـلق أجسادها.
12013ـ حدثنا أحمد بن الفرج الـحمصي, قال: حدثنا بقـية بن الولـيد, قال: ثنـي الزبـيدي, عن راشد بن سعد, عن عبد الرحمن بن قتادة النضري, عن أبـيه, عن هشام بن حكيـم: أن رجلاً أتـى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله, أنُبدأ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ أَخَذَ ذُرّيّةَ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ, ثُمّ أَشْهَدَهُمْ علـى أَنْفُسِهِمْ, ثُمّ أفـاضَ بهِمْ فِـي كَفّـيْه ثُمّ قالَ: هَؤُلاء فِـي الـجَنّة

وَهَؤُلاء فِـي النّارِ, فأَهْلُ الـجَنّةِ مُيَسّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الـجنّةِ, وأَهْلُ النّارِ مُيَسّرُونَ لعَمَلِ أَهْلِ النّارِ».

حدثنـي مـحمد بن عوف الطائي, قال: حدثنا حيوة ويزيد, قالا: حدثنا بقـية, عن الزبـيديّ, عن راشد بن سعد, عن عبد الرحمن بن قتادة النضري, عن أبـيه, عن هشام بن حكيـم, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم مثله.

حدثنـي أحمد بن شبويه, قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيـم, قال: حدثنا عمرو بن الـحرث, قال: حدثنا عبد الله بن مسلـم, عن الزبـيدي, قال: حدثنا راشد بن سعد أن عبد الرحمن بن قتادة, حدثه أن أبـاه حدثه أن هشام بن حكيـم حدثه أنه قال: أتـى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل... فذكر مثله.

حدثنا مـحمد بن عوف, قال: ثنـي أبو صالـح, قال: حدثنا معاوية, عن راشد بن سعد, عن عبد الرحمن بن قتادة, عن هشام بن حكيـم, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, بنـحوه.

واختلف فـي قوله: شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِـيامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هَذَا غافِلِـينَ فقال السديّ: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنه جلّ ثناؤه قال هو وملائكته إذ أقرّ بنو آدم بربوبـيته حين قال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلـى.

فتأويـل الكلام علـى هذا التأويـل: وإذ أخذ ربك من بنـي آدم من ظهورهم ذرّياتهم, وأشهدهم علـى أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلـى. فقال الله وملائكته: شهدنا علـيكم بـاقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القـيامة إنا كنا عن هذا غافلـين. وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فـيـما مضى والـخبر الآخر الذي رُوي عن عبد الله بن عمرو عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم بـمثل ذلك.

وقال آخرون: ذلك خبر من الله عن قـيـل بعض بنـي آدم لبعض, حين أشهد الله بعضهم علـى بعض. وقالوا: معنى قوله: وأَشْهَدَهُمْ علـى أَنْفُسِهِمْ وأشهد بعضهم علـى بعض بإقرارهم بذلك, وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا عمن قاله قبل.

قال أبو جعفر: وأولـى القولـين فـي ذلك بـالصواب, ما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان صحيحا, ولا أعلـمه صحيحا لأن الثقات الذين يعتـمد علـى حفظهم وإتقانهم حدّثوا بهذا الـحديث عن الثوري, فوقـفوه علـى عبد الله بن عمرو ولـم يرفعوه, ولـم يذكروا فـي الـحديث هذا الـحرف الذي ذكره أحمد بن أبـي طيبة عنه. وإن لـم يكن ذلك عنه صحيحا, فـالظاهر يدلّ علـى أنه خبر من الله عن قـيـل بنـي آدم بعضهم لبعض, لأنه جلّ ثناؤه قال: وأَشْهَدَهُمْ علـى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ قالُوا بَلـى شَهِدْنا فكأنه قـيـل: فقال الذين شهدوا علـى الـمقرّين حين أقرّوا, فقالوا: بلـى شهدنا علـيكم بـما أقررتـم به علـى أنفسكم كيلا تقولوا يوم القـيامة إنا كنا عن هذا غافلـين.

الآية : 173

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَوْ تَقُولُوَاْ إِنّمَآ أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنّا ذُرّيّةً مّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: شهدنا علـيكم أيها الـمقرّون بأن الله ربكم, كيلا تقولوا يوم القـيامة: إنا كنا عن هذا غافلـين, إنا كنا لا نعلـم ذلك وكنا فـي غفلة منه, أو تقولوا: إنّـمَا أَشْرَكَ آبـاؤُنا مِنْ قَبْلُ وكُنّا ذُرّيّةً مِنْ بَعْدِهِمْ اتبعنا منهاجهم

أفَتُهْلِكُنا بإشراك من أشرك من آبـائنا, واتبـاعنا منهاجهم علـى جهل منا بـالـحقّ؟
ويعنـي بقوله بـمَا فَعَلَ الـمُبْطِلُونَ: بـما فعل الذين أبطلوا فـي دعواهم إلها غير الله.
واختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأه بعض الـمكيـين والبصريـين: «أن يقولوا» بـالـياء, بـمعنى: شهدنا لئلا يقولوا علـى وجه الـخبر عن الغيب.
وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الـمدينة والكوفة: أن تَقُولوا بـالتاء علـى وجه الـخطاب من الشهود للـمشهود علـيهم.
والصواب من القول فـي ذلك أنهما قراءتان صحيحتا الـمعنى متفقتا التأويـل وإن اختلفت ألفـاظهما, لأن العرب تفعل ذلك فـي الـحكاية, كما قال الله: لَتُبَـيِّنُنّهُ للنّاس و«لـيبـيننه», وقد بـينا نظائر ذلك فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته.

الآية : 174

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَكَذَلِكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ وَلَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ }..
يقول تعالـى ذكره: وكما فصلنا يا مـحمد لقومك آيات هذه السورة, وبـيّنا فـيها ما فعلنا بـالأمـم السالفة قبل قومك, وأحللنا بهم من الـمثلات بكفرهم وإشراكهم فـي عبـادتـي غيري, كذلك نفصل الآيات غيرها ونبـينها لقومك, لـينزجروا ويرتدعوا, فـينـيبوا إلـى طاعتـي ويتوبوا من شركهم وكفرهم, فـيرجعوا إلـى الإيـمان والإقرار بتوحيدي وإفراد الطاعة لـي وترك عبـادة ما سواي.

الآية : 175

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ }..
يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واتل يا مـحمد علـى قومك نبأ الذي آتـيناه آياتنا, يعنـي خبره وقصته. وكانت آيات الله للذي آتاه الله إياها فـيـما يقال اسم الله الأعظم, وقـيـل النبوّة.
واختلف أهل التأويـل فـيه, فقال بعضهم: هو رجل من بنـي إسرائيـل. ذكر من قال ذلك:
12014ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن الـمفضل, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله فـي هذه الآية: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: هو بلعم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله, مثله.
قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن منصور, عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله, قال: هو بلعم بن أبر.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن ابن مسعود, فـي قوله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا قال: رجل من بنـي إسرائيـل يقال له: بلعم بن أبر.
حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر وابن مهدي وابن أبـي عديّ, قالوا: حدثنا شعبة, عن منصور, عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله, أنه قال فـي هذه الآية, فذكر مثله, ولـم يقل ابن أبر.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن منصور, عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن ابن مسعود: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: رجل من بنـي إسرائيـل يقال لَه: بلعم بن أبر.

12015ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيـينة, عن حصين, عن عمران بن الـحرث, عن ابن عبـاس, قال: هو بلعم بن بـاعرا.

حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفـيان, عن الأعمش, عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن ابن مسعود, فـي قوله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا... إلـى: فَكانَ مِنَ الغاوينَ هو بلعم بن أبر.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن الأعمش, عن منصور عن أبـي الضحى, عن مسروق, عن ابن مسعود, مثله, إلاّ أنه قال ابن أبُر, بضم البـاء.

12016ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الَّذي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: هو رجل من مدينة الـجبـارين يقال له بلعم.

12017ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: بَلعام بن بـاعرا, من بنـي إسرائيـل.

حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مـجاهدا يقول, فذكر مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرنـي عبد الله بن كثـير, أنه سمع مـجاهدا يقول, فذكر مثله.

12018ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن وابن أبـي عديّ, عن شعبة, عن حصين, عن عكرمة, قال فـي الذي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: هو بلعام.

12019ـ وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا غندر, عن شعبة, عن حصين, عن عكرمة, قال: هو بلعم.

قال: حدثنا عمران بن عيـينة, عن حصين, عن عكرمة, قال: هو بلعم.

حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر, قال: حدثنا شعبة, عن حصين, قال: سمعت عكرمة يقول: هو بَلعام.

حدثنا قال: حدثنا عبد العزيزي, قال: حدثنا إسرائيـل, عن حصين, عن مـجاهد, قال: هو بلعم.

حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيـل, عن مغيرة, عن مـجاهد, عن ابن عبـاس قال: هو بلعم. (وقالت ثقـيف: هو أمية بن أبـي الصلت).

وقال آخرون: كان بلعم هذا من أهل الـيـمن. ذكر من قال ذلك.

12020ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: هو رجل يدعى بلعم من أهل الـيـمن.

وقال آخرون: كان من الكنعانـيـين. ذكر من قال ذلك.

12021ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الَّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: هو رجل من مدينة الـجبـارين يقال له بلعم.

وقال آخرون: هو أمية بن أبـي الصلت. ذكر من قال ذلك.
12022ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا سعيد بن السائب, عن غضيف بن أبـي سفـيان, عن يعقوب ونافع بن عاصم, عن عبد الله بن عمرو, قال فـي هذه الآية: الّذي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: هو أمية بن أبـي الصلت.
حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا ابن أبـي عديّ, قال: أنبأنا شعبة, عن يعلـى بن عطاء, عن نافع بن عاصم, قال: قال عبد الله بن عمرو: هو صاحبكم أمية بن أبـي الصلت.
حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير, قالا: حدثنا شعبة, عن يعلـى بن عطاء, عن نافع بن عاصم, عن عبد الله بن عمرو بـمثله.
حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفـيان, عن حبـيب بن أبـي ثابت, عن رجل, عن عبد الله بن عمرو: ولَكِنّهُ أخْـلَدَ إلـى الأرْض وَاتّبَعَ هَوَاهُ قال: هو أمية بن أبـي الصلت.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا غندر, عن شعبة, عن يعلـى بن عطاء, قال: سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود, قال: سمعت عبد الله بن عمرو, قال فـي هذه الآية: الّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: هو صاحبكم, يعنـي أمية بن أبـي الصلت.
قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان عن حبـيب, عن رجل عن عبد الله بن عمرو, قال: هو أمية بن أبـي الصلت.
قال: حدثنا يزيد, عن شريك, عن عبد الـملك, عن فضالة, أو ابن فضالة, عن عبد الله بن عمرو, قال: هو أمية.
12023ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن عبد الـملك بن عمير, قال: تذاكروا فـي جامع دمشق هذه الآية: فـانْسَلَـخَ مِنْها فقال بعضهم: نزلت فـي بلعم بن بـاعوراء, وقال بعضهم: نزلت فـي الراهب. فخرج علـيهم عبد الله بن عمرو بن العاص, فقالوا: فـيـمن نزلت هذه؟ قال: نزلت فـي أمية بن أبـي الصلت الثقـفـي.
12024ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن الكلبـي: الّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: هو أمية بن أبـي الصلت, وقال قتادة: يشكّ فـيه, يقول بعضهم: بلعم, ويقول بعضهم: أمية بن أبـي الصلت.
واختلف أهل التأويـل فـي الآيات التـي كان أوتـيها التـي قال جلّ ثناؤه: آتَـيْناهُ آياتِنا فقال بعضهم: كانت اسم الله الأعظم. ذكر من قال ذلك.
12025ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قال: إن الله لـما انقضت الأربعون سنة, يعنـي التـي قال الله فـيها: إنّها مُـحَرّمَةٌ عَلَـيْهِمْ أرْبَعِينَ سَنَةً بعث يُوشَعَ بن نون نبـيا, فدعا بنـي إسرائيـل فأخبرهم أنه نبـيّ وأن الله قد أمره أن يقاتل الـجبـارين, فبـايعوه وصدّقوه. وانطلق رجل من بنـي إسرائيـل يقال له بلعم, وكان عالـما يعلـم الاسم الأعظم الـمكتوم, فكفر وأتـى الـجبـارين, فقال: لا ترهبوا بنـي إسرائيـل, فـانـي إذا خرجتـم تقاتلونهم أدعو علـيهم دعوة فـيهلكون وكان عندهم فـيـما شاء من الدنـيا, غير أنه كان لا يستطيع أن يأتـي النساء يعظمهن, فكان ينكح أتانا له, وهو الذي يقول الله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأ الّذي

آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها: أي تنصل فـانسلـخ منها, إلـى قوله: وَلَكِنّهُ أخْـلَدَ إلـى الأرْضِ.
12026ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبَأَ الّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا قال: هو رجل يقال له: بلعم, وكان يعلـم اسم الله الأعظم.
12027ـ حدثنـي يونس قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأ الّذي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها قال: كان لا يسأل الله شيئا إلاّ أعطاه.
وقال آخرون: بل الآيات التـي كان أوتـيها كتاب من كتب الله. ذكر من قال ذلك.
12028ـ حدثنا القاسم قال: حدثنا الـحسين قال: حدثنا أبو تُـمَيـلة, عن أبـي حمزة, عن جابر, عن مـجاهد وعكرمة, عن ابن عبـاس, قال: كان فـي بنـي إسرائيـل بَلعام بن بـاعر أوتـي كتابـا.
وقال آخرون: بل كان أوتـي النبوّة. ذكر من قال ذلك.
12029ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن غيره, قال: الـحارث قال: عبد العزيز يعنـي عن غير نفسه عن مـجاهد, قال: هو نبـيّ فـي بنـي إسرائيـل, يعنـي بَلعم, أوتـي النبوّة, فرشاه قومه علـى أن يسكت, ففعل وتركهم علـى ما هم علـيه.
12030ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتـمر بن سلـيـمان, عن أبـيه, أنه سئل عن الآية: وَاتْلُ عَلَـيهِمْ نَبأ الّذي آتَـيْناهُ آياتنا فـانْسَلَـخَ مِنْها فحدّث عن سيّار أنه كان رجلاً يقال له بَلْعَام, وكان قد أوتـي النبوّة, وكان مـجاب الدعوة.
قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: إن الله تعالـى ذكره أمر نبـيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو علـى قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته, وهي الآيات.
وقد دللنا علـى أن معنى الآيات الأدلة والأعلام فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته, وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم, وجائز أن يكون أمية, وكذلك الآيات إن كانت بـمعنى الـحجة التـي هي بعض كتب الله التـي أنزلها علـى بعض أنبـيائه, فتعلـمها الذي ذكره الله فـي هذه الآية, وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتـيها بلعم, وجائز أن يكون أمية, لأن أمية كان فـيـما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب, وإن كانت بـمعنى كتاب أنزله الله علـى من أمر نبـيّ الله علـيه الصلاة والسلام أن يتلو علـى قومه نبأه أو بـمعنى اسم الله الأعظم أو بـمعنى النبوّة, فغير جائز أن يكون معنـيا به أمية لأن أمية لا تـختلف الأمة فـي أنه لـم يكن أوتـي شيئا من ذلك. ولا خبر بأيّ ذلك الـمراد وأيّ الرجلـين الـمعنـيّ يوجب الـحجة ولا فـي العقل دلالة علـى أن ذلك الـمعنـيّ به من أيّ. فـالصواب أن يقال فـيه ما قال الله, ويقرّ بظاهر التنزيـل علـى ما جاء به الوحي من الله.
وأما قوله: فـانْسَلَـخَ مِنْها فإنه يعنـي: خرج من الآيات التـي كان الله آتاها إياه, فتبرأ منها.
وبنـحو ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك.
12031ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: لـما نزل موسى علـيه السلام

يعني بالجبارين ومن معه آتاه يعني بلعم بنو عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد, ومعه جنود كثيرة, وإنه إن يظهر علينا يهلكنا. فادع الله أن يردّ عنا موسى ومن معه قال: إني إن دعوت الله أن يردّ موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم, فسلخه الله مما كان عليه, فذلك قوله: فانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ.

12032ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: كان الله آتاه آياته فتركها.

12033ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس: فانْسَلَخَ مِنْها قال: نزع منه العلم.

وقوله: فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ يقول: فصيره لنفسه تابعا ينتهي إلى أمره في معصية الله, ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن. وقوله: فَكانَ مِنَ الغاوِينَ يقول: فكان من الهالكين لضلاله وخلافه أمرَ ربه وطاعة الشيطان.

الآية : 176

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأرْضِ وَاتّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه, ولَكِنّهُ أخْلَدَ إلى الأرْضِ يقول: سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ومال إليها, وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة, واتبع هواه, ورفض طاعة الله وخالف أمره.

وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية, على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره, ما:

12034ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, أنه سئل عن الآية: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأ الّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها فحدّث عن سيار أنه كان رجلاً يقال له بَلْعام, وكان قد أوتي النبوّة, وكان مجاب الدعوة. قال: وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام أو قال الشام قال: فرعب الناس منه رعبا شديدا, قال: فأتوا بَلْعاما, فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال: حتى أؤامر ربي أو حتى أؤامر قال: فآمر في الدعاء عليهم, فقيل له: لا تدع عليهم فإنهم عبادي وفيهم نبيهم قال: فقال لقومه: إني آمرت ربي في الدعاء عليهم, وإني قد نُهيت. قال: فأهدوا إليه هدية فَقبِلها. ثم راجعوه فقالوا: ادع عليهم فقال: حتى أؤامر ربي. فآمر فلم يأمره بشيء. قال: فقال: قد وامرت فلم يأمرني بشيء, فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرّة الأولى. قال: فأخذ يدعو عليهم, فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه وإذا أراد أن يدعو أن يُفْتَح لقومه, دعا أن يُفْتَح لموسى عليه السلام وجيشه أو نحوا من ذلك إن شاء الله. قال: فقالوا ما نراك تدعو إلاّ علينا. قال: ما يجري على لساني إلاّ هكذا, ولو دعوتُ عليه ما استجيب لي, ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم إن الله يبغض الزنا, وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا, ورجوت أن يهلكهم الله, فأخرِجوا النساء لتستقبلهم وإنهم قوم مسافرون, فعسى أن

يزنوا فـيهلكوا. قال: ففعلوا وأخرجوا النساء تستقبلهم. قال: وكان للـملك ابنة, فذكر من عظمها ما الله أعلـم به, قال: فقال أبوها أو بَلْعام: لا تـمكنـي نفسك إلاّ من موسى قال: ووقعوا فـي الزنا. قال: وأتاها رأس سبط من أسبـاط بنـي إسرائيـل, فأرادها علـى نفسه, قال: فقالت: ما أنا بـمـمكنة نفسي إلاّ من موسى, قال: فقال: إن من منزلتـي كذا وكذا, وإن من حالـى كذا وكذا. قال: فأرسلت إلـى أبـيها تستأمره, قال: فقال لها: مَكّنِـيهِ قال: ويأتـيهما رجل من بنـي هارون ومعه الرمـح فـيطعنهما, قال: وأيّده الله بقوّة فـانتظمهما جميعا, ورفعهما علـى رمـحه. قال: فرآهما الناس, أو كما حدّث. قال: وسلط الله علـيهم الطاعون, قال: فمات منهم سبعون ألفـا. قال: فقال أبو الـمعتـمر: فحدثنـي سيار أن بلعاما ركب حمارة له, حتـى إذا أتـى الـمُعْلَوْلـي أو قال: طريقا من الـمعلولـي جعل يضربها ولا تتقدّم. قال: وقامت علـيه, فقالت: علام تضربنـي؟ أما ترى هذا الذي بـين يديك؟ قال: فإذا الشيطان بـين يديه, قال: فنزل فسجد له. قال الله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الّذي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشّيْطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ... إلـى قوله: لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ. قال: فحدثنـي بهذا سيّار, ولا أدري لعلّه قد دخـل فـيه شيء من حديث غيره.

12035ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتـمر, عن أبـيه, قال: فبلغنـي حديث رجل من أهل الكتاب يحدّث أن موسى سأل الله أن يطبعه وأن يجعله من أهل النار. قال: ففعل الله. قال: أنبئت أن موسى قتله بعد.

12036ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن مـحمد بن إسحاق, عن سالـم أبـي النضر, أنه حدث: أن موسى لـما نزل فـي أرض بنـي كنعان من أرض الشام أتـى قومُ بَلْعم إلـى بَلْعم, فقالوا له: يا بلعم إن هذا موسى بن عمران فـي بنـي إسرائيـل, قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويُحِلها بنـي إسرائيـل ويسكنها, وإنا قومك, ولـيس لنا منزل, وأنت رجل مـجاب الدعوة, فـاخرج وادع الله علـيهم فقال: ويـلكم نبـيّ الله معه الـملائكة والـمؤمنون, كيف أذهب أدعو علـيهم وأنا أعلـم من الله ما أعلـم؟ قالوا: ما لنا من منزل. فلـم يزالوا به يرفعونه ويتضرّعون إلـيه حتـى فتنوه فـافتتن. فركب حمارة له متوجها إلـى الـجبل الذي يطلعه علـى عسكر بنـي إسرائيـل, وهو جبل حسان فلـما سار علـيها غير كثـير ربضت به, فنزل عنها, فضربها, حتـى إذا أذلقها قامت فركبها فلـم تَسر به كثـيرا حتـى ربضت به. ففعل بها مثل ذلك, فقامت فركبها فلـم تسر به كثـيرا حتـى ربضت به. فضربها حتـى إذا أذلقها أذن الله لها, فكلـمته حجة علـيه, فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الـملائكة تردنـي عن وجهي هذا؟ أتذهب إلـى نبـيّ الله والـمؤمنـين تدعو علـيهم فلـم ينزع عنها فضربها فخـلـى الله سبـيـلها حين فعل بها ذلك. قال: فـانطلقت به حتـى إذا أشرفت علـى رأس جبل حسان علـى عسكر موسى وبنـي إسرائيـل جعل يدعو علـيهم ولا يدعو علـيهم بشرّ إلاّ صرف به لسانه إلـى قومه, ولا يدعو لقومه بخير إلاّ صرف لسانه إلـى بنـي إسرائيـل. قال: فقال له قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع؟ إنـما تدعو لهم وتدعو علـينا قال: فهذا ما لا أملك, هذا شيء قد غلب الله علـيه. قال: واندلع لسانه فوقع علـى صدره, فقال لهم: قد ذهبت منـي الآن الدنـيا والآخرة, فلـم يبق إلاّ الـمكر والـحيـلة, فسأمكر لكم وأحتال, حمّلوا النساء وأعطوهنّ السّلَع, ثم أرسلوهنّ إلـى العسكر يبعنها فـيه, ومروهنّ فلا تـمنع امرأة نفسها من رجل

أرادها, فإنهم إن زنـي منهم واحد كُفـيتـموهم ففعلوا فلـما دخـل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانـيـين اسمها كستـى ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بنـي إسرائيـل, وهو زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيـم, فقام إلـيها فأخذ بـيدها حين أعجبه جمالها, ثم أقبل بها حتـى وقـف بها علـى موسى علـيه السلام فقال: إنـي أظنك ستقول هذه حرام علـيك؟ فقال: أجَلْ هي حرام علـيك لا تقرَبْها قال: فوالله لا أطيعك فـي هذا, فدخـل بها قبته فوقع علـيها. وأرسل الله الطاعون فـي بنـي إسرائيـل, وكان فنـحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى, وكان رجلاً قد أعْطِي بسطة فـي الـخـلق وقوّة فـي البطش, وكان غائبـا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع. فجاء والطاعون يجوس فـي بنـي إسرائيـل, فأخبر الـخبر, فأخذ حربته, وكانت من حديد كلها, ثم دخـل علـيه القبة وهما متضاجعان, فـانتظمهما بحربته, ثم خرج بهما رافعهما إلـى السماء, والـحربة قد أخذها بذراعه, واعتـمد بـمرفقه علـى خاصرته, وأسند الـحربة إلـى لَـحيـيه, وكان بكر العيزار, وجعل يقول: اللهمّ هكذا نفعل بـمن يعصيك ورُفع الطاعون, فحُسب من هلك من بنـي إسرائيـل فـي الطاعون, فـيـما بـين أن أصاب زمري الـمرأة إلـى أن قتله فنـحاص, فوُجدوا قد هلك منهم سبعون ألفـا, والـمقلل يقول: عشرون ألفـا فـي ساعة من النهار. فمن هنالك يعطى بنو إسرائيـل ولد فنـحاص بن العيزار بن هارون من كلّ ذبـيحة ذبحوها الفشة والذراع واللّـحْي, لاعتـماده بـالـحربة علـى خاصرته وأخذه إياها بذراعه وإسناده إياها إلـى لـحيـيه, والبكر من كلّ أموالهم وأنفسهم, لأنه كان بكر العيزار. ففـي بلعم بن بـاعورا أنزل الله علـى مـحمد صلى الله عليه وسلم: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها يعنـي بلعم, فأتْبَعَهُ الشّيْطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ... إلـى قوله: لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ.

12037ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قال: انطلق رجل من بنـي إسرائيـل يقال له بَلْعم, فأتـى الـجبـارين فقال: لا ترهبوا من بنـي إسرائيـل, فإنـي إذا خرجتـم تقاتلونهم أدعو علـيهم فخرج يوشع يقاتل الـجبـارين فـي الناس. وخرج بلعم مع الـجبـارين علـى أتانه وهو يريد أن يـلعن بنـي إسرائيـل, فكلـما أراد أن يدعو علـى بنـي إسرائيـل دعا علـى الـجبـارين, فقال الـجبـارون: إنك إنـما تدعو علـينا فـيقول: إنـما أردت بنـي إسرائيـل. فلـما بلغ بـاب الـمدينة أخذ ملك بذنب الأتان, فأمسكها فجعل يحرّكها فلا تتـحرّك, فلـما أكثر ضربها تكلـمت فقالت: أنت تنكحنـي بـاللـيـل وتركبنـي بـالنهار؟ ويـلـي منك ولو أنـي أطقت الـخرج لـخرجت, ولكن هذا الـملك يحبسنـي. وفـي بَلْعم يقول الله: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأَ الّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا... الآية.

12038ـ حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: ثنـي رجل سمع عكرمة, يقول: قالت امرأة منهم: أرونـي موسى, فأنا أفتنه قال: فتطيبتْ, فمرّت علـى رجل يشبه موسى, فواقعها, فأتـى ابن هارون فأخبر, فأخذ سيفـا, فطعن به فـي إحلـيـله حتـى أخرجه من قبلها, ثم رفعهما حتـى رآهما الناس, فعلـم أنه لـيس موسى, ففُضّل آل هارون فـي القربـان علـى آل موسى بـالكَتِف والعَضُد والفخذ, قال: فهو الذي آتـيناه آياتنا فـانسلـخ منها, يعنـي بلعم.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها فقال بعضهم: معناه: لرفعناه بعلـمه بها. ذكر من قال ذلك.
12039ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عبـاس: وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها لرفعه الله تعالـى بعلـمه.
وقال آخرون: معناه لرفعنا عنه الـحال التـي صار إلـيها من الكفر بـالله بآياتنا. ذكر من قال ذلك.
12040ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبـي نُـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها: لرفعنا عنه بها.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد: وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها: لرفعناه عنه.
قال أبو جعفر: وأولـى الأقوال فـي تأويـل ذلك بـالصواب أن يقال: إن الله عمّ الـخبر بقوله: وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها أنه لو شاء رفعه بآياته التـي آتاه إياها. والرفع يعمّ معانـي كثـيرة, منها الرفع فـي الـمنزلة عنده, ومنها الرفع فـي شرف الدنـيا ومكارمها. ومنها الرفع فـي الذكر الـجميـل والثناء الرفـيع. وجائز أن يكون الله عنى كلّ ذلك أنه لو شاء لرفعه, فأعطاه كلّ ذلك بتوفـيقه للعمل بآياته التـي كان آتاها إياه.
وإذ كان ذلك جائزا, فـالصواب من القول فـيه أن لا يُخَصّ منه شيء, إذ كان لا دلالة علـى خصوصه من خبر ولا عقل.
وأما قوله: بِها فإن ابن زيد قال فـي ذلك كالذي قلنا.
12041ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بها بتلك الآيات.
وأما قوله: وَلَكِنّهُ أَخْـلَدَ إلـى الأرْض فإن أهل التأويـل قالوا فـيه نـحو قولنا فـيه. ذكر من قال ذلك.
12042ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن أبـي الهيثم, عن سعيد بن جبـير: وَلَكنّهُ أَخْـلَدَ إلـى الأرْض يعنـي: ركن إلـى الأرض.
قال: ثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن سالـم, عن سعيد بن جبـير: وَلَكِنّهُ أَخْـلَدَ إلـى الأرْض قال: نزع إلـى الأرض.
12043ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: أخـلد: سكن.
12044ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو ثُـمَيـلة, عن أبـي حمزة, عن جابر, عن مـجاهد وعكرمة, عن ابن عبـاس, قال: كان فـي بنـي إسرائيـل بلعام بن بـاعر أوتـي كتابـا, فأخـلد إلـى شهوات الأرض ولذتها وأموالها, لـم ينتفع بـما جاء به الكتاب.
12045ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وَلَكِنّهُ أَخْـلَدَ إلـى الأرْض وَاتّبَع هَوَاهُ أما أخـلد إلـى الأرض: فـاتبع الدنـيا, وركن إلـيها.
وأصل الإخلاد فـي كلام العرب: الإبطاء والإقامة, يقال منه: أخـلد فلان بـالـمكان إذا أقام به وأخـلد نفسه إلـى الـمكان إذا أتاه من مكان آخر, ومنه قول زهير:
لَـمن الدّيارُ غَشِيتُها بـالغَرْقَدكالوَحْي فـي حَجَر الـمَسِيـل الـمُخْـلِدِ
يعنـي الـمقـيـم, ومنه قول مالك بن نُوَيْرة:

بأبْناءِ حَيَ مِنْ قَبـائِلِ مالِكِوَعمْرِو بن يَرْبُوعٍ أقامُوا فأخْـلَدوا
وكان بعض البصريـين يقول: معنى قوله: أخـلد: لزم وتقاعس وأبطأ, والـمخـلد أيضا: هو الذي يبطىء شيبه من الرجال, وهو من الدوابّ الذي تبقـى ثناياه حتـى تـخرج ربـاعيتاه.
وأما قوله وَاتّبَعَ هَوَاهُ فإن ابن زيد قال فـي تأويـله ما:
12046ـ حدثنـي به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَاتّبَعَ هَوَاهُ قال: كان هواه مع القوم.
القول فـي تأويـل قوله تعالـى: فَمَثَلُهُ كمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تـحْمِلْ عَلَـيْهِ يَـلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَـلْهَثْ.
يقول تعالـى ذكره: فمثل هذا الذي آتـيناه آياتنا فـانسلـخ منها, مثل الكلب الذي يـلهث, طردته أو تركته.
ثم اختلف أهل التأويـل فـي السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم: مثّله به فـي اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التـي آتاها إياه وإعراضه عن مواعظ الله التـي فـيها إعراض من لـم يؤته الله شيئا من ذلك, فقال جلّ ثناؤه فـيه: إذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التـي آتاها إياه, أو لـم يوعظ فـي أنه لا يتعظ بها, ولا يترك الكفر به, فمثله مثل الكلب الذي سواء أمره فـي لهثه, طرد أو لـم يطرد, إذ كان لا يترك اللهث بحال. ذكر من قال ذلك.
12047ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: كمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَـحْمِلْ عَلَـيْهِ يَـلْهَثْ قال: تطرده, هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج, قال مـجاهد: فَمَثَلُهُ كمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَـحْمِلْ عَلَـيْهِ يَـلْهَثْ قال: تطرده بدابتك ورجلك يـلهث, قال: مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل بـما فـيه.
قال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد, لا فؤاد له, إن حملت علـيه يـلهث, أو تتركه يـلهث. قال: مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له, إنـما فؤاده منقطع.
12048ـ حدثنـي ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثوبة, عن معمر, عن بعضهم: فَمَثَلُهُ كمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَـحْمِلْ عَلَـيْهِ يَـلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَـلْهَثْ فذلك هو الكافر, هو ضالّ إن وعظته وإن لـم تعظه.
12049ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: فَمَثَلُهُ كمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَـحْمِلْ عَلَـيْهِ الـحكمة لـم يحملها, وإن ترك لـم يهتد لـخير, كالكلب إن كان رابضا لهث وإن طُرد لهث.
حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس قال: آتاه الله آياته فتركها, فجعل الله مثله كمثل الكلب, إن تـحمل علـيه يـلهث, أو تتركه يـلهث.
12050ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَاتْلُ عَلَـيْهِمْ نَبأ الّذِي آتَـيْناهُ آياتِنا فـانْسَلَـخَ مِنْها فأتْبَعَهُ الشّيْطانُ... الآية, هذا مثل ضربه الله لـمن عرض علـيه الهدى, فأبى أن يقبله وتركه. قال: وكان الـحسن يقول: هو الـمنافق. وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلَكِنّهُ أخْـلَدَ إلـى الأرْض وَاتّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كمَثَل الكَلْب إنْ تَـحْمِلْ عَلَـيْهِ يَـلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَـلْهَثْ قال: هذا مثل الكافر ميت الفؤاد.

وقال آخرون: إنـما مثّله جلّ ثناؤه بـالكلب لأنه كان يـلهث كما يـلهث الكلب. ذكر من قال ذلك.

12051ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: فَمَثَلُهُ كمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَـحْمِلْ عَلَـيْهِ يَـلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَـلْهَثْ وكان بلعم يـلهث كما يـلهث الكلب. وأما تـحمل علـيه: فتشدّ علـيه.

قال: أبو جعفر: وأولـى التأويـلـين فـي ذلك بـالصواب تأويـل من قال: إنـما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التـي آتاها إياه, وأن معناه: سواء وعظ أو لـم يوعظ فـي أنه لا يترك ما هو علـيه من خلافه أمر ربه, كما سواء حمل علـى الكلب وطرد أو ترك فلـم يطرد فـي أنه لا يدع اللهث فـي كلتا حالتـيه.

وإنـما قلنا ذلك أولـى القولـين بـالصواب لدلالة قوله تعالـى ذلك: مَثَلُ القَوم الّذينَ كَذّبُوا بآياتِنا فجعل ذلك مثل الـمكذّبـين بآياته. وقد علـمنا أن اللهاث لـيس فـي خـلقة كلّ مكذّب كتب علـيه ترك الإنابة من تكذيب بآيات الله, وأن ذلك إنـما هو مثل ضربه الله لهم, فكان معلوما بذلك أنه للذي وصف الله صفته فـي هذه الآية, كما هو لسائر الـمكذّبـين بآيات الله مَثَل.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: ذلكَ مَثَلُ القَوْم الّذينَ كَذّبُوا بآياتِنا فـاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ.

يقول تعالـى ذكره: هذا الـمثل الذي ضربته لهذا الذي آتـيناه آياتنا فـانسلـخ منها, مثل القوم الذين كذّبوا بحججنا وأعلامنا وأدلتنا, فسلكوا فـي ذلك سبـيـل هذا الـمنسلـخ من آياتنا الذي آتـيناها إياه فـي تركه العمل بـما آتـيناه من ذلك.

وأما قوله: فـاقْصُصِ القَصَصَ فإنه يقول لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: فـاقصص يا مـحمد هذا القصص الذي قصصته علـيك من نبإ الذي آتـيناه آياتنا, وأخبـار الأمـم التـي أخبرتك أخبـارهم فـي هذه السورة وقصصت علـيك نبأهم ونبأ أشبـاههم, وما حلّ بهم من عقوبتنا ونزل بهم, حين كذّبوا رسلنا من نقمتنا علـى قومك من قريش ومَنْ قِبَلَك من يهود بنـي إسرائيـل, لـيتفكروا فـي ذلك فـيعتبروا وينـيبوا إلـى طاعتنا, لئلا يحل بهم مثل الذي حلّ بـمن قبلهم من النقم والـمثلات, ويتدبره الـيهود من بنـي إسرائيـل فـيعلـموا حقـيقة أمرك وصحة نبوّتك, إذ كان نبأ الذي آتـيناه آياتنا من خفـيّ علومهم ومكنون أخبـارهم لا يعلـمه إلاّ أحبـارهم ومن قرأ الكتب ودرسها منهم, وفـي علـمك بذلك وأنت أمي لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولـم تـجالس أهل العلـم الـحجةُ البـينة لك علـيهم بأنك لله رسول, وأنك لـم تعلـم ما علـمت من ذلك, وحالك الـحال التـي أنت بها إلاّ بوحي من السماء.

وبنـحو ذلك كان أبو النضر يقول.

12052ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن مـحمد, عن سالـم أبـي النضر: فـاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ يعنـي: بنـي إسرائيـل, إذ قد جئتهم بخبر ما كان فـيهم مـما يخفون علـيك, لعلهم يتفكرون, فـيعرفون أنه لـم يأت بهذا الـخبر عما مضى فـيهم إلاّ نبـيّ يأتـيه خبر السماء.

الآية : 177

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ساء مثلاً القوم الذين كذّبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها, وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها, ويبخسونها منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها. وقيل: ساء مثلاً من الشرّ, بمعنى: بئس مثلاً. وأقيم القوم مقام المثل, وحذف المثل, إذ كان الكلام مفهوما معناه, كما قال جلّ ثناؤه: وَلَكِنّ البِرّ مَنْ آمَنَ بالله فإن معناه: ولكن البرّ برّ من آمن بالله. وقد بيّنا نظائر ذلك في مواضع غير هذا بما أغنى عن إعادته.

الآية : 178

القول في تأويل قوله تعالى: {مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: الهداية والإضلال بيد الله والمهتدى وهو السالك سبيل الحقّ الراكب قصد المحجة في دينه من هداه الله لذلك, فوفقه لإصابته. والضالّ من خذله الله فلم يوفقه لطاعته, ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر: يعني الهالك. وقد بيّنا معنى الخسارة والهداية والضلالة في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 179

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنّمَ كَثِيراً مّنَ الْجِنّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجنّ والإنس, يقال منه: ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذَرْءا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12053ـ حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن مبارك بن فضالة, عن الحسن, في قوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنّمَ كَثِيرا مِنَ الجِنّ والإنْسِ قال: مما خلقنا.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن مبارك, عن الحسن, في قوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنّمَ قال: خلقنا.

12054ـ قال: ثنا زكريا, عن عَتّاب بن بشير, عن عليّ بن بِذَيمة, عن سعيد بن جبير, قال: أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم.

12055ـ قال: ثنا زكريا بن عديّ وعثمان الأحول, عن مروان بن معاوية, عن الحسن بن عمرو, عن معاوية ابن إسحاق, عن جليس له بالطائف, عن عبد الله بن عمرو, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «إنّ اللّهَ لَمّا ذَرَأ لِجَهَنّمَ ما ذَرَأ, كانَ وَلَدُ الزّنا مِمّنْ ذَرَأ لِجَهَنّمَ».

12056ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنّمَ يقول: خلقنا.

12057ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنّمَ قال: لقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجنّ والإنس.

12058ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنّمَ خلقنا.

وقال جلّ ثناؤه: وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنّمَ كَثِيرا مِنَ الجِنّ والإنْس لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم.

وأما قوله: لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بها فإن معناه: لهؤلاء الذين ذرأهم الله لـجهنـم من خـلقه قلوب لا يتفكرون بها فـي آيات الله, ولا يتدبرون بها أدلته علـى وحدانـيته, ولا يعتبرون بها حججه لرسله, فـيعلـموا توحيد ربهم, ويعرفوا حقـيقة نبوّة أنبـيائهم. فوصفهم ربنا جلّ ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها لإعراضهم عن الـحقّ وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر. وكذلك قوله: ولَهُمْ أعيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بها معناه: ولهم أعين لا ينظرون بها إلـى آيات الله وأدلته, فـيتأملوها ويتفكروا فـيها, فـيعلـموا بها صحة ما تدعوهم إلـيه رسلهم, وفساد ما هم علـيه مقـيـمون من الشرك بـالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم إعمالها فـي الـحق بأنهم لا يبصرون بها. وكذلك قوله: ولَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بها آيات كتاب الله فـيعتبروها ويتفكروا فـيها, ولكنهم يعرضون عنها, ويقولون: لا تَسْمَعُوا لهذا القُرْآنِ والْغوا فِـيهِ لَعَلّكُمْ تَغْلِبُونَ. وذلك نظير وصف الله إياهم فـي موضع آخر بقوله: صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فـيـما يصلـح له, ومنه قول مسكين الدارمي:

أَعْمَى إذَا ما جارَتـي خَرَجَتحتـى يُوَاريَ جارَتـي السّتْرُ
وأصَمّ عَمّا كانَ بَـيْنَهُماسَمْعي وَما بـالسّمْع مِنْ وَقْرِ

فوصف نفسه لتركه النظر والاستـماع بـالعمى والصمـم. ومنه قول الآخر:

وَعَوْرَاءِ اللّئام صَمَـمْتُ عَنْهاوإنّـي لَوْ أشاءُ بِها سَمِيعُ
وبَـادِرَةٍ وَزَعْتُ النّفْسَ عَنْهاوَلَوْ بِـينَتْ مِنَ العَصَبِ الصّلوعُ

وذلك كثـير فـي كلام العرب وأشعارها.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك.

12059ـ حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مـجاهدا يقول فـي قوله: لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها قال: لا يفقهون بها شيئا من أمر الآخرة. ولَهُمْ أعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها الهدى. ولَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها الـحَقّ ثم جعلهم كالأنعام, ثم جعلهم شرّا من الأنعام, فقال: بَلْ هُمْ أضَلّ ثم أخبر أنهم هم الغافلون.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: أولَئِكَ كالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلّ أولئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ.

يعنـي جلّ ثناؤه بقوله: أُولَئِكَ كالأنْعامِ هؤلاء الذين ذرأهم لـجهنـم هم كالأنعام, وهي البهائم التـي لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مـما يصلـح وما لا يصلـح ولا تعقل بقلوبها الـخير من الشرّ فتـميز بـينهما, فشبههم الله بها, إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه, ولا يتفكرون فـيـما يسمعون من آي كتابه. ثم قال: بَلْ هُمْ أضَلّ يقول: هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لـجهنـم أشدّ ذهابـا عن الـحقّ وألزم لطريق البـاطل من البهائم, لأن البهائم لا اختـيار لها ولا تـمـيـيز فتـختار وتـميّز, وإنـما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من الـمضارّ وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلـح. والذين وصف الله صفتهم فـي هذه الآية, مع ما أعطوا من الأفهام والعقول الـمـميزة بـين الـمصالـح والـمضارّ, تترك ما فـيه صلاح دنـياها وآخرتها وتطلب ما فـيه مضارّها, فـالبهائم منها أسد وهي منها أضلّ, كما وصفها به ربنا جلّ ثناؤه.

وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الغافِلُونَ يقول تعالـى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم, القوم الذين غفلوا, يعنـي سهوا عن آياتـي وحججي, وتركوا تدبرها والاعتبـار

بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها, لا البهائم التي قد عرّفها ربها ما سخرها له.

الآية : 180

القول في تأويل قوله تعالى: {وَللّهِ الأسْمَآءُ الْحُسْنَىَ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيَ أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }..

يقول تعالى ذكره وللّهِ الأسْماءُ الحُسْنَى, وهي كما قال ابن عباس.

12060ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وللّهِ الأسْماءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِها ومن أسمائه: العزيز الجبار, وكلّ أسماء الله حسن.

12061ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام بن حسان, عن ابن سيرين, عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «إنّ لِلّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْما, مِئَةً إلاّ وَاحِدا, مَنْ أحْصَاها كُلّها دَخَلَ الجَنّةَ».

وأما قوله: وَذَرُوا الّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ فإنه يعني به المشركين. وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه, فسموا بها آلهتهم وأوثانهم, وزادوا فيها ونقصوا منها, فسموا بعضها اللات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو الله, وسموا بعضها العزّى اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو العزيز.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12062ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَذَرُوا الّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ قال: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله.

12063ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَذَرُوا الّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ قال: اشتقوا العُزّى من العزيز, واشتقوا اللات من الله.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله يُلْحِدُونَ فقال بعضهم: يكذّبون. ذكر من قال ذلك.

12064ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَذَرُوا الّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أسْمائِهِ قال: الإلحاد: التكذيب.

وقال آخرون: معنى ذلك: يشركون. ذكر من قال ذلك.

12065ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا أبو ثور, عن معمر, عن قتادة: يُلْحِدُونَ قال: يشركون.

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد, والجور عنه, والإعراض, ثم يستعمل في كلّ معوجّ غير مستقيم, ولذلك قيل للحد القبر لحد, لأنه في ناحية منه وليس في وسطه, يقال منه: ألحد فلان يُلْحِد إلحادا, ولَحد يَلْحَدُ لَحْدا ولُحُودا. وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرّق بين الإلحاد واللحد, فيقول في الإلحاد: إنه العدول عن القصد, وفي اللحد إنه الركون إلى الشيء, وكان يقرأ جميع ما في القرآن «يُلحدون» بضمّ الياء وكسر الحاء, إلاّ التي في النحل, فإنه كان يقرؤها: «يَلحَدون» بفتح الياء والحاء, ويزعم أنه بمعنى الركون. وأما

سائر أهل الـمعرفة بكلام العرب فـيرون أن معناهما واحد, وأنهما لغتان جاءتا فـي حرف واحد بـمعنى واحد.
واختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء أهل الـمدينة وبعض البصريـين والكوفـيـين: يُـلْـحِدون بضمّ الـياء وكسر الـحاء من ألـحد يُـلـحِد فـي جميع القرآن. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: «يَـلْـحَدون» بفتـح الـياء والـحاء من لـحد يـلـحد.
والصواب من القول فـي ذلك أنهما لغتان بـمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب فـي ذلك. غير أنـي أختار القراءة بضمّ الـياء علـى لغة من قال: «ألـحد», لأنها أشهر اللغتـين وأفصحهما. وكان ابن زيد يقول فـي قوله: وَذرُوا الّذِينَ يُـلْـحِدُونَ فِـي أسْمائِهِ إنه منسوخ.
12066ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَذَرُوا الّذِينَ يُـلْـحِدونَ فِـي أسْمائِهِ قال: هؤلاء أهل الكفر, وقد نسخ, نسخه القتال.
ولا معنى لـما قال ابن زيد فـي ذلك من أنه منسوخ, لأن قوله: وَذَرُوا الّذِينَ يُـلْـحِدونَ فِـي أسْمائِهِ لـيس بأمر من الله لنبـيه صلى الله عليه وسلم بترك الـمشركين أن يقولوا ذلك حتـى يأذن له فـي قتالهم, وإنـما هو تهديد من الله للـملـحدين فـي أسمائه ووعيد منه لهم, كما قال فـي موضع آخر: ذَرْهُمْ يَأكُلُوا وَيَتَـمَتّعُوا وَيُـلْـهِهِمُ الأمَلُ... الآية, وكقوله: لِـيَكْفُرُوا بِـمَا آتَـيْناهُمْ وَلِـيَتَـمَتّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَـمُونَ وهو كلام خرج مخرج الأمر بـمعنى الوعيد والتهديد, ومعناه: إن تُـمهل الذين يُـلـحدون يا مـحمد فـي أسماء الله إلـى أجل هم بـالغوه, فسوف يجزون إذا جاءهم أجل الله الذي أجّله إلـيهم جزاء أعمالهم التـي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بـالله والإلـحاد فـي أسمائه وتكذيب رسوله.

الآية : 181

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمِمّنْ خَلَقْنَآ أُمّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }..
يقول تعالـى ذكره: ومن الـخـلق الذين خـلقنا أمة, يعنـي جماعة يهدون, يقول: يهتدون بـالـحقّ وبِهِ يَعْدِلُونَ يقول: وبـالـحقّ يقضون وينصفون الناس, كما قال ابن جريج.
12067ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قوله: أُمّةٌ يَهْدُونَ بـالـحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قال ابن جريج: ذكر لنا أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم, قال: «هذِهِ أُمّتـي» قالَ: «بـالـحَقّ يَأخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَقْضُونَ».

12068ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَمِـمّنْ خَـلَقْنا أُمّةٌ يَهْدُونَ بـالـحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.
12069ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمِـمّنْ خَـلَقْنا أُمّةٌ يَهْدُونَ بـالـحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ بلغنا أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قرأها: «هَذهِ لَكُمْ, وَقَدْ أُعْطِيَ القَوْمُ بـينَ أيْدِيكُمْ مِثْلَها, وَمِنْ قَوْم مُوسَى أُمّةٌ يَهْدُونَ بـالـحَقّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ».

الآية : 182

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: والذين كذّبوا بأدلتنا وأعلامنا, فجحدوها ولـم يتذكروا بها, سنـمهله بغرّته ونزين له سوء عمله, حتـى يحسب أنه هو فـيـما علـيه من تكذيبه بآيات الله إلـى نفسه مـحسن, وحتـى يبلغ الغاية التـي كتب له من الـمهل, ثم يأخذه بأعماله السيئة, فـيجازيه بها من العقوبة ما قد أعدّ له. وذلك استدراج الله إياه. وأصل الاستدراج اغترار الـمستدرج بلطف من حيث يرى الـمستدرج أن الـمستدرج إلـيه مـحسن حتـى يورّطه مكروها. وقد بـيّنا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

الآية : 183

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنّ كَيْدِي مَتِينٌ }..

يقول تعالـى ذكره: وأؤخر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا مُلاءة بـالكسر والضمّ والفتـح من الدهر, وهي الـحين, ومنه قـيـل: انتظرتك ملّـيا, لـيبلغوا بـمعصيتهم ربهم الـمقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم إلـيه. إنّ كَيْدِي والكيد: هو الـمكر. وقوله مَتِـينٌ يعنـي: قويّ شديد, ومنه قول الشاعر:

عَدَلْنَ عُدُولَ النّاسِ وَاقْبح يُبْتَلـىأفـاسٌ مِنَ الهُرّابِ شَدّ مـمَاتِنُ

يعنـي: سيرا شديدا بـاقـيا لا ينقطع.

الآية : 184

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَوَلَمْ يَتَفَكّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِمْ مّن جِنّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ مّبِينٌ }..

يقول تعالـى ذكره: أو لـم يتفكر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا فـيتدبّروا بعقولهم, ويعلـموا أن رسولنا الذي أرسلناه إلـيهم, لا جِنّة به ولا خبْل, وأن الذي دعاهم إلـيه هو الدين الصحيح القويـم والـحقّ الـمبـين. ولذا نزلت هذه الآية فـيـما قبل, كما:

12070ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر لنا أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم كان علـى الصفـا, فدعا قريشا, فجعل يفخّذهم فخذا فخذا: يا بنـي فلان يا بنـي فلان فحذّرهم بأس الله, ووقائع الله, فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لـمـجنون بـات يصوّت إلـى الصبـاح, أو حتـى أصبح. فأنزل الله تبـارك وتعالـى: أوَ لَـمْ يَتَفَكّرُوا ما بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ مُبِـينٌ.

ويعنـي بقوله: إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ مُبِـينٌ: ما هو إلاّ نذير منذركم عقاب الله علـى كفركم به إن لـم تنـيبوا إلـى الإيـمان به, ويعنـي بقوله: مُبِـينٌ قد أبـان لكم أيها الناس إنذاره ما أنذركم به من بأس الله علـى كفركم به.

الآية : 185

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىَ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: أو لـم ينظر هؤلاء الـمكذّبون بآيات الله فـي مُلك الله وسلطانه فـي السموات وفـي الأرض وفـيـما خـلق جلّ ثناؤه من شيء

فـيهما, فـيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلـموا أن ذلك مـمن لا نظير له ولا شبـيه, ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبـادة والدين الـخالص إلاّ له, فـيؤمنوا به ويصدّقوا رسوله وينـيبوا إلـى طاعته ويخـلعوا الأنداد والأوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فـيهلكوا علـى كفرهم ويصيروا إلـى عذاب الله وألـيـم عقابه.

وقوله: فَبِأَيّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ يقول: فبأيّ تـجويف وتـحذير وترهيب بعد تـحذير مـحمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله فـي آي كتابه يصدّقون, إن لـم يصدّقوا بهذا الكتاب الذي جاءهم به مـحمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالـى.

الآية : 186

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: إن إعراض هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا, التاركي النظر فـي حجج الله والفكر فـيها, لإضلال الله إياهم, ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبّروا فأبصروا رشدهم ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشَدا ولا يهتدون سبـيلاً, ومن أضله عن الرشاد فلا هادي له. ولكن الله يدعهم فـي تـماديهم فـي كفرهم وتـمرّدهم فـي شركهم يتردّدون, لـيستوجبوا الغاية التـي كتبها الله لهم من عقوبته وألـيـم نكاله.

الآية : 187

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبّي لاَ يُجَلّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنّكَ حَفِيّ عَنْهَا قُلْ إِنّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }..

اختلف أهل التأويـل فـي الذين عنُوا بقوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ فقال بعضهم: عنـي بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُريش, وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك.

12071ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قالت قريش لـمـحمد صلى الله عليه وسلم: إن بـيننا وبـينك قرابة, فأسرّ إلـينا متـى الساعة فقال الله: يَسْئَلُونَكَ كأنّك حَفِـيّ عَنْها.

وقال آخرون: بل عنـي به قوم من الـيهود. ذكر من قال ذلك.

12072ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, قال: حدثنا مـحمد بن إسحاق, قال: ثنـي مـحمد بن أبـي مـحمد مولـى زيد بن ثابت, قال: ثنـي سعيد بن جبـير أو عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: قال حمل بن أبـي قُشير وسمْول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا مـحمد أخبرنا متـى الساعة إن كنت نبـيّا كما تقول, فإنا نعلـم متـى هي فأنزل الله تعالـى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أيّان مُرْساها قُلْ إنّـما عِلْـمُها عِنْدَ ربّـي... إلـى قوله: ولَكِنّ أكْثَر النّاسِ لا يَعْلَـمُون.

12073ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن طارق بن شهاب, قال: كان النبـيّ صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتـى نزلت: يَسْئَلُونَك عَنِ السّاعَةِ أيّان مُرْساها.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: إن قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة, فأنزل الله هذه الآية, وجائز أن يكون كانوا من قريش, وجائز أن يكونوا كانوا من الـيهود ولا خبر بذلك عندنا يجوّز قطع القول علـى أيّ ذلك كان.

فتأويـل الآية إذن: يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيّان مرساها, يقول: متـى قـيامها. ومعنى «أيّان»: «متـى» فـي كلام العرب, ومنه قول الراجز:

أيّان تَقْضِي حاجَتِـي أيّاناأمَا تَرى لِنُـجْحِها إبّـانَا

ومعنى قوله: مُرْساها: قـيامها, من قول القائل: أرساها الله فهي مرساة, وأرساها القوم: إذا حبسوها, ورست هي ترسو رُسُوّا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك.

12074ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: يَسْئَلُونَك عَنِ السّاعَةِ أيّان مُرْساها: يقول متـى قـيامها.

12075ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أيّان مُرْساها: متـى قـيامها.

وقال آخرون: معنى ذلكَ: منتهاها. وذلك قريب الـمعنى من معنى من قال: معناه: قـيامها, لأن انتهاءها: بلوغها وقتها. وقد بـيّنا أن أصل ذلك الـحبس والوقوف. ذكر من قال ذلك.

12076ـ حدثنا الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: يَسْئَلُونَك عَنِ السّاعَةِ أيّان مُرْساها يعنـي: منتهاها.

وأما قوله: قُلْ إنّـما عِلْـمُها عِنْد ربّـي لا يُجَلّـيها لِوقْتِها إلاّ هُو فإنه أمر من الله نبـيه مـحمدا صلى الله عليه وسلم بأن يجيب سائلـيه عن الساعة بأنه لا يعلـم وقت قـيامها إلاّ الله الذي يعلـم الغيب, وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلـمها غيره جلّ ذكره. كما:

12077ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قُلْ إنّـمَا عِلْـمُها عِنْد ربّـي لا يُجَلّـيها لِوقْتِها إلاّ هُوَ يقول: علـمها عند الله, هو يجلـيها لوقتها, لا يعلـم ذلك إلاّ الله.

12078ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: لا يُجَلّـيها: يأتـي بها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مـجاهد: لا يُجَلّـيها لا يأتـي بها إلاّ هُو.

12079ـ حدثنـي مـحمدبن الـحسين قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: لا يُجَلّـيها لِوَقْتِهَا إلاّ هُو يقول: لا يرسلها لوقتها إلاّ هو.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: ثَقُلَتْ فـي السّمَواتِ والأرْضِ لا تأْتِـيكُمْ إلاّ بَغْتَةً.

اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: ثقلت الساعة علـى أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومـجيئها لـخفـائها عنهم واستئثار الله بعلـمها. ذكر من قال ذلك.

12080ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: ثَقُلَتْ في السّمَواتِ والأرْضِ يقول: خفيت في السموات والأرض, فلم يعلم قيامها متى تقوم مَلك مقرّب ولا نبيّ مرسل.
12081ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزّاق جميعا, عن معمر, عن بعض أهل التأويل: ثَقُلَتْ في السّمَواتِ والأرْضِ قال: ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض أنهم لا يعلمونَ.
وقال آخرون: معنى ذلك: أنها كبرت عند مجيئها على أهل السموات والأرض. ذكر من قال ذلك.
12082ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق جميعا, عن معمر, قال: قال الحسن, في قوله: ثَقُلَتْ في السّمَوَاتِ والأرْضِ يعني: إذا جاءت ثَقُلت على أهل السماء وأهل الأرض. يقول: كبُرت عليهم.
12083ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: ثَقُلَتْ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ قال: إذا جاءت انشقّت السماء, وانتثرت النجوم, وكُوّرَت الشمس, وسُيرت الجبال, وكان ما قال الله فذلك ثقلها.
12084ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قال بعض الناس في «ثقلت»: عظمت.
وقال آخرون: معنى قوله: في السّمَوَاتِ والأرْضِ: على السموات والأرض. ذكر من قال ذلك.
12085ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ثَقُلَتْ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ: أي على السموات والأرض.
قال أبو جعفر: وأولى ذلك عندي بالصواب, قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها لأن الله أخفى ذلك عن خلقه, فلم يطلع عليه منهم أحدا. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله: قُلْ إنّمَا عِلْمُها عِنْدَ رَبّي لا يُجَلِيها لِوَقْتِها إلاّ هُوَ وأخبر بعده أنها لا تأتي إلاّ بغتة, فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضا خبرا عن خفاء علمها عن الخلق, إذ كان ما قبله وما بعده كذلك.
وأما قوله: لا تَأتِيكُمْ إلاّ بَغْتَةً فإنه يقول: لا تجيء الساعة إلاّ فجأة, لا تشعرون بمجيئها. كما:
12086ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لا تَأتِيكُمْ إلاّ بَغْتَةً يقول: يبغتهم قيامها, تأتيهم على غفلة.
12087ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: لا تَأتِيكُمْ إلاّ بَغْتَةً قضى الله أنها لا تأتيكم إلاّ بغتة. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إنّ السّاعَةَ تَهيجُ بالنّاس والرّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضهُ والرّجُلُ يُسْقِي ماشِيَتَهُ والرّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ في السّوقِ وَالرّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ».
القول في تأويل قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها قُلْ إنّمَا عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ وَلكِنّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ.

يقول تعالى ذكره: يسألك هؤلاء القوم عن الساعة, كأنك حفيّ عنها. فقال بعضهم: يسألونك عنها كأنك حفيّ بهم. وقالوا: معنى قوله: «عنها» التقديم وإن كان مؤخرا. ذكر من قال ذلك.

12088ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها يقول: كأن بينك وبينهم مودّة, كأنك صديق لهم. قال ابن عباس: لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفي بهم, فأوحى الله إليه: إنما علمها عنده, استأثر بعلمها, فلم يُطْلِع عليها ملَكا ولا رسولاً.

12089ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال قتادة: قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: إن بيننا وبينك قرابة, فأسرّ إلينا متى الساعة فقال الله: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها: أي حفيّ بهم. قال: قالت قريش: يا محمد أسرّ إلينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك.

12090ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر وهانىء بن سعيد, عن حجاج, عن خَصِيف, عن مجاهد وعكرمة: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها قال: حفيّ بهم حين يسألونك.

12091ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها قال: قربت منهم, وتحفّى عليهم. قال: وقال أبو مالك: كأنك حفيّ بهم, قال: قريب منهم, وتحفّى عليهم. قال: وقال أبو مالك: كأنك حفيّ بهم فتحدثهم.

12092ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها كأنك صديق لهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كأنك قد استحفيت المسألة عنها فغلمتها. ذكر من قال ذلك.

12093ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كأنّك حَفِيّ عَنْها استحفيت عنها السؤال حتى علمتها.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد في قوله: كأنّكَ حَفِيّ عَنْها قال: استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها.

12094ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها قال: كأنك عالم بها.

قال: حدثنا حامد بن نوح, عن أبي روق, عن الضحاك: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها قال: كأنك تعلمها.

حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: ثني عبيد بن سليمان, عن الضحاك, قوله: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِيّ عَنْها يقول: يسألونك عن الساعة, كأنك عندك علما منها. قُلْ إنّمَا عِلْمُها عِنْدَ رَبي.

12095ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن بعضهم: كأنّكَ حَفِـيّ عَنْها: كأنك عالـم بها.
12096ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: كأنّكَ حَفِـيّ عَنْها قال: كأنك عالـم بها. وقال: أخفـى علـمها علـى خـلقه. وقرأ: إنّ اللّهَ عِنْدَه عِلْـم السّاعَةِ, حتـى ختـم السورة.
12097ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس, قوله: يَسْئَلُونَكَ كأنّكَ حَفِـيّ عَنْها يقول: كأنك يعجبك سؤالهم إياك. قُلْ إنّـمَا عِلْـمُها عِنْدَ اللّهَ.
وقوله: كأنّكَ حَفِـيّ عَنْها يقول: لطيف بها.
فوجه هؤلاء تأويـل قوله: كأنّكَ حَفِـيّ عَنْها إلـى حفـيّ بها, وقالوا: تقول العرب: تـحفـيت له فـي الـمسئلة, وتـحفـيت عنه. قالوا: ولذلك قـيـل: أتـينا فلانا نسأل به, بـمعنى نسأل عنه.
قال أبو جعفر: وأولـى القولـين فـي ذلك بـالصواب قول من قال: معناه: كأنك حفـيّ بـالـمسئلة عنها فتعلـمها.
فإن قال قائل: وكيف قـيـل: حَفِـيّ عَنْها ولـم يقل حفـيّ بها, إن كان ذلك تأويـل الكلام؟ قـيـل: إن ذلك قـيـل كذلك, لأن الـحفـاوة إنـما تكون فـي الـمسئلة, وهي البشاشة للـمسؤول عند الـمسئلة, والإكثار من السؤال عنه, والسؤال يوصل ب «عن» مرّة وبـالبـاء مرّة, فـيقال: سألت عنه, وسألت به فلـما وضع قوله «حفـي» موضع السؤال, وصل بأغلب الـحرفـين اللذين يوصل بهما السؤال, وهو «عن», كما قال الشاعر:
سُؤَالَ حَفِـيَ عَنْ أخِيهِ كأنّهيُذَكّرُهُ وَسْنانُ أوْ مُتَوَاسِنُ
وأما قوله: قُلْ إنّـمَا عِلْـمُها عِنْدَ اللّهِ فإن معناه: قل يا مـحمد لسائلـيك عن وقت الساعة وحين مـجيئها: لا علـم لـي بذلك, ولا يعلـم به إلاّ الله الذي يعلـم غيب السموات والأرض. وَلكِنّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَـمونَ يقول: ولكن أكثر الناس لا يعلـمون أن ذلك لا يعلـمه إلاّ الله, بل يحسبون أن علـم ذلك يوجد عند بعض خـلقه.

الآية : 188

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُل لاّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاّ مَا شَآءَ اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسّنِيَ السّوَءُ إِنْ أَنَاْ إِلاّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }..
يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا مـحمد لسائلـيك عن الساعة أيّان مرساها: لا أمْلِك لِنَفْسِي نَفْعا وَة ضَرّا يقول: لا أقدر علـى اجتلاب نفع إلـى نفسي, ولا دفع ضرّ يحلّ بها عنها إلاّ ما شاء الله أن أملكه من ذلك بأن يقوّيني علـيه ويعينـني. وَلَوْ كُنْتُ أعْلَـمُ الغَيْبَ يقول: لو كنت أعلـم ما هو كائن مـما لـم يكن بعد لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الـخَيْرِ يقول: لأعددت الكثـير من الـخير.
ثم اختلف أهل التأويـل فـي معنى الـخير الذي عناه الله بقوله: لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الـخَيْرِ فقال بعضهم: معنى ذلك: لاستكثرت من العمل الصالـح. ذكر من قال ذلك.
12098ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج: قوله: قُلْ لا أمْلِك لِنَفْسِي نَفْعا وَلا ضَرّا قال: الهدى والضلالة. لَوْ

كُنْتُ أعْلَـمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الـخَيْرِ قال: أعلـم الغيب متـى أموت لاستكثرت من العمل الصالـح.
12099ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
12100ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلَوْ كُنْتُ أعْلَـمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الـخَيْرِ وَما مَسّنِـيَ السّوءُ: قال: لاجتنبت ما يكون من الشرّ واتقـيته.
وقال آخرون: معنى ذلك: ولو كنت أعلـم الغيب لأعددت للسنّة الـمـجدبة من الـمخصبة, ولعرفت الغلاء من الرخص, واستعددت له فـي الرخص.
وقوله: وَما مَسّنِـيَ السّوءُ يقول: وما مسنـي الضرّ. إنْ أنا إلاّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ يقول: ما أنا إلاّ رسول الله أرسلنـي إلـيكم, أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره, وأبشر بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعة منكم. قولوه: لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يقول: يصدّقون بأنـي لله رسول, ويقرّون بحقـية ما جئتهم به من عنده.

الآية : 189

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَماّ تَغَشّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرّتْ بِهِ فَلَمّآ أَثْقَلَتْ دّعَوَا اللّهَ رَبّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لّنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ }..
يقول تعالـى ذكره: هُوَ الّذِي خَـلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. يعنـي بـالنفس الواحدة: آدم كما:
12101ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن رجل, عن مـجاهد: خَـلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ قال: آدم علـيه السلام.
12102ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هُوَ الّذِي خَـلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ من آدم.
ويعنـي بقوله: وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَها: وجعل من النفس الواحدة, وهو آدم, زوجها حوّاء كما:
12103ـ حدثنـي بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها: حوّاء, فجُعلت من ضِلَع من أضلاعه لـيسكن إلـيها.
ويعنـي بقوله: لِـيَسْكُنَ إلَـيْها: لـيأوى إلـيها لقضاء الـحاجة ولذّته. ويعنـي بقوله: فَلَـمّا تَغَشّاها فلـما تدثرها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها, حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِـيفـا وفـي الكلام مـحذوف ترك ذكره استغناء بـما ظهر عما حذف, وذلك قوله: فَلَـمّا تَغَشّاها حَمَلَتْ وإنـما الكلام: فلـما تغشاها فقضى حاجته منها حملت. وقوله: حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِـيفـا يعنـي بخفة الـحمل: الـماء الذي حملته حوّاء فـي رحمها من آدم أنه كان حملاً خفـيفـا, وكذلك هو حمل الـمرأة ماء الرجل خفـيف علـيها. وأما قوله: فَمَرّتْ بِهِ فإنه يعنـي: استـمرّت بـالـماء: قامت به وقعدت, وأتـمت الـحمل. كما:
12104ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبـي عمير, عن أيوب, قال: سألت الـحسن عن قوله: حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِـيفـا فَمَرّتْ بِهِ قال: لو كنت امرأ عربـيّا لعرفت ما هي, إنـما هي: فـاستـمرّت به.
12105ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَلَـمّا تَغَشّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِـيفـا فَمَرّتْ بِهِ استبـان حملها.

12106ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَمَرتْ بِهِ قال: استمرّ حملها.
12107ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفا قال: هي النطفة. وقوله فَمَرتْ بِهِ يقول: استمرّت به.
وقال آخرون: معنى ذلك: فشكّت فيه. ذكر من قال ذلك.
12108ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فَمَرّتْ بِهِ قال: فشكت أحملت أم لا.
ويعني بقوله: فَلَمّا أثْقَلَتْ فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفا ثقيلاً ودنت ولادتها, يقال منه: أثقلت فلانة إذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال: أتمر فلان: إذا صار ذا تمر. كما:
12109ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَلَمّا أثْقَلَتْ: كبر الولد في بطنها.
قال أبو جعفر: دَعَوَا اللّهَ رَبّهُما, يقول: نادى آدم وحوّاء ربهما وقالا: يا ربنا لئن آتيتنا صالحا لنكوننّ من الشاكرين.
واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي أقسم آدم وحوّاء عليهما السلام أنه إن آتاهما صالحا في حمل حوّاء لنكوننّ من الشاكرين. فقال بعضهم: ذلك هو أن يكون الحمل غلاما. ذكر من قال ذلك.
12110ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال الحسن, في قوله: لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحا قال: غلاما.
وقال آخرون: بل هو أن يكون المولود بشرا سويّا مثلهما, ولا يكون بهيمة. ذكر من قال ذلك.
12111ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن زيد بن جبير الحسمي, عن أبي البَخْتري, في قوله: لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحا لَنَكُونَنّ مِن الشّاكِرِينَ قال: أشفقا أن يكون شيئا دون الإنسان.
قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن سفيان, عن زيد بن جبير, عن أبي البَخْتري, قال: أشفقا أن لا يكون إنسانا.
12112ـ قال: حدثنا محمد بن عبيد, عن إسماعيل, عن أبي صالح, قال: لما حملت امرأة آدم فأثقلت, كان يشفقان أن يكون بهيمة, فَدَعَوَا رَبّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحا... الآية.
12113ـ قال: حدثنا جابر بن نوح, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: أشفقا أن يكون بهيمة.
12114ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال سعيد بن جبير: لما هبط آدم وحوّاء, ألقيت الشهوة في نفسه فأصابها, فليس إلاّ أن أصابها حملت, فليس إلاّ أن حملت تحرّك في بطنها ولدها, قالت: ما هذا؟ فجاءها إبليس, فقال: أترين في الأرض إلاّ ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة؟ هو بعض ذلك. قالت: والله ما منى شيء إلاّ وهو يضيق عن ذلك. قال: فأطيعيني وسميه عبد الحرث تلدي شِبْهكما مثلكما قال: فذكرت ذلك لآدم عليه السلام, فقال: هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة. فمات, ثم حملت بآخر, فجاءها فقال: أطيعيني وسميه عبد الحرث وكان اسمه في الملائكة الحارث وإلاّ ولدتِ ناقة أو

بقرة أو ضائنة أو ماعزة, أو قتلتُه, فإنـي أنا قتلت الأول قال: فذكرت ذلك لآدم, فكأنه لـم يكرهه, فسمّته عبد الـحرث, فذلك قوله: لَئِنْ آتَـيْتَنا صَالِـحا يقول: شبهنا مثلنا, فلـما آتَاهُمَا صَالِـحا قال: شِبْهِهما مثلهما.

12115ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: فَلَـمّا أَثْقَلَتْ كبر الولد فـي بطنها جاءها إبلـيس, فخوّفها وقال لها: ما يدريك ما فـي بطنك, لعله كلب أو خنزير أو حمار؟ وما يدريك من أين يخرج؟ أمن دبرك قـيقتلك, أو من قُبلك, أو ينشقّ بطنك فـيقتلك؟ فذلك حين دَعَوَا اللّهَ رَبّهُما لَئِنْ آتَـيْتَنا صَالِـحا يقول: مثلنا, لَنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحوّاء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حَوّاء, وأقسما لئن أعطاهما فـي بطن حوّاء صالـحا لـيكونان لله من الشاكرين. والصلاح قد يشمل معانـي كثـيرة: منها الصلاح فـي استواء الـخـلق. ومنها الصلاح فـي الدين, والصلاح فـي العقل والتدبـير. وإذ كان ذلك كذلك, ولا خبر عن الرسول يوجب الـحجة بأن ذلك علـى بعض معانـي الصلاح دون بعض, ولا فـيه من العقل دلـيـل وجب أن يَعُمّ كما عمه الله, فـيقال إنهما قالا لئن آتـيتنا صالـحا بجميع معانـي الصلاح.

وأما معنى قوله: لَنَكُونَنّ مِنَ الشاكِرِينَ فإنه لنكوننّ مـمن يشكرك علـى ما وهبت له من الولد صالـحا.

الآية : 190

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَلَمّآ آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: فلـما رزقهما الله ولدا صالـحا كما سألا جعلا له شركاء فـيـما آتاهما ورزقهما.

ثم اختلف أهل التأويـل فـي الشركاء التـي جعلاها فـيـما أوتـيا من الـمولود, فقال بعضهم: جعلا له شركاء فـي الاسم. ذكر من قال ذلك.

12116ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الصمد, قال حدثنا عمر بن إبراهيـم, عن قتادة, عن الـحسن, عن سمرة بن جندب, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «كانَتْ حَوّاءُ لا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ, فَنَذَرَتْ لَئِنْ عاشَ لَهَا وَلَدٌ لَتُسَمّيَنه عَبْدَ الـحَرْثِ, فعاشَ لَهَا وَلَدٌ, فَسَمّتْهُ عَبْدَ الـحَرْثِ, وإنّـمَا كانَ ذلكَ مِنْ وَحْيِ الشّيْطانِ».

12117ـ حدثنـي مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا معتـمر, عن أبـيه, قال: حدثنا أبو العلاء, عن سَمُرة بن جندب: أنه حدث أن آدم علـيه السلام سمى ابنه عبد الـحرث.

قال: حدثنا الـمعتـمر, عن أبـيه, قال: حدثنا ابن عُلَـية, عن سلـيـمان التـيـمي, عن أبـي العلاء بن الشّخيّر, عن سمرة بن جندب, قال: سمى آدم ابنه: عبد الـحرث.

12118ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن داود بن الـحصين, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: كانت حوّاء تلد لآدم, فتعبّدهم لله, وتسميه عبد الله وعُبـيد الله ونـحو ذلك, فـيصيبهم الـموت, فأتاها إبلـيسُ وآدمَ, فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش فولدت له رجلاً, فسماه عبد الـحرث, ففـيه أنزل الله تبـارك وتعالـى: هُوَ الّذِي خَـلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... إلـى قوله: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِـيـما آتاهُمَا... إلـى آخر الآية.

12119ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله في آدم: هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... إلى قوله: فَمَرّتْ بِهِ فشكّت أحبلت أم لا؟ فَلَمّا أثْقَلَتْ دَعَوَا اللّهَ رَبّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحا... الآية, فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما أم هل تدريان ما يكون أبهيمة تكون أم لا؟ وزين لهما الباطل إنه غويّ مبين. وقد كانت قبل ذلك ولد ولدين فماتا, فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويّا ومات كما مات الأوّلان فسميا ولديهما عبد الحرث فذلك قوله: فَلَمّا آتاهُمَا صَالِحا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا... الآية.

12120ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: لما وُلد له أوّل ولد, أتاه إبليس فقال: إني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث فقال آدم: أعوذ بالله من طاعتك قال ابن عباس: وكان اسمه في السماء الحارث. قال آدم: أعوذ بالله من طاعتك إني أطعتك في أكل الشجرة, فأخرجتني من الجنة, فلن أطيعك. فمات ولده, ثم وُلد له بعد ذلك ولد آخر, فقال: أطعني وإلاّ مات كما مات الأوّل فعصاه, فمات, فقال: لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث. فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث, فذلك قوله: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا: أشركه في طاعته في غير عبادة, ولم يُشرك بالله, ولكن أطاعه.

12121ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن هارون, قال: أخبرنا الزبير بن الخريت, عن عكرمة, قال: ما أشرك آدمُ ولا حوّاء, وكان لا يعيش لهما ولد, فأتاهما الشيطان فقال: إن سرّكما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا.

12122ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَلَمّا تَغَشّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفا قال: كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد إلاّ مات, فجاءه الشيطان, فقال: إن سرّك أن يعيش ولدك هذا, فسميه عبد الحرث ففعل, قال: فأشركا في الاسم ولم يُشركا في العبادة.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَلَمّا آتاهُمَا صَالِحا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا ذُكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد, فأتاهما الشيطان, فقال لهما: سمياه عبد الحرث وكان من وحي الشيطان وأمره, وكان شركا في طاعته, ولم يكن شركا في عبادته.

12123ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَلَمّا آتاهُمَا صَالِحا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ قال: كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد, فقال لهما الشيطان: إذا ولد لكما ولد, فسمياه عبد الحرث ففعلا وأطاعاه, فذلك قول الله: فَلَمّا آتاهُمَا صَالِحا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ... الآية.

12124ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن سالم بن أبي حفصة, عن سعيد بن جبير, قوله: أثْقَلَتْ دَعَوَا اللّهَ رَبّهُما... إلى قوله تعالى: فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ قال: لما حملت حوّاء في أوّل ولد ولدته حين أثقلت, أتاها إبليس قبل أن تلد, فقال: يا حوّاء ما هذا الذي بطنك؟ فقالت: ما أدري. فقال: من أين يخرج؟ من أنفك, أو من عينك, أو من

أذنك؟ قالت: لا أدري. قال: أرأيت إن خرج سليما أتطيعيني أنت فيما آمرك به؟ قالت: نعم. قال: سميه عبد الحرث وقد كان يسمى إبليس الحرث, فقالت: نعم. ثم قالت بعد ذلك لآدم: أتاني آت في النوم فقال لي كذا وكذا, فقال: إن ذلك الشيطان فاحذريه, فإنه عدوّنا الذي أخرجنا من الجنة ثم أتاها إبليس, فأعاد عليها, فقالت: نعم. فلما وضعته أخرجه الله سليما, فسمته عبد الحرث, فهو قوله: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ.

12125ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير وابن فضيل, عن عبد الملك, عن سعيد بن جبير, قال: قيل له: أشرك آدم؟ قال: أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ولكن حوّاء لما أثقلت, أتاها إبليس فقال لها: من أين يخرج هذا, من أنفك أو من عينك أو من فيك؟ فقنطها, ثم قال: أرأيت إن خرج سويّا زاد ابن فضيل لم يضرّك ولم يقتلك أتطيعيني؟ قالت: نعم. قال: فسميه عبد الحرث ففعلت. زاد جرير: فإنما كان شركه في الاسم.

12126ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: فولدت غلاما, يعني حوّاء, فأتاهما إبليس فقال: سموه عبدي وإلاّ قتلته قال له آدم عليه السلام: قد أطعتك وأخرجتني من الجنة, فأبى أن يطيعه, فسماه عبد الرحمن, فسلط الله عليه إبليس فقتله. فحملت بآخر فلما ولدته قال لها: سميه عبدي وإلاّ قتلته قال له آدم: قد أطعتك فأخرجتني من الجنة. فأبى, فسماه صالحا فقتله. فلما أن كان الثالث, قال لهما: فإذا غُلبتم فسموه عبد الحرث وكان اسمَ إبليس وإنما سمي إبليس حين أبلس. ففعلوا, فذلك حين يقول الله: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا يعني في التسمية.

وقال آخرون: بل المعنيّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما فارزقهما من الولد. وقالوا: معنى الكلام: هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها, فلما تغشاها: أي هذا الرجل الكافر, حملت حملاً خفيفا, فلما أثقلت دعوتما الله ربكما. قالوا: وهذا مما ابتدىء به الكلام على وجه الخطاب, ثم ردّ إلى الخبر عن الغائب, كما قيل: هُوَ الّذِي يُسَيّرُكُمْ فِي البَرّ والبَحْرِ حتى إذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيّبَةٍ. وقد بيّنا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل. ذكر من قال ذلك.

12127ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سهل بن يوسف, عن عمرو, عن الحسن: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا قال: كان هذا في بعض أهل الملل, ولم يكن بآدم.

12128ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال الحسن: عني بهذا ذرية آدم, من أشرك منهم بعده. يعني بقوله: فَلَمّا آتاهُمَا صَالِحا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا.

12129ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى, رزقهم الله أولادا فهوّدوا ونصروا.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب قول من قال: عني بقوله: فَلَمّا آتاهُمَا صَالِحا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ في الاسم لا في العبادة, وأن المعنيّ بذلك آدم وحوّاء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

فإن قال قائل: فما أنت قائل إذ كان الأمر على ما وصفت في تأويل هذه الآية, وأن المعنيّ بها آدم وحوّاء في قوله: فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ؟ أهو استنكاف من الله أن يكون له في الأسماء شريك أو في العبادة؟ فإن قلت في الأسماء دلّ على فساده قوله: أيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وإن قلت في العبادة, قيل لك: أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره؟ قيل له: إن القول في تأويل قوله: فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ ليس بالذي ظننت, وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان. فأما الخبر عن آدم وحوّاء فقد انقضى عند قوله: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا ثم استؤنف قوله: فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ. كما:

12130ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ يقول: هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: شُرَكاءَ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين: «جَعَلا لَهُ شِرْكا» بكسر الشين, بمعنى الشركة. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفيين وبعض البصريين: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ بضمّ الشين, بمعنى جمع شريك.

وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب, لأن القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام: فلما آتاهما صالحا جعلا لغيره فيه شركا لأن آدم وحوّاء لم يَدينا بأن ولدهما من عطية إبليس ثم يجعلا لله فيه شركا لتسميتهما إياه بعبد الله, وإنما كانا يدينان لا شكّ بأن ولدهما من رزق الله وعطيته, ثم سمياه عبد الحرث, فجعلا لإبليس فيه شركا بالاسم, فلو كانت قراءة من قرأ: «شِرْكا» صحيحة وجب ما قلنا أن يكون الكلام: جعلا لغيره فيه شركا, وفي نزول وحي الله بقوله: جَعَلا لَهُ ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة: شُرَكاءَ بضم الشين على ما بينت قبل.

فإن قال قائل: فإن آدم وحوّاء إنما سميا ابنهما عبد الحرث, والحرث واحد, وقوله: شُرَكاءَ جماعة, فكيف وصفهما جلّ ثناؤه بأنهما جعلا له شركاء, وإنما أشركا واحدا؟ قيل: قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة إذا لم تقصد واحدا بعينه ولم تسمه, كقوله: الّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ وإنما كان القائل ذلك واحدا, فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة, إذ لم يقصد قصده, وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها.

وأما قوله: فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه, وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والأوثان. كما:

12131ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فَتَعالى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ قال: هو الإنكاف, أنكف نفسه جلّ وعزّ, يقول: عظم نفسه, وأنكفته الملائكة وما سبح له.

12132ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, قال: سمعت صدقة يحدّث عن السديّ, قال: هذا من الموصول والمفصول قوله: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُمَا في شأن آدم وحوّاء, ثم قال

الله تبـارك وتعالـى: فَتَعالـى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ قال: عما يشرك الـمشركون, ولـم يعنهما.

الآية : 191

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: أيشركون فـي عبـادة الله, فـيعبدون معه ما لا يخـلق شيئا والله يخـلقها وينشئها, وإنـما العبـادة الـخالصة للـخالق لا للـمخـلوق؟

وكان ابن زيد يقول فـي ذلك بـما: 12133ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قال: وُلد لآدم وحوّاء ولد, فسمّياه عبد الله, فأتاهما إبلـيس فقال: ما سميتـما يا آدم ويا حوّاء ابنكما؟ قال: وكان وُلد لهما قبل ذلك ولد, فسمياه عبد الله, فمات فقالا: سميناه عبد الله. فقال إبلـيس: أتظنان أن الله تارك عبده عندكما؟ لا والله لـيذهبن به كما ذهب بـالآخر ولكن أدلكما علـى اسم يبقـى لكما ما بقـيتـما؟ فسمياه عبد شمس قال: فذلك قول الله تبـارك وتعالـى: أيُشْرِكُونَ ما لا يَخْـلُقُ شَيْئا وَهُمْ يُخْـلَقُونَ الشمس تـخـلق شيئا حتـى يكون لها عبد؟ إنـما هي مخـلوقة. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَدَعَهُما مَرّتَـيْنِ: خَدَعَهُما فِـي الـجَنّةِ, وَخَدَعَهُما فِـي الأرْضِ».

وقـيـل: وَهُمْ يُخْـلَقُونَ, فأخرج مكنـيهم مخرج مكنّى بنـي آدم, وقد قال: أيُشْرِكُونَ ما فأخرج ذكرهم ب «ما» لا ب «من» مخرج الـخبر عن غير بنـي آدم, لأن الذي كانوا يعبدونه إنـما كان حجرا أو خشبـا أو نـجاسا, أو بعض الأشياء التـي يخبر عنها ب «ما» لا ب «من», فقـيـل لذلك «ما», ثم قـيـل: «وهم», فأخرجت كنايتهم مخرج كناية بنـي آدم, لأن الـخبر عنها بتعظيـم الـمشركين إياها نظير الـخبر عن تعظيـم الناس بعضهم بعضا.

الآية : 192

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنصُرُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: أيشرك هؤلاء الـمشركون فـي عبـادة الله ما لا يخـلق شيئا من خـلق الله, ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءا أو أحلّ بهم عقوبة, ولا هو قادر إن أراد به سوءا نصر نفسه ولا دفع ضرّ عنها, وإنـما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضرّ منه عن نفسه, وآلهتهم التـي يعبدونها ويشركونها فـي عبـادة الله لا تنفعهم ولا تضرّهم, بل لا تـجتلب إلـى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرّا, فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضرّ عنها أبعد. يعجّب تبـارك وتعالـى خـلقه من عظيـم خطإ هؤلاء الذين يشركون فـي عبـادتهم الله غيره.

الآية : 193

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىَ لاَ يَتّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ }..

يقول تعالـى ذكره فـي وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء الـمشركون فـي عبـادتهم ربهم إياه: ومن صفته أنكم أيها الناس إن تدعوهم إلـى الطريق الـمستقـيـم, والأمر الصحيح السديد لا يَتّبِعُوكُمْ لأنها لـيست تعقل شيئا, فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلاً جائرا, وتركب ما كان

مستقـيـما سديدا. وإنـما أراد الله جلّ ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها تنبـيههم علـى عظيـم خطئهم, وقُبح اختـيارهم, يقول جلّ ثناؤه: فكيف يهديكم إلـى الرشاد من إن دعي إلـى الرشاد وعرفه لـم يعرفه, ولـم يفهم رشادا من ضلال, وكان سواءً دعاء داعيه إلـى الرشاد وسكوته, لأنه لا يفهم دعاءه, ولا يسمع صوته, ولا يعقل ما يقال له؟ يقول: فكيف يُعبد من كانت هذه صفته, أم كيف يشكل عظيـم جهل من اتـخذ ما هذه صفته إلها؟ وإنـما الربّ الـمعبود هو النافع من يعبده, الضارّ من يعصيه, الناصر ولـيه, الـخاذل عدوّه, الهادي إلـى الرشاد من أطاعه, السامع دعاء من دعاه. وقـيـل: سَوَاءٌ عَلَـيْكُمْ أَدَعَوْتُـمـوهُمْ أَمْ أَنْتُـمْ صَامِتُونَ فعطف بقوله: «صامتون», وهو اسم علـى قوله: «أدعوتـموهم», وهو فعل ماض, ولـم يقل: أم صَمَتّـم, كما قال الشاعر:

سَوَاءٌ عَلَـيْكَ القَـفْرُ أمْ بِتّ لَـيْـلَةً بأهْلِ القِبـابِ مِنْ نُـمَيْرِ بْنِ عامِرِ

وقد ينشد: «أم أنت بـائت».

الآية : 194

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }..

يقول جلّ ثناؤه لهؤلاء الـمشركين من عبدة الأوثان موبخهم علـى عبـادتهم ما لا يضرّهم ولا ينفعهم من الأصنام: إن الذين تدعون أيها الـمشركون آلهة من دون الله, وتعبدونها شركا منكم وكفرا بـالله, عِبَـادٌ أمْثَالُكُمْ يقول: هم أملاك لربكم, كما أنتـم له مـماليك. فإن كنتـم صادقـين أنها تضرّ وتنفع وأنها تستوجب منكم العبـادة لنفعها إياكم, فلـيستـجيبوا لدعائكم إذا دعوتـموهم, فإن لـم يستـجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم, فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضرّ لأن الضرّ والنفع إنـما يكونان مـمن إذا سئل سمع مسألة سائل وأعطى وأفضل ومن إذا شُكِيَ إلـيه من شيء سمع فضرّ من استـحقّ العقوبة ونفع من لا يستوجب الضرّ.

الآية : 195

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ }..

يقول تعالـى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه معرّفهم جهل ما هم علـيه مقـيـمون: ألأصنامكم هذه أيها القوم أرْجُلٌ يَـمْشُونَ بِها فـيسعون معكم ولكم فـي حوائجكم ويتصرّفون بها فـي منافعكم, أمْ لَهُمْ أيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها فـيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشرّ ومكروه, أمْ لَهُمْ أعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها فـيعرّفوكم ما عاينوا وأبصروا مـما تغيبون عنه فلا ترونه, أمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِها فـيخبروكم بـما سمعوا دونكم مـما لـم تسمعوه؟ يقول جلّ ثناؤه: فإن كانت آلهتكم التـي تعبدونها لـيس فـيها شيء من هذه الآلات التـي ذكرتها, والـمعظّم من الأشياء إنـما يعظّم لـما يرجى منه من الـمنافع التـي توصل إلـيه بعض هذه الـمعانـي عندكم, فما وجه عبـادتكم أصنامكم التـي تعبدونها, وهي خالـية من كلّ هذه الأشياء التـي بها يوصل إلـى اجتلاب النفع ودفع الضرّ؟

وقوله: قُلْ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمّ كِيدُونِ أنتـم وهن, فَلا تُنْظِرُونِ يقول: فلا تؤخرون بـالكيد والـمكر, ولكن عجلوا بذلك. يُعلـمه جلّ ثناؤه بذلك أنهم لـم

يضرّوه, وأنه قد عصمه منهم, ويعرّف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرة من بغى أولـياءهم بسوء.

الآية : 196

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ وَلِيّـيَ اللّهُ الّذِي نَزّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلّى الصّالِحِينَ }..

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا مـحمد للـمشركين من عبدة الأوثان: إنّ ولـي نصيري ومعينـي وظهيري علـيكم الله الذي نزّل الكتاب علـيّ بـالـحقّ, وهو الذي يتولـى من صلـح عمله بطاعته من خـلقه.

الآية : 197

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ }..

وهذا أيضا أمر من الله جلّ ثناؤه لنبـيه أن يقوله للـمشركين بقوله تعالـى: قل لهم, إن الله نصيري وظهيري, والذين تدعون أنتـم أيها الـمشركون من دون الله من الآلهة, لا يستطيعون نصركم, ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون علـى نصرة أنفسهم, فأيّ هذين أولـى بـالعبـادة وأحقّ بـالألوهة, أمن ينصر ولـيه ويـمنع نفسه مـمن أراده, أم من لا يستطيع نصر ولـيه ويعجز عن منع نفسه مـمن أراده وبغاه بـمكروه؟

الآية : 198

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىَ لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ }..

يقول جلّ ثناؤه لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل للـمشركين: وإن تدعوا أيها الـمشركون آلهتكم إلـى الهدى, وهو الاستقامة إلـى السداد, لا يَسْمَعُوا يقول: لا يسمعوا دعاءكم. وتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَـيْكَ وهُمْ لا يُبْصِرُونَ وهذا خطاب من الله لنبـيه صلى الله عليه وسلم, يقول: وترى يا مـحمد آلهتهم ينظرون إلـيك وهم لا يبصرون. ولذلك وحد, ولو كان أمر النبـيّ صلى الله عليه وسلم بخطاب الـمشركين لقال: وترونهم ينظرون إلـيكم.

وقد رُوي عن السديّ فـي ذلك ما:

12134ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إلـى الهُدَى لا يَسْمَعوا وَتَرَاهمْ يَنْظرُونَ إِلَـيكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ قال: هؤلاء الـمشركين.

وقد يحتـمل قول السديّ هذا أن يكون أراد بقوله: هؤلاء الـمشركون قول الله: وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إلـى الهدَى لا يَسْمَعوا.

وقد كان مـجاهد يقول فـي ذلك ما:

12135ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح عن مـجاهد: وَتَرَاهُمْ يَنْظرُونَ إِلَـيْكَ وَهمْ لا يُبْصِرُونَ ما تدعوهم إلـى الهدى.

وكأن مـجاهدا وجه معنى الكلام إلـى أن معناه: وترى الـمشركين ينظرون إلـيك وهم لا يبصرون. فهو وجه, ولكن الكلام فـي سياق الـخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه.

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فما معنى قوله: وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَـيْكَ وَهمْ لا يُبْصِرُونَ؟ وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلـى شيء ولا يراه؟ قـيـل: إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئا أو حاذاه هو ينظر إلـى كذا, ويقال: منزل فلان ينظر إلـى منزلـي إذا قابله. وحُكي عنها: إذا أتـيت موضع كذا وكذا, فنظر إلـيك الـجبل, فخذ يـمينا أو شمالاً. وحدثت عن أبـي عُبـيد, قال: قال الكسائي: الـحائط ينظر إلـيك إذا كان قريبـا منك حيث تراه, ومنه قول الشاعر:

إذَا نَظَرَتْ بِلادَ بَنِـي تَـمِيـمبِعَيْنٍ أوْ بِلادَ بَنِـي صُبـاحِ

يريد: تقابل نبتُها وعشبُها وتـحاذَى.

فمعنى الكلام: وترى يا مـحمد آلهة هؤلاء الـمشركين من عبدة الأوثان يقابلونك ويحاذونك, وهم لا يبصرونك, لأنه لا أبصار لهم. وقـيـل: «وتراهم», ولـم يقل: «وتراها», لأنها صور مصوّرة علـى صور بنـي آدم.

الآية : 199

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }..

اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: تأويـله: خذ العفوَ من أخلاق الناس, وهو الفضل وما لا يجهدهم. ذكر من قال ذلك.

12136ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مـحمد بن عبد الرحمن, عن القاسم, عن مـجاهد, فـي قوله: خذِ العَفْوَ قال: من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تـحسس.

حدثنا يعقوب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن علـية, عن لـيث, عن مـجاهد فـي قوله: خذِ العَفْوَ قال: عفو أخلاق الناس, وعفو أمورهم.

12137ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثنـي ابن أبـي الزناد, عن هشام بن عُرْوة, عن أبـيه فـي قوله: خذِ العَفْوَ... الآية. قال عروة: أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

12138ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن هشام بن عروة, عن أبـيه, عن ابن الزّبـير, قال: ما أنزل الله هذه الآية إلاّ فـي أخلاق الناس: خذِ العَفْوَ وأْمرْ بـالعرْفِ الآية.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مـحمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: بلغنـي عن مـجاهد: خُذِ العَفْوَ من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تـحسس.

قال: حدثنا أبو معاوية, عن هشام بن عروة, عن وهب بن كيسان, عن ابن الزبـير: خُذِ العَفْوَ قال: من أخلاق الناس, والله لآخذنه منهم ما صحبتهم.

قال: حدثنا عبدة بن سلـيـمان, عن هشام بن عروة, عن أبـيه, عن ابن الزبـير, قال: إنـما أنزل الله خُذِ العَفْوَ من أخلاق الناس.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: خُذِ العَفْوَ قال: من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تـجسس أو تـحسس, شكّ أبو عاصم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خُذِ العَفْوَ من أموال الناس, وهو الفضل. قالوا: وأمر بذلك قبل نزول الزكاة, فلـما نزلت الزكاة نسخ. ذكر من قال ذلك.

12139ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله خُذِ العَفْوَ يعنـي: خذ ما عفـا لك

من أموالهم, وما أتوك به من شيء فخذه. فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات إليه.
12140ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: خُذِ العَفْوَ أما العفو: فالفضل من المال, نسختها الزكاة.
12141ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, يقول في قوله: خُذِ العَفْوَ يقول: خذ ما عفا من أموالهم, وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة.
وقال آخرون: بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم قبل أن يُفرض قتالهم عليه. ذكر من قال ذلك.
12142ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: خُذِ العَفْوَ قال: أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة. قال: ثم أمره بالغلظة عليهم وأن يقعد لهم كلّ مرصد وأن يحصرهم, ثم قال: فإنْ تابُوا وأقامُوا الصّلاةَ الآية كلها, وقرأ: يا أيّها النّبِيّ جاهِدِ الكُفّارَ وَالمُنافَقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ. قال: وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم, فقال: يا أيّهَا الّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً بعدما كان أمرهم بالعفو, وقرأ قول الله: قُلْ لِلّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلّذِينَ لا يَرْجُونَ أيّامَ اللّهِ ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلاّ الإسلام أو القتل, فنسخت هذه الآية العفو.
قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس, واترك الغلظة عليهم, وقال: أمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في المشركين.
وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب, لأن الله جلّ ثناؤه اتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين في الكلام, وذلك قوله: قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونَ, وعقبه بقوله: وإخْوَانُهُمْ يَمُدونَهُمْ فِي الغَيّ ثُمّ لا يُقْصِرُونَ وإذَا لَمْ تَأتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين.
فإن قال قائل: أفمنسوخ ذلك؟ قيل: لا دلالة عندنا على أنه منسوخ, إذ كان جائزا أن يكون, وإن كان الله أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام في تعريفه عشرةَ من لم يؤمر بقتاله من المشركين مرادا به تأديب نبيّ الله والمسلمين جميعا في عشرة الناس وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم, فيكون وإن كان من أجلهم نزل تعليما من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضا, لم يجب استعمال الغلظة والشدّة في بعضهم, فإذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمل الواجب, فيكون قوله: خُذِ العَفْوَ أمرا بأخذه ما لم يجب غير العفو, فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة لما قد بينا ذلك في نظائره في غير موضع من كتبنا.
وأما قوله: وأمُرْ بالعُرْفِ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم بما:

12143ـ حدثني الحسن بن الزبرقان النخعي, قال: ثني حسين الجعفي, عن سفيان بن عيينة, عن رجل قد سماه, قال: لما نزلت هذه الآية: خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا جِبْرِيلُ ما هَذَا»؟ قال: ما أدري حتى أسأل العالِم. قال: ثم قال جبريل: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك, وتعطي من حرمك, وتعفو عمن ظلمك.

12144ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا سفيان, عن أبيّ, قال: لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما هَذَا يا جِبْرِيلُ»؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك, وتعطي من حرمك, وتصلَ من قطعك.

وقال آخرون بما:

12145ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن هشام بن عروة, عن أبيه: وأْمُرْ بالعُرْفِ يقول: بالمعروف.

12146ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وأْمُرْ بالعُرْفِ قال: أما العرف: فالمعروف.

12147ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وأْمُرْ بالعُرْفِ أي بالمعروف.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعُرْف, وهو المعروف في كلام العرب, مصدر في معنى المعروف, يقال أوليته عُرْفا وعارفا وعارفةً كل ذلك بمعنى المعروف. فإذا كان معنى العرف ذلك, فمن المعروف صلة رحم من قُطِع, وإعطاء من حُرِم, والعفو عمن ظَلَم. وكلّ ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه فهو من العرف. ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فالحقّ فيه أن يقال: قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض.

وأما قوله: وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ فإنه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل. وذلك وإن كان أمرا من الله لنبيه, فإنه تأديب منه عزّ ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم, لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حقّ الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته, وهو للمسلمين حَرْبٌ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12148ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ قال: أخلاقٌ أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم, ودله عليها.

الآية : 200

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِماّ يَنَزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }..

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَإمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطانِ نَزْغٌ وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدّك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم. فاسْتَعِذْ باللّهِ يقول: فاستجر بالله من نزغه. إنّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يقول: إن الله الذي تستعيذ به من نزع الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه, لا يخفى

علـيه منه شيء, علـيـم بـما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خـلقه. كما:

12149ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بـالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الـجاهِلِـينَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فَكَيْفَ بـالغَضَبِ يا رَبّ»؟ قال: وَإمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطانِ نَزْغٌ فـاسْتَعِذْ بـاللّهِ إنّهُ سَمِيعٌ عَلِـيـمٌ.

12150ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطانِ نَزْغٌ فـاسْتَعِذْ بـاللّهِ إنّهُ سَمِيعٌ عَلِـيـمٌ قال: علـم الله أن هذا العدوّ منـيع ومَريد.

وأصل النزغ: الفساد, يقول: نزغ الشيطان بـين القوم إذا أفسد بـينهم وحمل بعضَهم علـى بعض, ويقال منه: نزغ ينزغ, ونغَز ينغُز.

الآية : 201

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ الّذِينَ اتّقَواْ إِذَا مَسّهُمْ طَائِفٌ مّنَ الشّيْطَانِ تَذَكّرُواْ فَإِذَا هُم مّبْصِرُونَ }..

يقول تعالـى ذكره: إنّ الّذِينَ اتّقَوْا الله من خـلقه, فخافوا عقابه بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه إذَا مَسّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشّيْطانِ تَذَكّرُوا يقول: إذا ألـمّ بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره مـما يصدّ عن واجب حقّ الله علـيهم, تذكّروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده, وأبصروا الـحقّ فعملوا به, وانتهوا إلـى طاعة الله فـيـما فرض علـيهم وتركوا فـيه طاعة الشيطان.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: «طَيْفٌ» فقرأته عامة قرّاء أهل الـمدينة والكوفة: طائِفٌ علـى مثال فـاعل, وقرأه بعض الـمكيـين والبصريـين والكوفـيـين: «طَيْفٌ مِنَ الشّيْطانِ».

واختلف أهل العلـم بكلام العرب فـي فرق ما بـين الطائف والطيف. قال بعض البصريـين: الطائف والطيف سواء, وهو ما كان كالـخيال والشيء يـلـمّ بك. قال: ويجوز أن يكون الطيف مخففـا عن طيّف مثل ميّت ومَيْت. وقال بعض الكوفـيـين: الطائف: ما طاف بك من وسوسة الشيطان, وأما الطيف: فإنـما هو من اللـمـم والـمـمس. وقال آخر منهم: الطيف: اللـمـم, والطائف: كلّ شيء طاف بـالإنسان. وذُكر عن أبـي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: الطيف: الوسوسة.

قال أبو جعفر: وأولـى القراءتـين فـي ذلك عندي بـالصواب قراءة من قرأ: طائِفٌ مِنَ الشّيْطانِ لأن أهل التأويـل تأوّلوا ذلك بـمعنى الغضب والزلة تكون من الـمطيف به. وإذا كان ذلك معناه كان معلوما إذ كان الطيف إنـما هو مصدر من قول القائل: طاف يطيف, أن ذلك خبر من الله عما يـمسّ الذين اتقوا من الشيطان, وإنـما يـمسهم ما طاف بهم من أسبـابه, وذلك كالغضب والوسوسة. وإنـما يطوف الشيطان بـابن آدم لـيستزله عن طاعة ربه أو لـيوسوس له, والوسوسة والاستزلال هو الطائف من الشيطان, وأما الطيف فإنـما هو الـخيال, وهو مصدر من طاف يطيف, ويقول: لـم أسمع فـي ذلك طاف يَطيف, ويتأوّله بأنه بـمعنى الـميت وهو من الواو. وحكى البصريون وبعض الكوفـيـين سماعا من العرب: طاف يطيف, وطفت أطيف, وأنشدوا فـي ذلك:

أنّى ألَـمّ بِكَ الـخَيالُ يَطِيفُومَطافُه لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ

وأما أهل التأويـل, فإنهم اختلفوا فـي تأويـله, فقال بعضهم: ذلك الطائف هو الغضب. ذكر من قال ذلك.
12151ـ حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن يـمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد: إذَا مَسّهُمْ طائِفٌ قال: الطيف: الغضب.
12152ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مـحمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بزّة, عن مـجاهد, فـي قوله: «إذَا مَسهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشّيْطانِ» قال: هو الغضب.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثـير, عن مـجاهد, قال: الغضب.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: إذَا مسّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشّيْطانِ تَذَكّرُوا قال: هو الغضب.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: طائِفٌ مِنَ الشّيْطانِ قال: الغضب.
وقال آخرون: هو اللّـمة والزلة من الشيطان. ذكر من قال ذلك.
12153ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ بن أبـي طلـحة, عن ابن عبـاس, قوله: إنّ الّذِينَ اتّقَوْا إذَا مَسهُمْ طائِفٌ مِنَ الشّيْطانِ تَذَكّرُوا الطائف: اللـمة من الشيطان. فإذَا هُمْ مُبْصِرُونَ.
12154ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: إنّ الّذِينَ اتّقَوْا إذَا مَسّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشّيْطانِ يقول: نزغ من الشيطان. تَذَكّرُوا.
12155ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: إنّ الّذِينَ اتّقَوْا إذَا مَسّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشّيْطانِ تَذَكّرُوا يقول: إذا زلوا تابوا..
قال أبو جعفر: وهذان التأويلان متقاربـا الـمعنى, لأن الغضب من استزلال الشيطان. واللـمة من الـخطيئة أيضا منه, وكان ذلك من طائف الشيطان. وإذ كان ذلك كذلك, فلا وجه لـخصوص معنى منه دون معنى, بل الصواب أن يعُمّ كما عمه جلّ ثناؤه, فـيقال: إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسبـاب الشيطان ما كان ذلك العارض, تذكروا أمر الله وانتهوا إلـى أمره.
وأما قوله: فإذَا هُمْ مُبْصِرُونَ فإنه يعنـي: فإذا هم مبصرون هدى الله وبـيانه وطاعته فـيه, فمنتهون عما دعاهم إلـيه طائف الشيطان. كما:
12156ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس: فإذَا هُمْ مُبْصِرُونَ يقول: إذا هم منتهون عن الـمعصية, آخذون بأمر الله, عاصون للشيطان.

الآية : 202

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدّونَهُمْ فِي الْغَيّ ثُمّ لاَ يُقْصِرُونَ }..
يقول تعالـى ذكره: وإخوان الشياطين تـمدّهم الشياطين فـي الغيّ. يعنـي بقوله: يـمُدّونَهُمْ يزيدونهم. ثُمّ لا يُقْصِرُونَ عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان. وإنـما هذا خبر من الله عن فريقـي الإيـمان

والكفر, بأن فريق الإيـمان وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه, فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم إلـى التوبة والإنابة إلـى الله مـما كان منهم من زلة, وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيّا إلـى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله, ولا يحجزُهم تقوى الله ولا خوف الـمعاد إلـيه عن التـمادي فـيها والزيادة منها, فهو أبدا فـي زيادة من ركوب الإثم, والشيطان يزيده أبدا, لا يُقصر الإنسيّ عن شيء من ركوب الفواحش ولا الشيطان من مدّه منه. كما:

12157ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس: وإخْوَانُهُمْ يَـمُدّونَهُمْ فِـي الغَيّ ثُمّ لا يُقْصِرُونَ قال: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات, ولا الشياطين تـمسك عنهم.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وإخْوَانُهُمْ يَـمُدّونَهُمْ فِـي الغَيّ ثُم لا يُقْصِرُونَ يقول: هم الـجنّ يوحون إلـى أولـيائهم من الإنس, ثم لا يقصرون, يقول: لا يسأمون.

12158ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وإخْوَانُهُمْ يَـمُدّونَهُمْ فِـي الغَيّ إخوان الشياطين من الـمشركين, يـمدّهم الشيطان فـي الغيّ. ثُمّ لا يُقْصِرُونَ.

12159ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج, قال عبد الله بن كثـير: وإخوانهم من الـجنّ, يـمدّون إخوانهم من الإنس, ثم لا يقصرون, ثم يقول لا يقصر الإنسانُ. قال: والـمدّ الزيادة, يعنـي: أهل الشرك, يقول: لا يقصر أهل الشرك, كما يقصر الذين اتقوا لأنهم لا يحجزهم الإيـمان. قال ابن جريج, قال مـجاهد وإخْوَانُهُمْ من الشياطين يَـمُدّونَهُمْ فِـي الغَيّ ثُمّ لا يُقْصِرُونَ استـجهالاً يـمدّون أهل الشرك. قال ابن جريج: وَلَقَدْ ذَرَأنا لِـجَهَنّـمَ كَثِـيرا مِنَ الـجِنّ وَالإنْسِ قال: فهؤلاء الإنس. يقول الله: وَإخْوَانُهُمْ يَـمُدّونَهُمْ فِـي الغَيّ.

12160ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: ثنـي مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وإخْوَانُهُمْ يَـمُدّونَهُمْ فِـي الغَيّ ثُمّ لا يُقْصِرُونَ قال: إخوان الشياطين يـمدّهم الشياطين فـي الغيّ ثم لا يقصرون.

12161ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وإخْوَانُهُمْ من الشياطين. يَـمُدّونَهُمْ فِـي الغَيّ استـجهالاً.

وكان بعضهم يتأوّل قوله: ثُمّ لا يُقْصِرُونَ بـمعنى: ولا الشياطين يُقْصِرون فـي مدّهم إخوانهم من الغيّ. ذكر من قال ذلك.

12162ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وإخْوَانُهُمْ يَـمُدّونَهُمْ فِـي الغَيّ ثُمّ لا يُقْصِرُونَ عنهم, ولا يرحمونهم.

قال أبو جعفر: وقد بـيّنا أولـى التأويـلـين عندنا بـالصواب, وإنـما اخترنا ما اخترنا من القول فـي ذلك علـى ما بـيّناه لأن الله وصف فـي الآية قبلها أهل الإيـمان به وارتداعهم عن معصيته وما يكرهه إلـى مـحبته عند تذكرهم عظمته, ثم أتبع ذلك الـخبر عن إخوان الشياطين وركوبهم معاصيه, وكان

الأولى وصفهم بتماديهم فيها, إذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها.
وأما قوله: يَمُدّونَهُمْ فإن القرّاء اختلفت في قراءته, فقرأه بعض المدنيين: «يُمِدّونَهُمْ» بضم الياء من أمددت. وقرأته عامة قرّاء الكوفيين والبصريين: يَمُدّونَهُمْ بفتح الياء من مددت.
قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: يَمُدّونَهُمْ بفتح الياء, لأن الذي يمدّ الشياطينُ إخوانهم من المشركين إنما هو زيادة من جنس الممدود, وإذا كان الذي مدّ من جنس الممدود كان كلام العرب مددت لا أمددت.
وأما قوله: يُقْصِرُونَ فإن القرّاء على لغة من قال: أَقْصرت أُقصِر, وللعرب فيه لغتان: قَصَرْت عن الشيء, وأقْصَرْت عنه.

الآية : 203

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنّمَآ أَتّبِعُ مَا يِوحَىَ إِلَيّ مِن رّبّي هَـَذَا بَصَآئِرُ مِن رّبّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }..
يقول تعالى ذكره: وإذا لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين بآية من الله قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها يقول: قالوا هلا اخترتها واصطفيتها, من قول الله تعالى: وَلَكِنّ اللّهَ يَجْتَبي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ يعني: يختار ويصطفي. وقد بيّنا ذلك في مواضعه بشواهده.
ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: هلا افتعلتها من قِبَل نفسك واختلقتها بمعنى: هلا اجتبيتها اختلافا كما تقول العرب: لقد اختار فلان هذا الأمر وتخيره اختلافا. ذكر من قال ذلك.
12163ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها أي لولا أتيتنا بها من قبل نفسك هذا قول كفار قريش.
12164ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد, قوله: وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها قالوا: لولا اقتضبتها قالوا: تخرجها من نفسك.
12165ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها قالوا: لولا تقوّلتها, جئت بها من عندك.
12166ـ حدثني المثنى, قال: ثني عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَوْلا اجْتَبَيْتَها يقول: لولا تلقّيتها. وقال مرّة أخرى: لولا أحدثتها فأنشأتها.
12167ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَها يقول: لولا أحدثتها.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله: لَوْلا اجْتَبَيْتَها قال: لولا جئت بها من نفسك.
وقال آخرون: معنى ذلك: هلا أخذتها من ربك وتقبلتها منه ذكر من قال ذلك.

12168ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: لَوْلا اجْتَبَـيْتَها يقول: لولا تقبلتها من الله.
12169ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لَوْلا اجْتَبَـيْتَها يقول: لولا تلقيتها من ربك.
12170ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَوْلا اجْتَبَـيْتَها يقول: لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء.
قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك, تأويل من قال تأويله: هلا أحدثتها من نفسك لدلالة قول الله: قُلْ إنّمَا أتّبِعُ ما يُوحَى إلـيّ مِنْ رَبّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبّكُمْ يبين ذلك أن الله إنما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه, لا أنه يحدث من قِبَل نفسه قولاً وينشئه فيدعو الناس إليه.
وحُكي عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته: إذا افتعلته من قِبَل نفسك.
12171ـ حدثني بذلك الحرث, قال: حدثنا القاسم عنه.
قال: أبو عبيد, وكان أبو زيد يقول: إنما تقول العرب ذلك للكلام يبديه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه. قال أبو عبيد: واخترعه مثل ذلك.
القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ إنّمَا أتّبِعُ ما يُوحَى إلـيّ مِنْ رَبّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبّكُم وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يِؤْمِنُونَ.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للقائلين لك إذا لم تأتهم بآية هلاّ أحدثتها من قِبَل نفسك: إن ذلك ليس لي ولا يجوز لي فعله لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إليّ من عنده, فإنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي لأني عبده وإلى أمره أنتهي وإياه أطيع. هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبّكُمْ يقول: هذا القرآن والوحي الذي أتلوه عليكم بصائر من ربكم, يقول: حجج عليكم, وبيان لكم من ربكم, واحدتها: بصيرة, كما قال جلّ ثناؤه: هَذَا بَصَائِرُ للنّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. وإنما ذكر هذا ووحّد في قوله: هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبّكُمْ لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحي. وقوله: وَهُدًى يقول: وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم, ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين, فأنقذهم به من الضلالة والهلكة. لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يقول: هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن, يقول: لمن صدق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه, وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده وكفربه, بل هو على الذين لا يؤمنون به غمّ وخزي.

الآية : 204

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ }..
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به المصدّقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة: إذَا قُرِىءَ عليكم أيها المؤمنون, القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ يقول: أصغوا له سمعكم لتتفهّموا آياته وتعتبروا بمواعظه وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه, ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه. لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: ليرحمكم ربكم

بـاتعاظكم بـمواعظه, واعتبـاركم بعبره, واستعمالكم ما بـينه لكم ربكم من فرائضه فـي آية.
ثم اختلف أهل التأويـل فـي الـحال التـي أمر الله بـالاستـماع لقارىء القرآن إذا قرأ والإنصات له, فقال بعضهم: ذلك حال كون الـمصلـي فـي الصلاة خـلف إمام يأتـمّ به, وهو يسمع قراءة الإمام علـيه أن يسمع لقراءته. وقالوا: فـي ذلك أنزلت هذه الآية. ذكر من قال ذلك.
12172ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن عاصم, عن الـمسيب بن رافع, قال: كان عبد الله يقول: كنا يسلـم بعضنا علـى بعض فـي الصلاة, سلام علـى فلان, وسلام علـى فلان, قال: فجاء القرآن: وَإِذَا قرِىءَ القرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا.
12173ـ قال: حدثنا حفص بن غياث, عن إبراهيـم الهجَريّ عن أبـي عياض, عن أبـي هريرة, قال: كانوا يتكلـمون فـي الصلاة, فلـما نزلت هذه الآية: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ والآية الأخرى, أمروا بـالإنصات.
12174ـ حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن أشعث, عن الزهري, قال: نزلت هذه الآية فـي فتـى من الأنصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلـما قرأ شيئا قرأه, فنزلت: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا.
12175ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا الـمحاربـي, عن داود بن أبـي هند, عن بشير بن جابر, قال: صلـى ابن مسعود, فسمع ناسا يقرءون مع الإمام, فلـما انصرف, قال: أما آن لكم أن تفقهوا؟ أما آن لكم أن تعقلوا؟ وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا كما أمركم الله.
12176ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن الـمفضل, قال: حدثنا الـجريري, عن طلـحة بن عبـيد الله بن كريز, قال: رأيت عبـيد بن عمير وعطاء بن أبـي ربـاح يتـحدثان والقاصّ يقصّ, فقلت: ألا تستـمعان إلـى الذكر وتستوجبـان الـموعود؟ قال: فنظرا إلـيّ ثم أقبلا علـى حديثهما. قال: فأعدت فنظرا إلـيّ, ثم أقبلا علـى حديثهما, قال: فأعدت الثالثة, قال: فنظرا إلـيّ فقالا: إنـما ذلك فـي الصلاة: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا.
12177ـ حدثنـي العبـاس بن الولـيد, قال: أخبرنـي أبـي, قال: سمعت الأوزاعي, قال: حدثنا عبد الله بن عامر قال: ثنـي زيد بن أسلـم, عن أبـيه, عن أبـي هريرة, عن هذه الآية: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: نزلت فـي رفع الأصوات وهم خـلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي الصلاة.
12178ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي هاشم إسماعيـل بن كثـير, عن مـجاهد فـي قوله: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: فـي الصلاة.
12179ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, عن رجل, عن قتادة, عن سعيد بن الـمسيب: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: فـي الصلاة.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا لـيث, عن مـجاهد: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: فـي الصلاة.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت حميدا الأعرج, قال: سمعت مـجاهدا يقول فـي هذه الآية: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: فـي الصلاة.
قال: ثنـي عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا حميد, عن مـجاهد بـمثله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير وابن إدريس, عن لـيث, عن مـجاهد: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: فـي الصلاة الـمكتوبة.
12180ـ قال: حدثنا الـمـحاربـي, عن لـيث, عن مـجاهد, وعن حجاج, عن القاسم بن أبـي بزة, عن مـجاهد, وعن ابن أبـي لـيلـى, عن الـحكم, عن سعيد بن جبـير: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: فـي الصلاة الـمكتوبة.
قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن أبـي هاشم, عن مـجاهد: فـي الصلاة الـمكتوبة.
قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن لـيث, عن مـجاهد, مثله.
12181ـ قال: حدثنا الـمـحاربـي وأبو خالد, عن جويبر, عن الضحاك قال: فـي الصلاة الـمكتوبة.
12182ـ قال: حدثنا جرير وابن فضيـل, عن مغيرة, عن إبراهيـم, قال: فـي الصلاة الـمكتوبة.
12183ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: كانوا يتكلـمون فـي صلاتهم بحوائجهم أوّل ما فرضت علـيهم, فأنزل الله ما تسمعون: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا.
12184ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: كان الرجل يأتـي وهم فـي الصلاة فـيسألهم: كم صلـيتـم؟ كم بقـي؟ فأنزل الله: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا. وقال غيره: كانوا يرفعون أصواتهم فـي الصلاة حين يسمعون ذكر الـجنة والنار, فأنزل الله: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ.
12185ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد والـمـحاربـي, عن أشعث, عن الزهريّ, قال: كان النبـيّ صلى الله عليه وسلم يقرأ ورجل يقرأ, فنزلت: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا.
قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن الهَجَريّ عن أبـي عياض, عن أبـي هريرة, قال: كانوا يتكلـمون فـي الصلاة, فلـما نزلت: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: هذا فـي الصلاة.
12186ـ قال: حدثنا أبـي, عن حريث, عن عامر, قال: فـي الصلاة الـمكتوبة.
حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: إذا قرىء فـي الصلاة.
12187ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: حدثنا معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ يعنـي: فـي الصلاة الـمفروضة.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن أبي هاشم, عن مجاهد قال: هذا في الصلاة في قوله: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ.

12188ـ قال: أخبرنا الثوريّ, عن ليث, عن مجاهد: أنه كره إذا مرّ الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيئا, قال: السكوت.

12189ـ قال: أخبرنا الثوري, عن ليث, عن مجاهد: قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم.

12190ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ قال: هذا إذا قام الإمام للصلاة فاستمعوا له وأنصتوا.

12191ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن يونس, عن الزهريّ, قال: لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة, تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته, ولكنهم يقرءون فيما لم يجهر به سرّا في نفسهم, ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرّا ولا علانية, قال الله: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ.

12192ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن ابن لهيعة, عن ابن هبيرة, عن ابن عباس أنه كان يقول في هذه: وَاذْكُرْ رَبّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرّعا وَخِيفَةً هذا في المكتوبة. وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك, فإنما هي نافلة. إن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة مكتوبة, وقرأ وراءه أصحابه, فخلطوا عليه, قال: فنزل القرآن: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ فهذا في المكتوبة.

وقال آخرون: بل عُني بهذه الآية الأمر بالإنصات للإمام في الخطبة إذا قرىء القرآن في خطبة. ذكر من قال ذلك.

12193ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: حدثنا إسحاق الأزرق, عن شريك, عن سعيد بن مسروق, عن مجاهد, في قوله: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا قال: الإنصات للإمام يوم الجمعة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد وابن أبي عتبة, عن العوّام, عن مجاهد, قال: في خطبة يوم الجمعة.

وقال آخرون: عُني بذلك: الإنصات في الصلاة وفي الخطبة. ذكر من قال ذلك.

12194ـ حدثني ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, قال: سمعت إبراهيم بن أبي حمزة, يحدث أنه سمع مجاهدا يقول في هذه الآية: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا قال: في الصلاة, والخطبة يوم الجمعة.

12195ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن عنبسة, عن جابر, عن عطاء, قال: وجب الصموت في اثنتين: عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي, وعند الإمام وهو يخطب.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد: وَإِذَا قُرِىءَ القُرآنُ وجب الإنصات, قال: وجب في اثنتين: في الصلاة والإمام يقرأ, والجمعة والإمام يخطب.

12196ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال هشيـم, أخبرنا من سمع الـحسن يقول: فـي الصلاة الـمكتوبة, وعند الذكر.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن جابر, عن مـجاهد, قال: وجب الإنصات فـي اثنتـين: فـي الصلاة, ويوم الـجمعة.
12197ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن الـمبـارك, عن بقـية بن الولـيد, قال: سمعت ثابت بن عجلان يقول: سمعت سعيد بن جبـير يقول فـي قوله: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا قال: الإنصات: يوم الأضحى, ويوم الفطر, ويوم الـجمعة, وفـيـما يجهر به الإمام من الصلاة.
12198ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: أخبرنا هشيـم, عن الربـيع بن صبـيح, عن الـحسن, قال: فـي الصلاة, وعند الذكر.
12199ـ حدثنا ابن البرقـي, قال: حدثنا ابن أبـي مريـم, قال: حدثنا يحيى بن أيوب, قال: ثنـي ابن جريج, عن عطاء بن أبـي ربـاح, قال: أوجب الإنصات يوم الـجمعة, قول الله تعالـى: وَإذَا قُرِىءَ القُرآنُ فـاسْتَـمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ وفـي الصلاة مثل ذلك.
قال أبو جعفر: وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب قول من قال: أمروا بـاستـماع القرآن فـي الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خـلفه مـمن يأتـمّ به يسمعه, وفـي الـخطبة.
وإنـما قلنا ذلك أولـى بـالصواب, لصحة الـخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, أنه قال: «إذَا قَرأ الإمامُ فأنْصِتوا», وإجماع الـجميع علـى أن من سمع خطبة الإمام مـمن علـيه الـجمعة, الاستـماع والإنصات لها, مع تتابع الأخبـار بـالأمر بذلك, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأنه لا وقت يجب علـى أحد استـماع القرآن والإنصات لسامعه من قارئه إلاّ فـي هاتـين الـحالتـين علـى اختلاف فـي إحداهما, وهي حالة أن يكون خـلف إمام مؤتـمّ به. وقد صحّ الـخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بـما ذكرنا من قوله: «إذَا قَرأ الإمامُ فأنْصِتُوا» فـالإنصات خـلفه لقراءته واجب علـى من كان به مؤتـما سامعا قراءته بعموم ظاهر القرآن والـخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآية : 205

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاذْكُر رّبّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوّ وَالاَصَالِ وَلاَ تَكُنْ مّنَ الْغَافِلِينَ }..
يقول تعالـى ذكره: واذكر أيها الـمستـمع الـمنصت للقرآن إذا قرىء فـي صلاة أو خطبة, رَبّكَ فِـي نَفْسِكَ يقول: اتعظ بـما فـي آي القرآن, واعتبر به, وتذكّر معادك إلـيه عند سماعكه. تَضَرّعا يقول: افعل ذلك تـخشعا لله وتواضعا له. وَخِيفَةً يقول: وخوفـا من الله أن يعاقبك علـى تقصير يكون منك فـي الاتعاظ به والاعتبـار, وغفلة عما بـين الله فـيه من حدوده. ودُونَ الـجَهْرِ مِنَ القَوْلِ يقول: ودعاء بـاللسان لله فـي خفـاء لا جهار, يقول: لـيكن ذكر الله عند استـماعك القرآن فـي دعاء إن دعوت غير جهار, ولكن فـي خفـاء من القول. كما:

12200ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاذْكُرْ رَبّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرّعا وَخِيفَةً وَدُونَ الـجَهْرِ مِنَ القَوْلِ لا يجهر بذلك.
12201ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَاذْكُرْ رَبّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرّعا وَخِيفَةً وَدُونَ الـجَهْرِ مِنَ القَوْلِ... الآية, قال: أمروا أن يذكروه في الصدور تضرّعا وخيفة.
12202ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن التيمي, عن أبيه, عن حيان بن عمير, عن عبيد بن عمير, في قوله: وَاذْكُرْ رَبّكَ فِي نَفْسِكَ قال: «يقول الله إذا ذكرني عبدي في نفسه, ذكرته في نفسي, وإذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي, وإذا ذكرني في ملإ ذكرته في أحسن منهم وأكرم».
12203ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: واذْكرْ ربّك في نَفْسِك تَضَرّعا وخِيفَةً قال: يؤمر بالتضرّع في الدعاء والاستكانة, ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء.
وأما قوله: بالغدُوّ والآصالِ فإنه يعني بالبكر والعشيات. وأما الآصال فجمع.
واختلف أهل العربية فيها فقال بعضهم: هي جمع أصيل, كما الأيمان جمع يمين, والأسرار جمع سرير. وقال آخرون منهم: هي جمع أصل, والأصل جمع أصيل. وقال آخرون منهم: هي جمع أصل وأصيل. قال: وإن شئت جعلت الأصل جمعا للأصيل, وإن شئت جعلته واحدا. قال: والعرب تقول: قد دنا الأصل فيجعلونه واحدا.
وهذا القول أولى بالصواب في ذلك, وهو أنه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل, لأنهما قد يجمعان على أفعال. وأما الآصال فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر إلى المغرب.
وأما قوله: ولا تَكُنْ مِن الغافِلِين فإنه يقول: ولا تكن من اللاهين إذا قرىء القرآن عن عظاته وعبره, وما فيه من عجائبه, ولكن تدبر ذلك وتفهّمه, وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له وخوف من قدرة الله عليك, إن أنت غفلت عن ذلك.
12204ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: بالغدُوّ والآصالِ قال: بالبكر والعشيّ. ولا تَكنْ مِن الغافِلِين.
12205ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا معرّف بن واصل السعديّ, قال: سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس: آصَلْنا بَعْدُ؟
12206ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قال مجاهد, قوله: بالغدُوّ والآصالِ قال: الغدوّ: آخر الفجر صلاة الصبح, والآصال: آخر العشيّ صلاة العصر. قال: وكل ذلك لها وقت أوّل الفجر وآخره, وذلك مثل قوله في سورة آل عمران: واذْكُرْ ربّك كَثِيرا وَسبّحْ بالعَشِيّ والإبْكارِ. وقيل: العشيّ: ميل الشمس إلى أن تغيب, والإبكار: أول الفجر.

12207ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن مـحمد بن شريك, عن ابن أبـي ملـيكة, عن ابن عبـاس, سئل عن صلاة الفجر, فقال: إنها لفـي كتاب الله, ولا يقوم علـيها, ثم قرأ: فـي بُـيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَن تُرْفَعَ... الآية.
12208ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سويد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاذْكُرْ رَبّكَ فِـي نَفْسِكَ تَضَرّعا وَخِيفَةً... إلـى قوله: بـالغُدُوّ والآصَالِ أمر الله بذكره, ونهى عن الغفلة. أما بـالغدوّ: فصلاة الصبح, والآصال: بـالعشيّ.

الآية : 206

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ الّذِينَ عِندَ رَبّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ }..
يقول تعالـى ذكره: لا تستكبر أيها الـمستـمع الـمنصت للقرآن عن عبـادة ربك, واذكره إذا قرىء القرآن تضرّعا وخيفة ودون الـجهر من القول, فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع له والتـخشع, وذلك هو العبـادة. ويُسَبّحُونَهُ يقول: ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبـادتهم. وَلهُ يَسْجُدُونَ يقول: ولله يصلون, وهو سجودهم, فصلوا أنتـم أيضا له, وعظموه بـالعبـادة كما يفعله مَن عنده من ملائكته.

سورة الأنفال

سُورَة الأنفَـال مَدنـيّة
وآيَاتها خمس وَسَبْعُونَ

بِسمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيـمِ

الآية : 1

القول فِـي تفسير السورة التـي يذكر فـيها الأنفـال
{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفَالِ قُلِ الأنفَالُ للّهِ وَالرّسُولِ فَاتّقُواْ اللّـهَ وَأَصْـلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مّؤْمِنِينَ }..
اختلف أهـل التأويـل فـي معنـى الأنفـال التـي ذكرهـا اللـه فـي هـذا الـموضع, فقال بعضهم: هي الغنائم, وقالوا: معنى الكلام: يسـألك أصـحابك يا مـحمد عن الغنائم التـي غنـمتها أنت وأصحابك يوم بـدر لـمن هـي, فقـل هي لله ولرسوله. ذكر من قال ذلك.
12209ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا سـويد بـن عمـرو, عن حماد بن زيد, عن عكرمة: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفـالِ قال: الأنفـال: الغنائم.
12210ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفـالِ قـال: الأنفـال: الغنائم.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قال: الأنفـال: الـمغنـم.
12211ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالـد الأحمـر, عـن جويـبر, عـن الضحاك: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفـالِ قال: الغنائم.
حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: الأنْفـال قـال: يعنـي الغنائم.

12212ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: الأنفال: الغنائم.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ الأنفال: الغنائم.
12213ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: الأنفال: الغنائم.
12214ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: الأنفال: الغنائم.
12215ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن ابن جريج, عن عطاء: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: الغنائم.
وقال آخرون: هي أنفال السرايا. ذكر من قال ذلك.
12216ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عليّ بن صالح بن حيّ, قال: بلغني في قوله: يَسأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: السرايا.
وقال آخرون: الأنفال ما شذّ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابّة وما أشبه ذلك. ذكر من قال ذلك.
12217ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن عبد الملك, عن عطاء, في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالِ لِلّهِ وَالرّسُولِ قال: هو ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال دابّة أو عبد أو متاع, ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن عبد الملك, عن عطاء: يَسأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: هي ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع أو نفل, فهو للنبيّ صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء.
12218ـ قال: حدثنا عبد الأعلى, عن معمر, عن الزهري, أن ابن عباس سئل عن الأنفال, فقال: السلَب والفرس.
12219ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, ويقال: الأنفال: ما أخذ مما سقط من المتاع بعدما تقسم الغنائم, فهي نفل لله ولرسوله.
12220ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: أخبرني عثمان بن أبي سليمان, عن محمد بن شهاب أن رجلاً قال لابن عباس: ما الأنفال؟ قال: الفرس والدرع والرمح.
12221ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, قال: قال ابن جريج, قال عطاء: الأنفال: الفرس الشاذّ, والدرع, والثوب.
12222ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, عن ابن عباس, قال: كان ينفّل الرجل فرس الرجل وسلبه.
12223ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني مالك بن أنس, عن ابن شهاب, عن القاسم بن محمد, قال: سمعت رجلاً سأل ابن عباس عن الأنفال, فقال ابن عباس: الفرس من النفل, والسّلب من النفل. ثم عاد لمسألته, فقال ابن عباس ذلك أيضا, ثم قال الرجل:

الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه, فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صَبِيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, عن القاسم بن محمد, قال: قال ابن عباس: كان عمر رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال: لا آمرك ولا أنهاك. ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه عليه السلام إلاّ زاجرا آمرا محللاً محرّما. قال القاسم: فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال, فقال ابن عباس: كان الرجل ينقّل فرس الرجل وسلاحه. فأعاد عليه الرجل, فقال له مثل ذلك, ثم أعاد عليه حتى أغضبه, فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه, أو على رجليه, فقال الرجل: أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن عبد الملك, عن عطاء: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: يسألونك فيما شذّ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابّة أو عبد, فهو نفل للنبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: النفل: الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس. ذكر من قال ذلك.

12224ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: هو الخمس. قال المهاجرون: لم يرفع عنا هذا الخمس؟ لم يخرج منا؟ فقال الله: هو لله والرسول.

12225ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عباد بن العوّام, عن الحجاج, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أنهم سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة الأخماس, فنزلت: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال قول من قال: هي زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم إما من سلبه على حقوقهم من القسمة, وإما مما وصل إليه بالنفل, أو ببعض أسبابه, ترغيبا له وتحريضا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين, أو صلاح أحد الفريقين. وقد يدخل في ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك, ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس لأن ذلك أمره إلى الإمام إذا لم يكن ما وصلوا إليه لغلبة وقهر, يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام, وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب, لأن النّفَل في كلام العرب إنما هو الزيادة على الشيء, يقال منه: نفلتك كذا, وأنفلتك: إذا زدتك, والأنفال: جمع نَفَل ومنه قول لبيد بن ربيعة:

إنّ تَقْوَى رَبّنا خَيْرُ نَفَلْوَبِاذْنِ اللّهِ رَيْثي وَعَجَلْ

فإذ كان معناه ما ذكرنا, فَكلّ من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة, إن كان ذلك لبلاء أبلاه أو لغناء كان منه عن المسلمين, بتنفيل الوالي ذلك إياه, فيصير حكم ذلك له كالسلب الذي يسلبه القاتل, فهو

منفل ما زيد من ذلك لأن الزيادة وإن كانت مستوجبة في بعض الأحوال بحقّ, فليست من الغنيمة التي تقع فيها القسمة, وكذلك كلّ ما رضخ لمن لا سهم له في الغنيمة فهو نفل, لأنه وإن كان مغلوبا عليه فليس مما وقعت عليه القسمة. فالفصل إذ كان الأمر على ما وصفنا بين الغنيمة والنفل, أن الغنيمة هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه منفل أو لم ينفل والنفَل: هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة. وإذ كان ذلك معنى النفل, فتأويل الكلام: يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر لمن هو قل لهم يا محمد: هو لله ولرسوله دونكم, يجعله حيث شاء.

واختلف في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية, فقال بعضهم: نزلت في غنائم بدر لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان نفّل أقواما على بلاء, فأبلى أقوام وتخلّف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب, فأنزل الله هذه الآية على رسوله, يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فماض جائز. ذكر من قال ذلك.

12226ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, قال: سمعت داود بن أبي هند يحدث, عن عكرمة, عن ابن عباس, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أتَى مَكانَ كَذَا وكَذَا, فَلَهُ كَذَا وكَذَا, أوْ فَعَلَ كَذَا وكَذَا, فَلَهُ كَذَا وكَذَا». فتسارع إليه الشبان, وبقي الشيوخ عند الرايات. فلما فتح الله عليهم, جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله عليه الآية: فاتّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لما كان يوم بدر, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ صَنَعَ كَذَا وكَذَا, فَلَهُ كَذَا وكَذَا» قال: فتسارع في ذلك شبان الرجال, وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنائم, جاءوا يطلبون الذي جعل لهم, فقالت الشيوخ: لا تستأثروا علينا, فإنا كنا ردءا لكم, وكنا تحت الرايات, ولو انكشفتم لفئتم إلينا فتنازعوا, فأنزل الله: يَسْألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرّسُولِ فاتّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتِ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لما كان يوم بدر, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَعَلَ كَذَا فَلَهُ كَذَا وكَذَا مِنَ النّفَلِ» قال: فتقدّم الفتيان ولزم المشيخة الرايات, فلم يبرحوا, فلما فتح عليهم, قالت المشيخة: كنا ردءا لكم, فلو انهزمتم انحزتم إلينا, لا تذهبوا بالمغنم دوننا فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فأنزل الله: يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالِ لِلّهِ وَالرّسُولِ قال: فكان ذلك خيرا لهم, وكذلك أيضا: أطيعوني فإني أعلم.

12227ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عكرمة في هذه الآية: يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ

وَالرّسُولِ قال: لـما كان يوم بدر قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مَـنْ صَـنَعَ كَـذَا فَلَـهُ مِـنَ النّفَـلِ كَـذَا» فخـرج شبــان مـن الرجـال فجعلـوا يصنعونه, فلـما كان عند القسمة, قال الشيوخ: نـحن أصحاب الرايات, وقـد كنا ردءا لكم فأنزل الله فـي ذلك: قُـلِ الأنْفــالُ لِلّـهِ وَالرّسُـولِ فــاتّقُوا اللّـهَ وأصْلِـحُوا ذَاتِ بَـيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُـمْ مُؤْمِنِـينَ.

12228ـ حدثنــي الــمثنى, قـال: حـدثنا إسـحاق, قـال: حـدثنا يعقـوب الزبـيري, قال: ثنـي الـمغيرة بن عبد الرحمن, عن أبـيه, عن سلـيــمان بـن موسـى, عـن مكحـول مولــى هذيــل, عـن أبــي سـلام, عـن أبــي أُمامـة البـاهلـي, عن عبـادة بن الصامت, قال: أنزل الله حيـن اختلـف القـوم فــي الغنائم يوم بـدر: يَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الأنْفــالِ... إلــى قـوله: إنْ كُنْتُــمْ مُؤْمِنِــينَ فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بـينهم عن سواء.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن مـحمد, قال: ثنـي عبد الرحمن بن الـحرث وغيره مـن أصـحابنا, عـن سلـيــمان بـن موسـى الأسـدي, عـن مكحول, عن أبـي أمامة البـاهلــي, قـال: سـألت عبــادة بـن الصـامت عـن الأنفـال, فقال: فـينا معشـر أصـحاب بـدر نزلـت حيـن اختلفنـا فــي النفـل, وساءت فـيه أخلاقنا, فنزعه الله من أيدينا, فجعلـه إلــى رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم, وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بـين الـمسلـمين عن سواء, يقول: علـى السواء, فكان فـي ذلك تقـوى اللـه وطاعـة رسـوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البـين.

وقال آخرون: إنـما نزلت هذه الآية لأن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من الـمغنـم شيئا قبل قسـمتها, فلــم يعطـه إيـاه, إذ كـان شركا بـين الـجيش, فجعل اللـه جميـع ذلـك لرسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم. ذكر من قال ذلك.

12229ـ حدثنـي إسماعيـل بن موسى السديّ, قال: حدثنا أبـو الأحـوص, عن عاصم, عن مصعب بن سعد, عن سعد, قـال: أتــيت النبــيّ صـلى اللـه عليه وسلم يوم بدر بسيف, فقلت: يا رسول الله هذا السيف قد شفـى اللـه به من الـمشركين فسألته إياه, فقال: «لَـيْسَ هذا لـي ولا لَكَ». قال: فلــما ولـيت, قلت: أخاف أن يعطيه من لـم يبل بلائي. فإذا رسول الله صلى اللــه عليه وسلم خـلفـي, قال: فقلت: أخاف أن يكون نزل فـيّ شيء قــال: «إنّ السّيْفَ قد صَارَ لـي». قال: فأعطانـيه, ونزلت: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفـالِ.

12230ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكـر, قـال: حـدثنا عاصـم, عـن مصعب بن سعد, عن سعد بن مالك, قال: لـما كان يوم بـدر, جئـت بسـيف, قال: فقلت: يا رسول الله, إن الله قد شفـي صدري من الـمشركين أو نـحو هذا, فهب لـي هذا السيف فقال لـي: «هَـذَا لَــيْسَ لــي وَلا لَـكَ». فرجعـت فقلت: عسى أن يعطى هذا من لـم يبـل بلائـي فجاءنــي الرسـول, فقلـت: حدث فـيّ حدث: فلـما انتهيت, قال: «يا سَعْدُ إنّكَ سألْتَنِـي السّـيْفَ وَلَــيْسَ لـي, وَإنّهُ قَدْ صَارَ لـي فَهُوَ لَكَ». ونزلت: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفـالِ قُـلِ الأنْفــالُ لِلّهِ وَالرّسُولِ.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن إسرائيـل, عن سماك بن حرب, عن مصعب بن سعد, عن أبـيه, قال: أصبت سيفـا يوم بدر, فأعجبنـي, فقلت: يا رسول الله هبه لــي فـأنزل اللـه: يَسْـئَلُونَكَ عَـنِ الأنْفــالِ قُـلِ الأنْفــالُ لِلّـهِ وَالرّسُولِ.

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع, قال ابن المثنى, ثني معاوية, وقال ابن وكيع: حدثنا أبو معاوية, قال: حدثنا الشيباني, عن محمد بن عبيد الله, عن سعيد بن أبي وقاص, قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص, وأخذت سيفه, وكان يسمى ذا الكُتيفة, فجئت به إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «اذْهَبْ فاطْرَحْهُ في القبَض» فطرحته ورجعت وبي ما لا يعلمه إلاّ الله من قتل أخي وأخذ سلبي, قال: فما جاوزت إلاّ قريبا حتى نزلت عليه سورة الأنفال, فقال: «اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ». ولفظ الحديث لابن المثنى.

12231ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, وحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة جميعا, عن محمد بن إسحاق, قال: ثني عبد الله بن أبي بكر, عن قيس بن ساعدة, قال: سمعت أبا أسيد بن مالك بن ربيعة يقول: أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر, وكان السيف يدعى المرَزُبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوا ما في أيديهم من النفل, أقبلت به فألقيته في النفل, وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا يُسأله, فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي, فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأعطاه إياه.

12232ـ حدثني يحيى بن جعفر, قال: حدثنا أحمد بن أبي بكر, عن يحيى بن عمران, عن جده عثمان بن الأرقم, عن عمه, عن جده, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «رُدّوا ما كانَ مِنَ الأنْفالِ» فوضع أبو أسيد الساعدي سيف بن عائذ المرزبان, فعرفه الأرقم فقال: هبه لي يا رسول الله قال: فأعطاه إياه.

12233ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شبعة, عن سماك بن حرب, عن مصعب بن سعد, عن أبيه, قال: أصبت سيفا. قال: فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله نفلنيه فقال: «ضَعْهُ» ثم قام فقال: يا رسول الله نفلنيه قال: «ضَعْهُ» قال: ثم قام فقال: يا رسول الله نفلنيه اجُعل كمن لا غناء له؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أخَذْتَهُ» فنزلت هذه الآية يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالِ لِلّهِ وَالرّسُولِ.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن سماك, عن مصعب بن سعد, عن سعد, قال: أخذت سيفا من المغنم, فقلت: يا رسول الله هب لي هذا فنزلت: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ.

12234ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن إبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد, في قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: قال سعد: كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية, فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت: أعطني هذا السيف يا رسول الله فسكت, فنزلت: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ... إلى قوله: إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قال: فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل نزلت لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر فأعلمهم الله أن ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شيء. وقالوا: معنى «عن» في هذا الموضع «من» وإنما معنى الكلام: يسألونك من الأنفال, وقالوا: قد كان ابن مسعود يقرؤه: «يَسْألُونَكَ الأنْفالَ» على هذا التأويل. ذكر من قال ذلك.

12235ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, قال: كان أصحاب عبد الله يقرءونها: «يَسألُونَكَ الأنْفالَ».

12236ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: هي في قراءة ابن مسعود «يَسألُونَكَ الأنْفالَ». ذكر من قال ذلك.

12237ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَسْألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالُ لِلّهِ وَالرّسُولِ قال: الأنفال: المغانم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لأحد منها شيء, ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به, فمن حبس منه إبرة أو سلكا فهو غلول. فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها, قال الله: يَسألونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفَالُ لي جعلتها لرسولي ليس لكم فيها شيء فاتّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتِ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ, ثم أنزل الله: واعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرسُولِ ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن سمي في الآية.

12238ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: يَسْألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا. قال: واختلفوا فكانوا أثلاثا. قال: فنزلت: يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قُلِ الأنْفالِ لِلّهِ وَالرسُولِ وملكه الله رسوله, فقسمه كما أراه الله.

12239ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عباد بن العوّام, عن الحجاج, عن عمرو بن شعيب, عن أبيه, عن جدّه: أن الناس سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر, فنزلت: يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ.

12240ـ قال: حدثنا عباد بن العوام, عن جويبر, عن الضحاك: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: يسألونك أن تُنَفّلهُمْ.

12241ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا حماد بن زيد, قال: حدثنا أيوب, عن عكرمة, في قوله: يَسألُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: يسألونك الأنفال.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يعطيهموها, فأخبرهم الله أنها لله وأنه جعلها لرسوله. وإذا كان ذلك معناه جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها, وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه, وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش.

واختلفوا فيها, أمنسوخة هي أم غير منسوخة؟ فقال بعضهم: هي منسوخة, وقالوا: نسخها قوله: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُولِ... الآية. ذكر من قال ذلك.

12242ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن جابر, عن مجاهد وعكرمة, قالا: كانت الأنفال لله وللرسول فنسختها: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمَسَهُ وللرّسُولِ.

12243ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ قال: أصاب سعد بن أبي

وقاص يوم بدر سيفا, فاختصم فيه وناس معه, فسألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأخذه النبيّ صلى الله عليه وسلم منهم, فقال الله: يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ قُلِ الأَنْفالُ لِلّهِ والرّسُولِ... الآية, فكانت الغنائم يومئذٍ للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة, فنسخها الله بالخمس.

12244ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني سليم مولى أم محمد, عن مجاهد, في قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ قال: نسختها: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن جابر, عن مجاهد وعكرمة, أو عكرمة وعامر, قالا: نسخت الأنفال: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ.

وقال آخرون: هي محكمة وليست منسوخة. وإنما معنى ذلك: قل الأنفال لله, وهي لا شكّ لله مع الدنيا بما فيها والآخرة, وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيه. ذكر من قال ذلك.

12245ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ فقرأ حتى بلغ: إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاء ويضعانها حيث أرادا, فقالوا: نعم. ثم جاء بعد الأربعين: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُولِ... الآية, ولكم أربعة أخماس, وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم خَيبر: «وَهَذا الخُمُسُ مَرْدُودٌ على فُقَرائِكُمْ يَصْنَعُ اللّهُ وَرَسُولَهُ فِي ذلكَ الخُمْسَ ما أحَبّا, وَيَضَعانِهِ حَيْثُ أحَبّا, ثم أخبرنا الله الذي يجب من ذلك» ثم قرأ الآية: لِذِي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ كَيْلا يَكونَ دُولَةً بينَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبيه صلى الله عليه وسلم ينفل من شاء, فنفل القاتل السلب, وجعل للجيش في البداءة الربع وفي الرجعة الثلث بعد الخمس, ونفل قوما بعد سهمانهم بعيرا بعيرا في بعض المغازي. فجعل الله تعالى ذكره حكم الأنفال إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ينفل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين, وعلى من بعده من الأئمة أن يستنوا بسنته في ذلك, وليس في الآية دليل على أن حكمها منسوخ لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذي وصفت, وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ إلاّ بحجة يجب التسليم لها, فقد دللنا في غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ إلاّ ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه ينفيه من كلّ معانيه, أو يأتي خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر. وقد ذُكر عن سعيد بن المسيب أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلاً منه لقول الله تعالى: قُلِ الأَنْفالُ لِلّهِ وَالرّسُولِ.

12246ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة بن سليمان, عن محمد بن عمرو, قال: أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شيء, فقال: إنكم أرسلتم إليّ تسألوني عن الأنفال, فلا نفل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد بـيّنا أن للأئمة أن يتأسوا برسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي مغازيهم بفعله, فـينفلوا علـى نـحو ما كـان ينفـل, إذا كـان التنفيـل صـلاحا للـمسلـمين.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: فـاتّقُوا اللّهَ وأصْلِـحُوا ذَاتَ بَـيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُـمْ مُؤْمِنِـينَ.

يقول تعالــى ذكـره: فخـافوا اللـه أيهـا القـوم, واتقـوه بط اعته واجتنـاب معاصيه, وأصلـحوا الـحال بـينكم.

واختلف أهل التأويـل فـي الذي عنـي بقوله: وأصْلِـحُوا ذَاتَ بَـيْنِكُمْ فقـال بعضهم: هو أمر من الله الذين غنـموا الغنـيـمة يوم بدر وشـهدوا الوقعـة مـع رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم إذا اختلفـوا فــي الغنيــمة أن يـردّوا مـا أصابوا منها بعضهم علـى بعض. ذكر من قال ذلك.

12247ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة: فـاتّقُوا اللّهَ وأصْلِـحُوا ذَاتَ بَـيْنِكُمْ قال: كان نبـيّ الله ينفّل الرجل من الـمؤمنـين سلب الرجل من الكفــار إذا قتلـه, ثـم أنـزل اللـه: فــاتّقوا اللّـهَ وأصْلِـحُوا ذَاتَ بَـيْنِكُمْ أمرهم أن يردّ بعضُهم علـى بعض.

12248ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن ابـ ن جريج, قال: بلغنـي أن النبـيّ صلى الله عليه وسلم كان ينفـل الرجـل علــى قدر جِدّه وغَنائه علـى مـا رأى, حتــى إذا كـان يـوم بـدر وملأ النـاس أيـديهم غنائم, قال أهل الضعف من الناس: ذهب أهل القوّة بــالغنائم فـذكروا ذلـك للنبـيّ صلى الله عليه وسلم, فنزلت: قُلِ الأنْفـالُ لِلّهِ وَالرّسُولِ فـاتّقُوا اللّـهَ وأصْلِـحُوا ذَاتِ بَـيْنِكُمْ لـيردّ أهل القوّة علَـى أهل الضعف.

وقال آخرون: هذا تـحريج من الله علـى القوم, ونهـي لهـم عـن الاختلاف فـيـما اختلفوا فـيه من أمر الغنـيـمة وغيره. ذكر من قال ذلك.

12249ـ حدثنـي مـحمد بن عمارة, قال: حدثنا خالد بن يزيد, وحدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قالا: حدثنا أبو إسرائيـل, عن فضيـل, عـن مــجاهد, فــي قـول اللـه: فــاتّقُوا اللّـهَ وأصْلِـحُوا ذَاتِ بَـيْنِكُمْ قـال: حـرّج علـيهم.

12250ـ حدثنـي الــحرث, قـال: حـدثنا القاسـم, قـال: حـدثنا عبــاد بـن العوّام, عن سفـيان بن حسين, عن مـجاهد, عن ابـن عبــاس: فــاتّقُوا اللّـهَ وأصْلِـحُوا ذَاتَ بَـيْنِكُمْ قال هذا تــحريج مـن اللـه علــى الـمؤمنــين أن يتقـوا ويصلـحوا ذات بـينهم. قال عبـاد, قال سفـيان: هذا حين اختلفوا فـي الغنائم يوم بدر.

12251ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: فـاتّقُوا اللّهَ وأصْلِـحُوا ذَاتَ بَـيْنِكُمْ: أي لا تستبوا.

واختلف أهل العربـية فـي وجه تأنـيث البـين, فقال بعض نـحويـي البصرة: أضاف ذات إلـى البــين وجعلـه ذاتـا, لأن بعـض الأشـياء يوضـع علــيه اسـم مؤنث, وبعضا يذكر نـحو الدار, والــحائط أنـث الـدار وذكـر الــحائط. وقـال بعضهم: إنـما أراد بقوله: ذَاتَ بَـيْنِكُمْ: الــحال التــي للبــين فقـال: وكـذلك «ذات العشاء» يريد الساعة التـي فـيها العشـاء. قـال: ولــم يضـعوا مـذكرا لـمؤنث ولا مؤنثا لـمذكر إلاّ لـمعنى.

قال أبو جعفر: هذا القول أولـى القولـين بـالصواب للعلة التـي ذكرتها له.

وأما قوله: وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ فإن معناه: وانتهوا أيها القوم الطالبون الأنفال إلى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم, فقد بين لكم وجوهه وسبُله. إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ يقول: إن كنتم مصدّقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم. كما:

12252ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: فاتّقُوا اللّهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّهَ ورَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاءا, ويضعانها حيث أرادا.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّمَا الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه والانقياد لحكمه, ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لأمره وخضع لذكره خوفا منه وفَرَقا من عقابه, وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها وأيقن أنها من عند الله, فازداد بتصديقه بذلك إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إياهم إيمانا. وَعلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ يقول: وبالله يوقنون في أنّ قضاءه فيهم ماض فلا يرجون غيره ولا يرهبون سواه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12253ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّمَا المُؤْمِنُونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه, ولا يؤمنون بشيء من آيات الله, ولا يتوكلون على الله, ولا يصلّون إذا غابوا, ولا يؤدّون زكاة أموالهم. فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين, ثم وصف المؤمنين فقال: إنّمَا المُؤْمِنُونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فأدّوا فرائضه, وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتهُ زَادَتْهُمْ إيمَانا يقول: تصديقا, وَعلى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ يقول: لا يرجون غيره.

12254ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد: الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: فرقت.

12255ـ قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن السديّ: الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: إذا ذكر الله عند الشيء وجل قلبه.

حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: إنّمَا المُؤْمِنونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ يقول: إذا ذكر الله وجل قلبه.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: فَرِقَت.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فرقت.

12256ـ قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن سفيان, قال: سمعت السديّ يقول في قوله: إنّمَا المُؤْمِنُونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهمّ بمعصية أحسبه قال: فينزع عنه.

12257ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان الثوريّ, عن عبد الله بن عثمان بن خثيم, عن شهر بن حوشب, عن أبي الدرداء, في قوله: إنّمَا الـمُؤْمِنُونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: الوجل في القلب كإحراق السعفة, أما تجد له قُشَعْرِيرَةً؟ قال: بلى. قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله, فإن الدعاء يذهب بذلك.

12258ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّمَا الـمُؤْمِنُونَ الّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: فرقا من الله, ووجلاً من الله, وخوفا من الله تبارك وتعالى.

وأما قوله: زَادَتْهُمْ إيمَانا فقد ذكرت قول ابن عباس فيه. وقال غيره فيه, ما:

12259ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع: وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُه زَادَتْهُمْ إيمَانا قال: خشية.

12260ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتِهُ زَادَتْهُمْ إيمَانا وَعلى رَبهِمْ يَتَوّكَلُونَ قال: هذا نعت أهل الإيمان, فأثبت نعتهم, ووصفَهم فأثبت صفتهم.

الآية : 3-4

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَمِمّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }..

يقول تعالى ذكره: الذين يؤدّون الصلاة المفروضة بحدودها, وينفقون مما رزقهم الله من الأموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه من زكاة وجهاد وحجّ وعمرة ونفقة على من تجب عليهم نفقته, فيؤدّون حقوقهم. أولَئِكَ يقول: هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال. هُمُ الـمُؤْمِنُونَ لا الذين يقولون بألسنتهم قد آمنا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقا, لا يقيمون صلاة ولا يؤدّون زكاة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12261ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ, عن ابن عباس: الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاةَ يقول: الصلوات الخمس. ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ يقول: زكاة أموالهم. أولَئِكَ هُمُ الـمُؤْمِنُونَ حَقّا يقول: برئوا من الكفر. ثم وصف الله النفاق وأهله, فقال: إنّ الّذِينَ يَكْفُرُونَ باللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أنْ يُفَرّقُوا بينَ اللّهَ وَرُسُلِهِ... إلى قوله: أُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ حَقّا فجعل الله المؤمن مؤمنا حقّا, وجعل الكافر كافرا حقّا, وهو قوله: هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ.

12262ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أُولَئِكَ هُمُ الـمُؤْمِنُونَ حَقّا قال: استحقوا الإيمان بحقّ, فأحقه الله لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: لَهُمْ دَرَجاتٌ لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم درجات, وهي مراتب رفيعة.

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التي ذكر الله أنها لهم عنده ما هي, فقال بعضهم: هي أعمال رفيعة وفضائل قدّموها في أيام حياتهم. ذكر من قال ذلك.

12263ـ حدثني أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي يحيى القتات, عن مجاهد: لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: أعمال رفيعة.

وقال آخرون: بل ذلك مراتب في الجنة. ذكر من قال ذلك.

12264ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن هشام بن جبلة, عن عطية, عن ابن محيريز: لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبّهِمْ قال: الدرجات سبعون درجة, كل درجة حضر الفرس الجواد المضمّر سبعين سنة.

وقوله وَمَغْفرَةٌ يقول: وعفو عن ذنوبهم وتغطية عليها. وَرِزْقٌ كَرِيمٌ قيل: الجنة. وهو عندي ما أعدّ الله في الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنيء العيش.

12265ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, عن هشام, عن عمرو, عن سعيد, عن قتادة: وَمَغْفِرَةٌ قال: لذنوبهم. وَرِزْقٌ كَرِيمٌ قال: الجنة.

الآية : 5-6

القول في تأويل قوله تعالى: {كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقّ وَإِنّ فَرِيقاً مّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقّ بَعْدَمَا تَبَيّنَ كَأَنّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ }..

اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف التي في قوله: كما أخْرَجَكَ وما الذي شبه بإخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحقّ. فقال بعضهم: شبه به في الصلاح للمؤمنين, اتقاؤهم ربهم, وإصلاحهم ذات بينهم, وطاعتهم الله ورسوله. وقالوا: معنى ذلك: يقول الله: وأصلحوا ذات بينكم, فإن ذلك خير لكم, كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحقّ كان خيرا له. ذكر من قال ذلك.

12266ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عكرمة: فاتّقُوا اللّهَ وأصْلِحوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللّـهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ كمَا أخْرَجَكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ... الآية: أي إن هذا خير لكم, كما كان إخراجك من بيتك بالحقّ خيرا لك.

وقال آخرون: معنى ذلك: كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال, فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم. ذكر من قال ذلك.

12267ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كمَا أخْرَجَكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ قال: كذلك يجادلونك فِي الحقّ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كمَا أخْرَجَك رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ كذلك يجادلونك في الحقّ, القتال.

12268ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: كمَا أخْرَجَكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ قال: كذلك أخرجك ربك.

12269ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: أنزل الله في خروجه يعني خروج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى بدر ومجادلتهم إياه, فقال: كمَا أخْرَجَكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ وَإنّ فَرِيقا مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ لطلب المشركين, يُجادِلُونَكَ في الحَقّ بَعْدَما تَبَيّنَ.

اختلف أهل العربية في ذلك, فقال بعض نحويي الكوفيين: ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضي لأمره في الغنائم, على كُره من أصحابه, كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون. وقال آخرون منهم: معنى ذلك: يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر, فقالوا: أخرجتنا للعير, ولم تعلمنا قتالاً فنستعدّ له. وقال بعض نحويي البصرة: يجوز أن يكون هذا الكاف في: كمَا أخْرَجَكَ على قوله: أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّا كمَا أخْرَجَكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ وقيل: الكاف بمعنى «على».

وقال آخرون منهم: هي بمعنى القسم. قال: ومعنى الكلام: والذي أخرجك ربك.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد, وقال معناه: كما أخرجك ربك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين, كذلك يجادلونك في الحقّ بعدما تبين. لأن كلا الأمرين قد كان, أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارها, وجِدَالهم في لقاء العدوّ عند دنوّ القوم بعضهم من بعض, فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بعد عنه. وقال مجاهد في الحقّ الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم بعدما تبينوه: هو القتال.

12270ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يُجادِلُونَكَ في الحَقّ قال: القتال.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وأما قوله: مِنْ بَيْتِكَ فإن بعضهم قال: معناه من المدينة. ذكر من قال ذلك.

12271ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي بزة: كمَا أخْرَجكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ المدينة إلى بدر.

12272ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر, في قوله: كمَا أخْرَجَكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقّ قال: من المدينة إلى بدر.

وأما قوله: وإنّ فَرِيقا مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ فإن كرَاهتهم كانت كما:

12273ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن مسلم الزهري, وعاصم بن عمر بن قتادة, وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان, عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا, عن عبد الله بن عباس, قالوا: لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشأم, ندب إليهم المسلمين, وقال: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فيها

أمْوَالُهُمْ, فـاخْرُجُوا إلـيها لعَلّ اللـه أنْ يُنَفّلَكُمُوهَـا» فــانتدب النـاس, فخـفّ بعضهم وثقل بعضهم, وذلك أنهم لـم يظنوا أن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم يـلقـى حربـا.

12274ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبــاط, عـن السـديّ: وَإنّ فَرِيقـا مِـنَ الـمُؤْمِنِـينَ لَكـارِهُونَ لطلـب الـمشركين.

ثم اختلف أهل التأويـل فـي الذين عنُوا بقوله: يُجادِلُونَكَ فِـي الـحَقّ بَعْدَما تَبَـيّنَ فقال بعضهم: عُنـي بذلك: أهل الإيـمان من أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه حين توجه إلـى بدر للقاء الــمشركين. ذكـر من قال ذلك.

12275ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قال: لـما شاور النبـيّ صلى الله عليـه وسلم فـي لقاء القوم, وقال له سعد بن عبـادة ما قال: وذلك يوم بدر, أمــر الناس, فتعبوا للقتال, وأمرهم بـالشوكة, وكره ذلـك أهـل الإيــمان, فـأنزل الله: كمَا أخْرَجَكَ رَبّكَ مِنْ بَـيْتِكَ بـالـحَقّ وَإنّ فَرِيقا مِنَ الـمُؤْمِنِـينَ لَكـارِهُونَ يُجادِلُونَكَ فِـي الـحَقّ بَعْدَما تَبَـيّنَ كأنّـمَا يُساقُونَ إلـى الـمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.

12276ـ حدثنـي ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم ذكر القوم, يعنـي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, ومسـيرهم مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم, حين عـرف القـوم أن قريشـا قـد سـارت إلـيهم, وأنهم إنـما خرجوا يريدون العيـر طمعـا فــي الغنيــمة, فقـال: كمَـا أخْرَجَكَ رَبّكَ مِ نْ بَــيْتِكَ بـالــحَقّ... إلـ ى قـوله: لَكـارِهُونَ أي كراهيـة للق اء القوم, وإنكارا لـمسير قريش حين ذكروا لهم.

وقال آخرون: عُنـي بذلك الـمشركون. ذكر من قال ذلك.

12277ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: يُجادِلُونَكَ فِـي الـحقّ بَعْدَما تَبَـيّنَ كأنّــمَا يُسـاقُونَ إلــى الــمَوْتِ وَهُـمْ يَنْظُرُونَ قال: هؤلاء الـمشركون جادلوك فــي الــحق كأنــما يسـاقون إلــى الـموت حين يُدعون إلـى الإسلام, وهم يَنْظُرُونَ قال: ولـيس هذا مـن صـفة الآخرين, هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر.

12278ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا إسـحاق, قـال: حـدثنا يعقـوب بـن مـحمد, قال: ثنـي عبد العزيز بن مـحمد, عن ابن أخي الزهـري, عـن عمـه, قال: كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسـر: كَأنّــمَا يُسَاقُونَ إلـى الـمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ خروج رسول الله صلى الله عليه وسـلم إلـى العير.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك مـا قـاله ابـن عبــاس وابـن إسحاق, من أن ذلك خبر من الله عن فريق من الـمؤمنـين أنهم كرهوا لقــاء العدوّ, وكان جدالهم نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا: لـم يعلـمنا أنـا نلقـى العدوّ فنستعدّ لقتالهم, وإنـما خرجنـا للعيـر. ومــما يـدلّ علــى صـحة قوله: وَإذْ يَعِدكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَـيْنِ أنّها لَكُم وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ففـي ذلك الدلـيـل الواضح لـمن فهم عن الله أن القوم قـد كـانوا للشوكة كارهين وأن جدالهم كان فـي القتال كما قال مـجاهد, كراهية منهـم له, وأن لا معنى لـما قال ابن زيد, لأن الذي قبل قوله: يُجادِلُونَكَ فـي الـحَقّ

خبر عن أهل الإيمان, والذي يتلوه خبر عنهم, فأن يكون خبرا عنهم أولى منه بأن يكون خبرا عمن لم يجر له ذكر.
وأما قوله: بَعْدَما تَبَيّنَ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معناه: بعدما تبين لهم أنك لا تفعل إلاّ ما أمرك الله. ذكر من قال ذلك.
12279ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: بَعْدَما تَبَيّنَ أنك لا تصنع إلاّ ما أمرك الله به.
وقال آخرون: معناه يجادلونك في القتال بعدما أمرت به. ذكر من قال ذلك.
12280ـ رواه الكلبي, عن أبي صالح, عن ابن عباس.
وأما قوله كأنّما يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فإن معناه: كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدوّ من كراهتهم للقائهم إذا دعوا إلى لقائهم للقتال يساقون إلى الموت.
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
12281ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال قال ابن إسحاق: كأنّما يُساقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ: أي كراهة للقاء القوم, وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطّائِفَتِيْنِ أَنّهَا لَكُمْ وَتَوَدّونَ أَنّ غَيْرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أن يُحِقّ الحَقّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ }..
يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم إذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ يعني: إحدى الفرقتين, فرقة أبي سفيان بن حرب والعير, وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم. وقوله: أنّها لَكُمْ يقول: إن ما معهم غنيمة لكم. وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَة تَكُونُ لَكُمْ يقول: وتحبون أن تكون تلك الطائفة التي ليست لها شوكة, يقول: ليس لها حدّ ولا فيها قتال أن تكون لكم, يقول: تودّون أن تكون لكم العير التي ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع عيرهم الذين في لقائهم القتال والحرب. وأصل الشوكة من الشوك.
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
12282ـ حدثنا عليّ بن نصر, وعبد الوارث بن عبد الصمد, قالا: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن عروة: أن أبا سفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشأم, فسلكوا طريق الساحل فلما سمع بهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه, وحدثهم بما معهم من الأموال وبقلة عددهم. فخرجوا لا يريدون إلاّ أبا سفيان, والركب معه لا يرونها إلاّ غنيمة لهم, لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا رأوهم. وهي ما أنزل الله: وتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ.
12283ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن محمد بن مسلم الزهري, وعاصم بن عمر بن قتادة, وعبد الله بن أبي بكر, ويزيد بن رومان, عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا, عن عبد الله بن عباس, كلّ قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما

سقت من حديث بدر, قالوا: لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشأم ندب المسلمين إليهم, وقال: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فيها أمْوَالُهُمْ, فاخْرُجُوا إلَيْهَا لعلّ الله أنْ يُنَفّلَكُمُوهَا» فانتدب الناس, فخف بعضهم وثقل بعض, وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حربا. وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوّفا من الناس, حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك, فحذر عند ذلك, واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري, فبعثه إلى مكة, وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة, وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه, حتى بلغ واديا يقال له ذَفِرَان, فخرج منه, حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم, فاستشار النبيّ صلى الله عليه وسلم الناس, وأخبرهم عن قريش, فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن, ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض إلى حيث أمرك الله فنحن معك, والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذْهَبْ أنْتَ وَرَبّكَ فَقاتِلا إنّا هَهُنا قاعِدُونَ, ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحقّ لئن سرت بنا إلى بِرك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا, ثم دعا له بخير, ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشِيرُوا عَليّ أيّها النّاسُ» وإنما يريد الأنصار, وذلك أنهم كانوا عدد الناس, وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة, قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا, فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا, نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلاّ ممن دهمه بالمدينة من عدّوه, وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ من بلادهم. قال: فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجَلْ». قال: فقد آمنّا بك وصدقناك, وشهدنا أن ما جئت به هو الحقّ, وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت, فوالذي بعثك بالحقّ إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد, وما نكره أن يلقانا عدوّنا غدا, إنا لصُبُر عند الحرب, صُدُق عند اللقاء, لعلّ الله أن يريك منا ما تقرّ به عينك, فسر بنا على بركة الله فسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك, ثم قال: «سِيرُوا على بَرَكَةِ اللّهِ وأبْشِرُوا, فإنّ اللّهَ قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ, وَاللّهِ لَكأني أنْظُرُ الاَنَ إلى مَصَارِعِ القَوْمِ غَدا».

12284ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أن أبا سفيان أقبل في عير الشأم فيها تجارة قريش, وهي اللطيمة, فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت فاستنفر الناس, فخرجوا معه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً, فبعث عينا له من جهينة, حليفا للأنصار يُدعى ابن الأريقط, فأتاه بخبر القوم. وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم, فبعث إلى أهل مكة

يستعينهم, فبعث رجلاً من بني غفار يُدعى ضمضم بن عمرو, فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم ولا يشعر بخروج قريش, فأخبره الله بخروجهم, فتخوّف من الأنصار أن يخذلوه ويقولوا: إنا عاهدنا أن نمنعك إن أرادك أحد ببلدنا. فأقبل على أصحابه فاستشارهم في طلب العير, فقال له أبو بكر رضي الله عنه: إني قد سلكت هذا الطريق, فأنا أعلم به, وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا, فسكت النبيّ صلى الله عليه وسلم, ثم عاد فشاورهم, فجعلوا يشيرون عليه بالعير. فلما أكثر المشورة, تكلم سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله, أراك تشاور أصحابك فيشيرون عليك وتعود فتشاورهم, فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك وكأنك تتخوّف أن تتخلف عنك الأنصار, أنت رسول الله, وعليك أنزل الكتاب, وقد أمرك الله بالقتال ووعدك النصر, والله لا يخلف الميعاد, امض لما أمرت به فوالذي بعثك بالحقّ لا يتخلف عنك رجل من الأنصار ثم قام المقداد بن الأسود الكندي, فقال: يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبّكَ فَقاتِلا إنّا هَهُنا قاعِدُونَ ولكنا نقول: أقدم فقاتل إنا معك مقاتلون ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال: «إنّ رَبّي وَعَدَنِي القَوْمَ وَقَدْ خَرَجُوا فَسِيرُوا إلَيْهِمْ» فساروا.

12285ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أنّها لَكُمْ وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قال: الطائفتان إحداهما أبو سفيان بن حرب إذ أقبل بالعير من الشأم, والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفر من قريش. فكره المسلمون الشوكة والقتال, وأحبوا أن يلقوا العير, وأراد الله ما أراد.

12286ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَإذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ قال: أقبلت عير أهل مكة يريد: من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك, فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العِير. فبلغ ذلك أهل مكة, فسارعوا السير إليها لا يغلب عليها النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه, فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين, فكانوا أن يلقوا العير أحبّ إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما. فلما سبقت العير, وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم, سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم, فكره القوم مسيرهم لشوكة في القوم.

12287ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَإذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أنّهَا لَكُمْ وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قال: أرادوا العير, قال: ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في شهر ربيع الأوّل, فأغار كرز بن جابر الفهري يريد سرح المدينة حتى بلغ الصفراء, فبلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم فركب في أثره, فسبقه كرز بن جابر, فرجع النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأقام سنته. ثم إن أبا سفيان أقبل من الشأم في عير لقريش, حتى إذا كان قريبا من بدر, نزل جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأوحى إليه: وَإذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أنّهَا لَكُمْ وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ فنفر النبيّ صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين, وهو يومئذٍ ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً, منهم

سبعون ومئتان من الأنصار, وسائرهم من المهاجرين. وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم, فبعث إلى جميع قريش وهم بمكة, فنفرت قريش وغضبت.

12288ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أنّهَا لَكُمْ وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قال: كان جبريل عليه السلام قد نزل, فأخبره بمسير قريش وهي تريد عيرها, ووعده: إما العير, وإما قريشا وذلك كان ببدر, وأخذوا السقاة وسألوهم, فأخبروهم, فذلك قوله: وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ هم أهل مكة.

12289ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ... إلى آخر الآية: خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهم يريدون يعترضون عيرا لقريش, قال: وخرج الشيطان في صورة سراقة بن جعشم, حتى أتى أهل مكة, فاستغواهم وقال: إن محمدا وأصحابه قد عرضوا لعيركم, وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس مَن مثلكم, وإني جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله. فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف منا أحد إلاّ هدمنا داره واستبحناه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عينا للقوم, فأخبره بهم, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ قَدْ وَعَدَكُمُ العِيرَ أوِ القَوْمَ». فكانت العير أحبّ إلى القوم من القوم, كان القتال في الشوكة, والعير ليس فيها قتال, وذلك قول الله: وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قال: الشوكة: القتال, وغير الشوكة: العير.

12290ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري, قال: حدثنا عبد الله بن وهب, عن ابن لهيعة, عن ابن أبي حبيب, عن أبي عمران, عن أبي أيوب, قال: أنزل الله جلّ وعزّ: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أنّهَا لَكُمْ فلما وعدنا إحدى الطائفتين أنها لنا طابت أنفسنا. والطائفتان: عير أبي سفيان, أو قريش.

حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن ابن لهيعة, عن يزيد بن أبي حبيب, عن أسلم أبي عمران الأنصاريّ, أحسبه قال: قال أبو أيوب: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ أنّهَا لَكُمْ وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قالوا: الشوكة: القوم وغير الشوكة: العير فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين: إما العير, وإما القوم, طابت أنفسنا.

12291ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: ثني يعقوب بن محمد, قال: ثني غير واحد, في قوله: وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ إن الشوكة قريش.

12292ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ هي عير أبي سفيان, ودّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم وأن القتال صُرِف عنهم.

12293ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ: أي الغنيمة دون الحرب.

وأما قوله: أنّهَا لَكُمْ ففُتحت على تكرير «يَعِدُ», وذلك أن قوله: يَعِدُكُمُ اللّهُ قد عمل في إحدى الطائفتين. فتأويل الكلام: وَإذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم, كما قال: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ السّاعَةَ أنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً. قال: وَتَوَدّونَ أنّ غيرَ ذَاتِ الشّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ فأنث «ذات» لأنه مراد بها الطائفة.

ومعنى الكلام: وتودون أن الطائفة التي هي غير ذات الشوكة تكون لكم, دون الطائفة ذات الشوكة.

القول في تأويل قوله تعالى: ويُرِيدُ اللّهُ أنْ يُحِقّ الحَقّ بكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ.

يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يحقّ الإسلام ويعليه بكلماته, يقول: بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار, وأنتم تريدون الغنيمة والمال.

وقوله: وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ يقول: يريد أن يجبّ أصل الجاحدين توحيد الله. وقد بيّنا فيما مضى معنى دابر, وأنه المتأخر, وأن معنى قطعه الإتيان على الجميع منهم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12294ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وَيُرِيدُ اللّهَ أنْ يُحِقّ الحَقّ بكَلِماتِهِ أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم, هذا خير لكم من العير.

12295ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَيُرِيدُ اللّهَ أنْ يُحِقّ الحَقّ بكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ: أي الوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيُحِقّ الْحَقّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ }..

يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين كيما يحقّ الحقّ, كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام, ويعزّ الإسلام, وذلك هو تحقيق الحقّ ويُبْطِلَ البَاطِلَ يقول ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ولو كَرِهَ ذلك الذين أجرموا, فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار.

12296ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: لِيُحِقّ الحَقّ وَيُبْطِلَ الباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ هم المشركون.

وقيل: إن الحقّ في هذا الموضع: الله عزّ وجلّ.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنّي مُمِدّكُمْ بِأَلْفٍ مّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ }..

يقول تعالى ذكره: ويبطل الباطل حين تستغيثون ربكم, ف «إذا» من صلة «يبطل» ومعنى قوله: تسْتَغيثونَ رَبّكُمْ: تستجيرون به من عدوّكم, وتدعونه للنصر عليهم. فاسْتَجابَ لَكُمْ يقول: فأجاب دعاءكم بأني ممدكم بألف من الملائكة يُردف بعضهم بعضا ويتلو بعضهم بعضا.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر الأخبار بذلك.

12297ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربي, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, عن عكرمة بن عمار, قال: ثني سماك الحنفي, قال: سمعت

ابن عباس يقول: ثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدتهم, ونظر إلى أصحابه نيفا على ثلاث مئة, فاستقبل القبلة, فجعل يدعو ويقول: «اللهمّ أنْجِزْ لي ما وَعَدَتْني اللّهُمّ إنْ تَهْلِكَ هَذهِ العِصَابَةُ مِنْ أهْلِ الإسْلامِ, لا تُعْبَدْ فِي الأرْضِ» فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه, وأخذه أبو بكر الصديق رضي اللَه عنه, فوضع رداءه عليه, ثم التزمه من ورائه, ثم قال: كفاك يا نبيّ الله بأبي وأمي مناشدتك ربك, فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: إذْ تَسْتَغِثُونَ رَبّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أنّي مُمِدّكُمْ بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ.

12298ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: لما اصطفّ القوم, قال أبو جهل: اللهمّ أولانا بالحقّ فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده, فقال: «يا رَبّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأرْضِ أبَدا».

12299ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: قام النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «اللّهُمّ رَبّنا أنْزَلْتَ عَلَيّ الكِتابَ, وأمَرْتَنِي بالقِتالِ, وَوَعَدْتَنِي بالنّصْرِ, وَلا تُخْلِفُ المِيعادَ» فأتاهُ جِبرِيل عليه السلام, فأنزل الله: أنْ يَكْفِيَكُمْ أنْ يُمِدّكُمْ رَبّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلى إنْ تَصْبِرُوا وَتَتّقُوا وَيأتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوّمِينَ.

12300ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن ابن إسحاق, عن زيد بن يُثَيْع قال: كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش, فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو, يقول: «اللّهُمّ انْصُرْ هَذِهِ العِصَابَةَ, فإنّكَ إنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنْ تُعْبَدَ في الأرْض» قال: فقال أبو بكر: بَعْضَ مناشدتك منجزك ما وعدك.

12301ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: أقبل النبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره, فأنزل الله عليه الملائكة.

12302ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبّكُمْ قال: دعا النبيّ صلى الله عليه وسلم.

12303ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبّكُمْ: أي بدعائكم حين نظروا إلى كثرة عدوّهم وقلة عددهم, فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه.

12304ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن أبي حصين, عن أبي صالح, قال: لما كان يوم بدر, جعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشدّ النشدة, يدعو فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله بعض نشدتك, فوالله ليفينّ الله لك بما وعدك.

وأما قوله: أنّي مُمِدّكُمْ بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ فقد بينا معناه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12305ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: أنّي مُمِدّكُمْ بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ يقول: المزيد, كما تقول: ائت الرجل فزده كذا وكذا.

12306ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أحمد بن بشير, عن هارون بن عنترة, عن أبيه, عن ابن عباس: مُرْدِفِينَ قال: متتابعين.
قال: ثني أبي, عن سفيان, عن هارون بن عنترة, عن ابن عباس, مثله.
12307ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس: مُمِدّكُمْ بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ قال: وراء كلّ ملك ملك.
حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي كدينة يحيى بن المهلب, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس: مُرْدِفِينَ قال: متتابعين.
12308ـ قال: حدثنا هانىء بن سعيد, عن حجاج بن أرطأة, عن قابوس, قال: سمعت أبا ظبيان يقول: مُرْدِفِينَ قال: الملائكة بعضهم على إثر بعض.
12309ـ قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: مُرْدِفِينَ قال: بعضهم على إثر بعض.
12310ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.
12311ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: مُرْدِفِينَ قال: ممدين. قال ابن جريج, عن عبد الله بن كثير قال: مُرْدِفِينَ الإرداف: الإمداد بهم.
12312ـ حدثني بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ أي متتابعين.
12313ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ يتبع بعضهم بعضا.
12314ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مُرْدِفِينَ قال: المردفين بعضهم على إثر بعض, يتبع بعضهم بعضا.
12315ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ يقول: متتابعين يوم بدر.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «مُرْدَفِينَ» بنصب الدال. وقرأه بعض المكيين وعامّة قرّاء الكوفيين والبصريين: مُرْدِفِينَ. وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك, ويقول فيما ذُكر عنه: هو من أردف بعضهم بعضا. وأنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب, وقال: إنما الإرداف: أن يحمل الرجل صاحبه خلفه, قال: ولم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر.
واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قرىء بفتح الدال أو بكسرها, فقال بعض البصريين والكوفيين: معنى ذلك إذا قرىء بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال: أردفته وقالوا: العرب تقول: أردفته وردفته, بمعنى: تبعته وأتبعته. واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر:
إذَا الجَوْزَاءُ أرْدَفَتِ الثّرَيّاظَنَنْتُ بِآلِ فاطِمَة الظّنُونا

قالوا: فقال الشاعر: «أردفت», وإنـما أراد «ردفـتُ» جـاءت بعـدها, لأن الـجوزاء تـجيء بعد الثريا. وقالوا معناه إذا قرىء مُرْدَفِـينَ أنه مفعـول بهـم, كأن معناه: يألف من الـملائكة يُردف الله بعضهم بعضا.

وقال آخرون: معنى ذلك إذا كسرت الدال: أردفت الـملائكة بعضها بعضا, وإذا قرىء بفتـحها: أردف الله الـمسلـمين بهم.

والصواب من القراءة فـي ذلك عندي قراءة من قرأ: بألْفٍ مِـنَ الـمَلائِكَةِ مُرْدِفِـينَ بكسر الدال لإجماع أهل التأويـل علـى مـا ذكـرت مـن تأويـلهم أن معناه: يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين. ففـي إجماعهم علـى ذلك مـن التأويـل الدلـيـل الواضح علـى أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فـي ذلك مـن كسـر الدال, بـمعنى: أردف بعض الـملائكة بعضـا, ومسـموع مـن العـرب: جئـت مِرْدِفـا لفلان: أي جئت بعده.

وأما قول من قال: معنى ذلك إذا قرىء «مُرْدَفِـينَ» بفتـح الدال: أن اللـه أردف الـمسلـمين بهم, فقول لا معنى له إذ الذكر الـذي فـي مردفـين مـن الـملائكة دون الـمؤمنـين.

وإنـما معنى الكلام: أن يـمدّكم بألف من الـملائكة يردَف بعضهم ببعض, ثم حذف ذكر الفـاعل, وأخرج الـخبر غيـر مسـمى فـاعله, فقيـل: مُرْدَفِـينَ بـمعنى: مردَف بعضُ الـملائكة ببعض, ولو كان الأمر علـى ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون فـي الـمردَفـين ذكر الـمسلـمين لا ذكر الـملائكة, وذلك خلاف ما دلّ علـيه ظاهر القرآن.

وقد ذكر فـي ذلك قراءة أخرى, وهي ما:

12316ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: قال عبد الله بن يزيد: «مُرْدِفِـينَ», ومُرْدَفِـينَ و «مُرْدِّفِـينَ», مثقل علـى معنى: مُرْتَدِفـين.

12317ـ حدثنا الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا يعقوب بن مـحمد الزهري, قال: ثنـي عبد العزيز بن عمران عن الربعي, عن أبـي الـحويرث, عن مـحمد بن جبـير, عن علـيّ رضي الله عنه, قال: نزل جبريـل فـي ألـف من الـملائكة عن ميـمنة النبـيّ صلى الله عليه وسلم, وفـيها أبو بكـر رضـي الله عنه, ونزل ميكائيـل علـيه السلام فـي ألف مـن الـملائكة عـن ميسـرة النبـيّ صلى الله عليه وسلم, وأنا فـيها.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَا جَعَلَهُ اللّـهُ إِلاّ بُشْـرَىَ وَلِتَطْمَئِـنّ بِـهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النّصْرُ إِلاّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }..

يقول تعالـى ذكره: لـم يجعل الله إرداف الـملائكة بعضها بعضا وتتابعهـا بـالـمصير إلـيكم أيها الـمؤمنون مددا لكـم إلاّ بشـرى لكـم: أي بشـارة لكـم تبشركم بنصر الله إياكم علـى أعدائكم. وَلِتَطْمَئِنّ بِهِ قُلوبُكُمْ يقول: ولتسكن قلوبكم بـمـجيئها إلـيكم, وتوقن بنصرة الله لكم, وَمـا النّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ: يقول: وما تُنصرون علـى عدوّكم أيها الـمؤمنون إلاّ أن ينصركم الله علـيهم, لا بشدة بأسكم وقواكم, بل بنصر الله لكم, لأن ذلك بـيده وإلـيه, ينصـر مـن يشاء من خـلقه. إنّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيـمٌ يقـول: إن اللـه الـذي ينصـركم وبـيده نصر من يشاء من خـلقه, عزيز لا يقهره شيء, ولا يغلبه غالب, بل يقهر كـلّ شيء ويغلبه, لأنه خـلقه حكيـم, يقول: حكيـم فـي تدبـيره ونصره من نصر, وخذلانه من خذل من خـلقه, لا يدخـل تدبـيره وهن ولا خـلل.

ورُوي عن عبد الله بن كثـير, عن مـجاهد فـي ذلك ما:

12318ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج عن ابن جريج, قال: أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول: ما مَدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين, وذكر الثلاثة والخمسة بشرى, ما مدّوا بأكثر من هذه الألف الذي ذكر الله عزّ وجلّ في الأنفال. وأما الثلاثة والخمسة, فكانت بشرى.

وقد أتينا على ذلك في سورة آل عمران بما فيه الكفاية.

الآية : 11-12

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ يُغَشّيكُمُ النّعَاسَ أَمَنَةً مّنْهُ وَيُنَزّلُ عَلَيْكُم مّن السّمَآءِ مَآءً لّيُطَهّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىَ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبّتَ بِهِ الأقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنّي مَعَكُمْ فَثَبّتُواْ الّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الّذِينَ كَفَرُواْ الرّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلّ بَنَانٍ }..

يقول تعالى ذكره: ولتطمئن به قلوبكم إذ يغشيكم النعاس. ويعني بقوله: يُغَشّيكُمُ النّعاسَ: يلقي عليكم النعاس, أَمَنَةً يقول: أمانا من الله لكم من عدوّكم أن يغلبكم, وكذلك النعاس في الحرب أمنة من الله عزّ وجلّ.

12319ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, عن عبد الله, قال: النعاس في القتال أمنة من الله عزّ وجلّ, وفي الصلاة من الشيطان.

حدثني الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, في قوله: يغشاكم النعاس أمنة منه, عن عاصم, عن أبي رزين, عن عبد الله, بنحوه, قال: قال عبد الله: فذكر مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, عن عبد الله بنحوه.

والأمنة: مصدر من قول القائل: أمنت من كذا أَمَنَةً وأمانا وأمنا, وكلّ ذلك بمعنى واحد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12320ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَمَنَةً منْهُ: أمانا من الله عزّ وجلّ.

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَمَنَةً قال: أمنا من الله.

12321ـ حدثني يونس, قال: حدثنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إِذْ يُغَشّيكُمُ النّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ قال: أنزل الله عزّ وجلّ النعاس أمنة من الخوف الذي أصابهم يوم أحد. فقرأ: ثُمّ أنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَم أَمَنَةً نُعاسا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: «إِذْ يُغَشاكُمُ النّعاسُ أَمَنَةً مِنْهُ» فقرأ ذلك عامّة قراء أهل المدينة «يُغَشِيكُمُ النّعاسَ» بضم الياء وتخفيف الشين ونصب «النعاس», من أغشاهم الله النعاس, فهو يغشيهم. وقرأته عامة قراء الكوفيين: يُغَشّيكُم بضم الياء وتشديد الشين من غشّاهم الله النعاس, فهو يُغَشّيهم. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: «يَغْشاكُم النّعاسُ» بفتح الياء ورفع «النعاس», بمعنى غشيهم النعاس, فهو

يغشاهم واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله فـي آل عمران: يَغْشَى طائفَةً.

وأولـى ذلك بـالصواب: إذْ يُغَشّيكُم علـى ماذكرت من قـراءة الكوفيـين, لإجماع جميع القرّاء علـى قراءة قوله: ويُنَزّلُ عَلَـيْكُمْ مِنَ السّماءِ ماءً بتوجيه ذلك إلـى أنـه مـن فعـل اللـه عـزّ وجـلّ, فكـذلك الـواجب أن يكـون كـذلك: يُغَشّيكُم إذ كان قوله: ويُنَزّلُ عطفـا علـى «يُغَشّـي», لـيكون الكلام متسـقا علـى نـحو واحد.

وأما قوله: ويُنَزّلُ عَلَـيْكُمْ مِنَ السّماءِ ماءً لِـيّطَهّرَكُمْ بِهِ فإن ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر, لـيطهر به الـمؤمنـين لصلاتهم لأنهم كـانوا أصـبحوا يومئـذٍ مُـجْنِبـين علـى غيـر مـاء فلـما أنـزل اللـه علـيهم الـماء اغتسـلوا وتطهـروا. وكـان الشـيطان وسـوس لهـم بـما حزنهـم بـه مـن إصبـاحهم مـجنبـين علـى غير ماء, فأذهب الله ذلك من قلوبهم بـالـمطر فـذلك ربطـه علـى قلوبهم وتقويته أسبـابهم وتثبـيته بذلك الـمطر أقـدامهم, لأنهـم كـانوا التقوا مع عدوّهم علـى رَمْلـة هَشّـاء فلبّـدَها الـمطر حتـى صـارت الأقـدام علـيها ثابتة لا تسوخ فـيها, توطئـة مـن اللـه عـزّ وجـلّ لنبـيه علـيه الصـلاة والسلام وأولـيائه أسبـاب التـمكن من عـدوهم والظفـر بهـم. وبـمثل الـذي قلنا, تتابعت الأخبـار عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم وغيـره مـن أهـل العلـم. ذكر الأخبـار الواردة بذلك:

12322ـ حدثنا هارون بن إسحاق, قال: حدثنا مصعب بن الـمقدام, قـال: حدثنا إسرائيـل, قال: حدثنا أبو إسحاق, عن حارثـة, عـن علـيّ رضـي اللـه عنه, قال: أصابنا من اللـيـل طشّ من الـمطر يعنـي اللـيـلة التـي كانت فـي صبـيحتها وقعة بدر فـانطلقنا تـحت الشـجر والـحجف, نسـتظلّ تـحتها مـن الـمطر, وبـات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بـه: «اللّهُـمّ إنْ تَهْلِـكْ هَذِهِ العِصَابَةُ لا تُعْبَدْ فـي الأرْضِ» فلـما أن طلع الفجـر نـادى: الصّـلاةَ عِبـادَ اللّهِ, فجاء الناس من تـحت الشَجر والـحجف, فصلـى بنا رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم, وحرّض علـى القتال.

12323ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص بن غياث وأبو خالد, عن داود, عن سعيد بن الـمسيب: ماءً لِـيُطَهّرَكُمْ بِهِ قال: طشّ يوم بدر.

حدثنـي الـحسن بن يزيد, قال: حدثنا حفص, عن داود, عن سعيد, بنـحوه.

12324ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مـحمد أبـي عديّ وعبد الأعلـى, عن داود, عن الشعبـيّ وسعيد بن الـمسيب, قالا: طش يوم بدر.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا ابن أبـي عـديّ, عـن داود, عـن الشعبـي وسعيد بن الـمسيب فـي هذه الآية: يُنَزّلُ عَلَـيْكُمْ مِنَ السّماءِ ماءً لِـيُطَهّرَكُمْ بِهِ, وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشّيْطانِ قـالا: طـش كـان يـوم بـدر, فثبـت اللـه بـه الأقدام.

12325ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: «إذْ يَغْشاكُمُ النّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ»... الآية, ذكـر لنـا أنهـم مطـروا يومئذٍ حتـى سال الوادي ماء, واقتتلوا علـى كثـيب أعفر, فلبده الله بـالـماء, وشرب الـمسلـمون وتوضئوا وسَقَوْا, وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان.

12326ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا عبد الله, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قال: نزل النبـيّ صلى الله عليـه وسـلم يعنـي حيـن سـار إلـى بـدر والـمسلـمون بـينهم وبـين الـماء رملـة دعصـة فأصـاب

المسلمين ضعف شديد, وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ, فوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله, وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطرا شديدا, فشرب المسلمون وتطهروا, وأذهب الله عنهم رجز الشيطان. وثبت الرمل حين أصابه المطر, ومشي الناس عليه والدوابّ فساروا إلى القوم, وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة, فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة, وميكائيل في خمسمائة مجنبة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: «إِذْ يُغْشاكُمُ النّعاسُ أَمَنَةً مِنْهُ»... إلى قوله: وَيُثَبّتَ بِهِ الأَقْدَامَ وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها, نزلوا على الماء يوم بدر, فغلبوا المؤمنين عليه, فأصاب المؤمنين الظمأ, فجعلوا يصلون مجنبين محدثين, حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي, فشرب المسلمون وملئوا الأسقية, وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة, فجعل الله في ذلك طُهورا, وثبت الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله عليها المطر. فضربها حتى اشتدت, وثبتت عليها الأقدام.

حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون, فسبقهم المشركون إلى ماء بدر, فنزلوا عليه, وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر, فانطلقوا. قال: فنزلوا على أعلى الوادي, ونزل محمد صلى الله عليه وسلم في أسفله. فكان الرجل من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام يُجنب فلا يقدر على الماء, فيصلي جنبا, فألقى الشيطان في قلوبهم, فقال: كيف ترجون أن تظهروا عليهم وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنبا على غير وضوء؟ قال: فأرسل الله عليهم المطر, فاغتسلوا وتوضئوا وشربوا, واشتدت لهم الأرض, وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم, فاشتدّت لهم من المطر واشتدّوا عليها.

12327ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: غلب المشركون المسلمين في أوّل أمرهم على الماء فظمىء المسلمون, وصلوا مجنبين محدثين, وكانت بينهم رمال, فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن, فقال: تزعمون أن فيكم نبيّا وأنكم أولياء الله, وقد غلبتم على الماء وتصلون مجنبين محدثين؟ قال: فأنزل الله ماء من السماء, فسال كلّ واد, فشرب المسلمون وتطهروا, وثبتت أقدامهم, وذهبت وسوسة الشيطان.

12328ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: ماءً لِيُطَهّرَكُمْ بِهِ قال: المطر أنزله عليهم قبل النعاس. رِجْزَ الشّيْطَانِ قال: وسوسته. قال: فأطفأ بالمطر الغبار, والتبدت به الأرض, وطابت به أنفسهم, وثبتت به أقدامهم.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ماءً لِيُطَهّرَكُمْ بِهِ أنزله عليهم قبل النعاس, طبق المطر الغبار, ولبد به الأرض, وطابت به أنفسهم, وثبتت به الأقدام.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مَاءً لِيُطَهّرَكُمْ بِهِ قال: القطر ويُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشّيْطَانِ وساوسه. أطفأ بالمطر الغبار, ولبد به الأرض, وطابت به أنفسهم, وثبتت به أقدامهم.

12329ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, رجز الشيطان: وسوسته.

12330ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيُنَزّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السّماءِ ماءً لِيُطَهّرَكُمْ بِهِ قال: هذا يوم بدر أنزل عليهم القطر. وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشّيْطانِ الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهؤلاء طاقة. وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ وَيُثَبّتَ بِهِ الأقْدَامَ.

12331ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إذْ يَغْشاكُمُ النّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ... إلى قوله: وَيُثَبّتَ بِهِ الأقْدَامَ: إن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر, وغلبوا المسلمين عليه, فأصاب المسلمين الظمأ, وصلوا محدثين مجنبين, فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن, ووسوس فيها: إنكم تزعمون أنكم أولياء الله وأن محمدا نبيّ الله, وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين فأمطر الله السماء حتى سال كلّ واد, فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم وسقوا دوابهم واغتسلوا من الجنابة, وثبت الله به الأقدام وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوّهم رملة لا تجوزها الدوابّ, ولا يمشي فيها الماشي إلاّ بجهد, فضربها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الأقدام.

12332ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: «إذْ يَغْشاكُمُ النّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ»: أي أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون, ونزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم تلك الليلة, فحبس المشركون أن يسبقوا إلى الماء, وخُلي سبيلُ المؤمنين إليه. لِيُطَهّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ وَيُثَبّتَ بِهِ الأقْدَام: ليذهب عنهم شكّ الشيطان بتخويفه إياهم عدوّهم, واستجلاد الأرض لهم, حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبق إليه عدوّهم.

12333ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة وقيامهم يصلون بغير وضوء, فقال: «إذْ يَغْشاكُمُ النّعاسُ أمَنَةً مِنْهُ ويُنَزّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السّماءِ ماءً لِيُطَهّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ وَيُثَبّتَ بِهِ الأقْدَامَ» حتى تشتدّون على الرمل, وهو كهيئة الأرض.

12334ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا داود بن أبي هند, قال: قال رجل عند سعيد بن المسيب, وقال مرّة قرأ: وَيُنَزّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السّماءِ ماءً لِيُطَهّرَكُمْ بِهِ فقال سعيد: إنما هي: «وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السّماءِ ماءً لِيُطْهِرَكُمْ بِهِ» قال: وقال الشعبي: كان ذلك طشّا يوم بدر.

وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة, أن مجاز قوله: وَيُثَبّتَ بِهِ الأقْدَام ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم, فيثبتون لعدوّهم. وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين, وحسب

قول خطأ أن يكون خلافا لقول من ذكرنا. وقد بيّنا أقوالهم فيه, وأن معناه: ويثبت أقدام المؤمنين بتلبيد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم.

وأما قوله: إذْ يُوحي رَبّكَ إلى الَملائِكَةِ أنّي مَعَكُمْ أنصركم, فَثَبّتُوا الّذِينَ آمَنُوا يقول: قوّوا عزمهم, وصححوا نياتهم في قتال عدوّهم من المشركين. وقد قيل: إن تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم, وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم, وقيل: كان ذلك بأن الملك يأتي الرجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: سمعت هؤلاء القوم, يعني المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن, فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك, فتقوى أنفسهم. قالوا: وذلك كان وحيَ الله إلى ملائكته.

وأما ابن إسحاق, فإنه قال بما:

12335ـ حدثنا بن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: فَثَبّتُوا الّذِينَ آمَنُوا أي فآزروا الذين آمنوا.

القول في تأويل قوله تعالى: سأُلْقِي فِي قُلُوبِ الّذِينَ كَفَرُوا الرّعْبَ فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ.

يقول تعالى ذكره: سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم, وأملؤها فَرَقا حتى ينهزموا عنكم, فاضربوا فوق الأعناق

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: فَوْقَ الأعْناقِ فقال بعضهم: معناه: فاضربوا الأعناق. ذكر من قال ذلك:

12336ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن عطية: فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ قال: اضربوا الأعناق.

12337ـ قال: حدثنا أبي, عن المسعودي, عن القاسم, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّي لَمْ أبْعَثْ لِأعَذّبَ بِعَذَابِ اللّهِ, إنّما بُعِثْتُ لِضَرْبِ الأعْناقِ وَشَدّ الوثاقِ».

12338ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ يقول: اضربوا الرقاب.

واحتجّ قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول: رأيت نفس فلان, بمعنى رأيته, قالوا: فكذلك قوله: فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ إنما معناه: فاضربوا الأعناق.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فاضربوا الرءوس. ذكر من قال ذلك:

12339ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: وحدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرمة: فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ قال: الرءوس.

واعتلّ قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الأعناق: الرءوس, وقالوا: وغير جائز أن تقول: فوق الأعناق, فيكون معناه: الأعناق. قالوا: ولو جاز كان أن يقال تحت الأعناق, فيكون معناه: الأعناق. قالوا: وذلك خلاف المعقول من الخطاب, وقلب معاني الكلام.

وقال آخرون: معنى ذلك: فاضربوا على الأعناق. وقالوا: «على» و «فوق» معناهما متقاربان, فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف أن يضربوا فوق الأعناق منهم

والأيدي والأرجل وقوله: فَوْقَ الأعْناقِ محتمل أن يكون مرادا به الرءوس, ومحتمل أن يكون مرادا به فوق جلدة الأعناق, فيكون معناه: على الأعناق وإذا احتمل ذلك صحّ قول من قال: معناه: الأعناق. وإذا كان الأمر محتملاً ما ذكرنا من التأويل, لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض إلاّ بحجة يجب التسليم لها, ولا حجة تدلّ على خصوصه, فالواجب أن يقال: إن الله أمر بضرب رءوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرا.

وأما قوله: وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ فإن معناه: واضربوا أيها المؤمنون من عدوّكم كلّ طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم. والبنان: جمع بنانة, وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين, ومن ذلك قول الشاعر:

أَلا لَيْتَنِي قَطّعْتُ مِنّي بَنانَةً وَلاقَيْتُهُ فِي البَيْتِ يَقْظانَ حاذِرَا

يعني بالبنانة: واحدة البنان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12340ـ حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن عطية: وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ قال: كلّ مفصل.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن عطية: وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ قال: المفاصل.

12341ـ قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ قال: كلّ مفصل.

12342ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسن, عن يزيد, عن عكرمة: وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ قال: الأطراف, ويقال: كلّ مفصل.

12343ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ يعني بالبنان: الأطراف.

12344ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ قال: الأطراف.

12345ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلّ بَنانٍ يعني الأطراف.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنّهُمْ شَآقّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }..

يعني تعالى ذكره بقوله: ذلكَ بأنّهُمْ هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الأعناق, وضرب كلّ بنان منهم, جزاء لهم بشقاقهم الله ورسوله, وعقاب لهم عليه, ومعنى قوله: شاقّوا الله وَرَسُولَهُ فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما, وأطاعوا أمر الشيطان. ومعنى قوله: وَمَنْ يُشاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله, وفارق طاعتهما. فإنّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ له, وشدة عقابه له في الدنيا: إحلاله به ما كان يحلّ بأعدائه من النقم, وفي الآخرة الخلود في نار جهنم. وحذف «له» من الكلام لدلالة الكلام عليها.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النّارِ }..

يقول تعالى ذكره: هذا العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله في الدنيا, من الضرب فوق الأعناق منكم, وضرب كلّ بنان بأيدي أوليائي المؤمنين, فذوقوه عاجلاً, واعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذاب النار.

ولفتح «أن» من قوله: وأنّ للكافِرِينَ من الإعراب وجهان: أحدهما الرفع, والآخر النصب. فأما الرفع فبمعنى: ذلكم فذوقوه, ذلكم وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير «ذلكم», كأنه قيل: ذلكم الأمر وهذا. وأما النصب فمن وجهين: أحدهما: ذلكم فذوقوه, واعلموا, أو وأيقنوا أن للكافرين, فيكون نصبه بنية فعل مضمر, قال الشاعر:

ورأيْتِ زَوْجَكِ في الوَغَىمُتَقَلّدًا سَيفا وَرُمْحَا

بمعنى: وحاملاً رمحا. والآخر بمعنى: ذلكم فذوقوه, وبأن للكافرين عذاب النار, ثم حذفت الباء فنصبت.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: {يَاأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا لَقِيتُمُ الّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرّفاً لّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيّزاً إِلَىَ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }..

يعني تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذَا لَقِيتُمُ الّذِينَ كَفَرُوا في القِتالِ زَحْفا يقول: متزاحفا بعضكم إلى بعض, والتزاحف: التداني والتقارب. فَلا تُوَلّوهُمُ الأدْبارَ يقول: فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم, ولكن اثبتوا لهم فإن الله معكم عليهم. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ يقول: ومن يولهم منكم ظهره إلا مُتَحَرّفا لِقتَالٍ يقول: إلا مستطردا لقتال عدوّه بطلب عورة له يمكنه إصابتها فيكرّ عليه أو مُتَحَيّزا إلى فِئَةٍ أو إلا أن يوليهم ظهره متحيزا إلى فئة, يقول: صائرا إلى حيز المؤمنين الذين يفيئون به معهم إليهم لقتالهم ويرجعون به معهم إليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12346ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن جويبر, عن الضحاك: إلاّ مُتَحَرّفا لِقِتالٍ أوْ مُتَحيّزا إلى فِئَةٍ قال: المتحرّف: المتقدّم من أصحابه ليرى غرّة من العدوّ فيصيبها. قال: والمتحيز: الفارّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه, وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره أو أصحابه. قال الضحاك: وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفرّوا, وإنما كان النبيّ عليه الصلاة والسلام فئتهم.

12347ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرّفا لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيّزًا إلى فِئَةٍ أما المتحرّف يقول: إلاّ مستطردا, يريد العودة. أوْ مُتَحيّزا إلى فِئَةٍ قال: المتحيز إلى الإمام وجنده إن هو كرّ فلم يكن له بهم طاقة, ولا يعذر الناس وإن كثروا أن يولوا عن الإمام.

واختلف أهل العلم في حكم قول الله عزّ وجلّ: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرّفا لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيّزًا إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ ومَأْوَاهُ جَهَنّمُ هل هو خاصّ في أهل بدر, أم هو في المؤمنين جميعا؟ فقال قوم:

هو لأهل بدر خاصة, لأنه لـم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم مع عدوّه وينهزموا عنه فأما الـيوم فلهم الانهزام. ذكر من قال ذلك:
12348ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا داود, عن أبـي نضرة, فـي قول الله عزّ وجلّ: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُـرَهُ قـال: ذاك يوم بدر, ولـم يكن لهم أن ينـحازوا, ولو انـحاز أحد لـم ينـحز إلاّ إلـيّ. قال أبو موسى: يعنـي إلـى الـمشركين.
12349ـ حدثنا إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد, عن داود, عـن أبـي نضرة, عن أبـي سعيد, قـوله عـزّ وجـلّ: وَمَـنْ يُـوَلّهِمْ يَوْمَئِـذٍ دُبُـرَهُ ثـم ذكـر نـحوه, إلاّ أنه قال: ولو انـحازوا انـحازوا إلـى الـمشركين, ولـم يكـن يومئـذٍ مسلـم فـي الأرض غيرهم.
12350ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن مفضل, قال: حدثنا داود, عن أبـي نضرة, عن أبـي سعيد, قال: نزلت فـي يوم بدر: وَمَنْ يُـوَلهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ.
حدثنـي ابن الـمثنى, وعلـيّ بن مسلـم الطوسي, قال ابن الـمثنى: ثنـي عبد الصمد, وقال علـيّ: حدثنا عبـد الصـمد, قـال: حـدثنا شـعبة, عـن داود, يعنـي ابن أبـي هند, عن أبـي نضرة, عن أبـي سعيد: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ قال: يوم بدر. قال أبو موسى: حُدثت أن فـي كتاب غندر هذا الـحديث, عـن داود, عن الشعبـي, عن أبـي سعيد.
حدثنا أحمد بن مـحمد الطوسي, قال: حدثنا علـيّ بن عاصم, عن داود بن أبـي هند, عن أبـي نضرة, عن أبـي سعيد الـخدريّ, قال: إنـما كان ذلك يـوم بدر لـم يكن للـمسلـمين فئة إلاّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأما بعـد ذلك, فإن الـمسلـمين بعضهم فئة لبعض.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا داود, عن أبـي نضرة: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ قال: هذه نزلت فـي أهل بدر.
12351ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن ابن عون, قـال: كتبـت إلـى نافع أسأله, عن قوله: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ أكـان ذلـك الـيوم أم هـو بعد؟ قال: وكتب إلـيّ: إنـما كان ذلكَ يوم بدر.
12352ـ حدثنا علـيّ بن سهل, قال: حدثنا زيد, عن سفـيان, عن جويـبر, عن الضحاك, قال: إنـما كان الفرار يوم بدر, ولـم يكن لهم ملـجأ يـلـجئون إلـيه, فأما الـيوم فلـيس فرار.
12353ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن الربـيع, عن الـحسن: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ قال: كانت هذه يوم بدر خاصة, لـيس الفرار مـن الزحـف من الكبـائر.
12354ـ قال: حدثنا أبـي, عن سفـيان, عن رجل, عن الضحاك وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ قال: كانت هذه يوم بدر خاصة, قال: حدثنا روح بن عبـادة, عـن حبـيب بن الشهيد, عن الـحسن وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ قال: نزلت فـي أهل بدر.
12355ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ قال: ذلكم يوم بدر.
حدثنـي الـمثنى, قـال: حـدثنا سـويد, قـال: أخبرنـا ابـن الـمبـارك عـن الـمبـارك بن فضالة, عن الـحسن وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ قال: ذلك يوم بدر, فأما الـيوم فإن انـحاز إلـى فئة أو مصر أحسبه قال: فلا بأس به.

حدثني المثنى, قال: حدثنا قبيصة بن عقبة, قال: حدثنا سفيان, عن ابن عون, قال: كتبت إلى نافع وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ؟ قال: إنما هذا يوم بدر.

12356ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: حدثنا ابن المبارك, عن ابن لهيعة, قال: ثني يزيد بن أبي حبيب, قال: أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النار, قال: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرّفا لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيّزا إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: إنّمَا اسْتَزَلّهُمُ الشّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفا اللّهُ عَنْهُمْ ثم كان حنين بعد ذلك بسبع سنين, فقال ثُمّ وَلّيتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمّ يَتُوبُ اللّهُ مِنْ بَعْدِ ذلكَ عَلى مَنْ يَشاءُ.

12357ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا ابن عون, عن محمد, أن عمر رضي الله عنه بلغه قتل أبي عبيد, فقال: لو تحيز إليّ لكنت له فئة.

12358ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن جرير بن حازم, قال: ثني قيس بن سعيد, قال: سألت عطاء بن أبي رباح, عن قوله: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ قال: هذه منسوخة بالآية التي في الأنفال: الآنَ خَفّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنّ فِيكُمْ ضَعْفا فإنْ يَكُنْ مِنْكُم مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ قال: وليس لقوم أن يفروا من مثليهم. قال: ونسخت تلك إلاّ هذه العدّة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن سليمان التيمي, عن أبي عثمان, قال: لما قتل أبو عبيد جاء الخبر إلى عمر, فقال: يا أيها الناس أنا فئتكم.

قال ابن المبارك, عن معمر وسفيان الثوري وابن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قال عمر رضي الله عنه: أنا فئة كلّ مسلم.

وقال آخرون: بل هذه الآية حكمها عام في كلّ من ولى الدبر عن العدوّ منهزما. ذكر من قال ذلك.

12359ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قال: أكبر الكبائر: الشرك بالله, والفرار من الزحف لأن الله عزّ وجل يقول: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ... فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَمأْوَاهُ جَهَنّمُ وَبِئْسَ المَصِير.

وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب: عندي قول من قال: حكمها محكم, وأنها نزلت في أهل بدر, وحكمها ثابت في جميع المؤمنين, وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدوّ أن يولوهم الدبر منهزمين, إلاّ لتحرّف القتال, أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام, وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما, فقد استوجب من الله وعيده إلاّ أن يتفضل عليه بعفوه.

وإنما قلنا هي محكمة غير منسوخة, لما قد بيّنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ وله في غير النسخ وجه إلاّ بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر أو حجة عقل, ولا حجة من هذين المعنيين تدلّ على نسخ حكم قول الله عزّ وجلّ: وَمَنْ يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرفا لِقِتالٍ أوْ مُتَحَيّزا إلى فِئَةٍ.

وأما قوله: فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ يقول: فقد رجع بغضب من الله, ومَأْوَاهُ جَهَنّمُ يقول: ومصيره الذي يصير إليه في معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير, يقول: وبئس الموضع الذي يصير إليه ذلك المصير.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنّ اللّهَ رَمَىَ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً إِنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم, ولكن الله قتلهم. وأضاف جلّ ثناؤه قتلهم إلى نفسه, ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين, إذ كان جلّ ثناؤه هو مسبب قتلهم, وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم, ففي ذلك أدلّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صنع به وصلوا إلها. وكذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنّ اللّهَ رَمى فأضاف الرمي إلى نبيّ الله, ثم نفاه عنه, وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي, إذ كان جلّ ثناؤه هو الموصل المرميّ به إلى الذين رمُوا من به المشركين, والمسبب الرمية لرسوله. فيقال للمسلمين ما ذكرنا: قد علمتم إضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه بعد وصفه نبيه به وإضافته إليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده, ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والإرسال, فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب, ومن الخلق الاكتساب بالقوى؟ فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلاّ ألزموا في الآخر مثله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12360ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم, حين قال هذا: قتلت, وهذا: قتلت. وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ قال لمحمد حين حَصَب الكفار.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

12361ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنّ اللّهَ رَمى قال: رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر.

12362ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أيوب, عن عكرمة, قال: ما وقع منها شيء إلاّ في عين رجل.

12363ـ حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, قال: لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال: «هَـذِهِ مَصَارِعُهُمْ». ووجد المشركون النبيّ صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل إليه, فلما طلعوا عليه زعموا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: هَـذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جاءَتْ بِخُيَلائها وَفَخْرِها تَحادّكَ وَتُكَذّبُ رَسُولَكَ, اللّهُمّ إنّى أسألُكَ ما وَعَدْتَنِي» فلما أقبلوا استقبلهم, فحثا في وجوههم, فهزمهم الله عزّ وجلّ.

12364ـ حدثنا أحمد بن منصور, قال: حدثنا يعقوب بن محمد, قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران, قال: حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة, عن يزيد بن عبد الله, عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة, عن حكيم بن حزام, قال: لما كان يوم بدر, سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست, ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية, فانهزمنا.

12365ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي, قالا: لما دنا القوم بعضهم من بعض, أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم, وقال: «شاهَتِ الُوجُوهُ» فدخلت في أعينهم كلهم, وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم, وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنزل الله: وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنّ اللّهَ رَمى... الآية, إلى: إنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

12366ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ... الآية, ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها في وجوه الكفار, فهزموا عند الحجر الثالث.

12367ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعليّ رضي الله عنه: «أعْطِني حَصا مِنَ الأرْضِ» فناوله حصى عليه تراب فرمى به وجوه القوم, فلم يبق مشرك إلاّ دخَل في عينيه من ذلك التراب شيء. ثم ردِفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم. فذكر رمية النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ولكِنّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنّ اللّهَ رَمى.

12368ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنّ اللّهَ رَمى قال: هذا يوم بدر, أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات, فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال: «شاهَتِ الوُجُوهُ» فانهزموا, فذلك قول الله عزّ وجلّ: وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنّ اللّهَ رَمى.

12369ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر, فقال: «يا رَبّ إنْ تَهْلِكْ هذِهِ العِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَد فِي الأرْضِ أبَدا» فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب, فرمى بها في وجوههم فما من المشركين من أحد إلاّ أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة, فولوا مدبرين.

12370ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: قال الله عزّ وجلّ في رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رماهم: وَلكنّ اللّهَ رَمى: أي لم يكن ذلك برميتك لولا الذي جعل الله فيها من نصرك, وما ألقى في صدور عدوّك منها حين هزمتهم.

ورُوي عن الزهري في ذلك قول خلاف هذه الأقوال, وهو ما:

12371ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ: وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ قال: جاء أبيّ بن خلف الجمحي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بعظم حائل, فقال: الله محيي هذا يا محمد وهو رميم؟ وهو يفتّ العظم. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يُحْيِيهِ اللَّهُ, ثُمّ يُمِيتُكَ, ثُمّ يُدْخِلُكَ النّارَ» قال: فلما كان يوم أحد, قال: والله لأقتلنّ محمدا إذا رأيته فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «بَلْ أنا أقْتُلُهُ إنْ شَاءَ اللّهُ».

وأما قوله: وَلِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنا فإن معناه: ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم, ويغنمهم ما معهم, ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك البلاء الحسن, رَمْيُ الله هؤلاء المشركين. ويعني بالبلاء الحسن: النعمة الحسنة الجميلة, وهي ما وصفت, وما في معناه.

12372ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال في قوله: وَلِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنا: أي ليعرف المؤمنين من نعمه عليهم في إظهارهم على عدوّهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم, ليعرفوا بذلك حقه وليشكروا بذلك نعمته.

وقوله: إنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يعني: إن الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم ومناشدته ربه ومسئلته إياه إهلاك عدوّه وعدوّكم ولقيلكم وقيل جميع خلقه, عليم بذلك كله وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده, وغير ذلك من الأشياء محيط به, فاتقوه وأطيعوا أمره وأمر رسوله.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكُمْ وَأَنّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ }..

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ذَلِكُمْ: هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا, وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وإمكانهم من قتلهم وأسرهم, فعلنا الذي فعلنا. وأنّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدَ الكافِرِينَ يقول: واعلموا أن الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين, يعني مكرهم, حتى يذلوا, وينقادوا للحقّ ويهلكوا. وفي فتح «أن» من الوجوه ما في قوله: ذَلِكُمْ فَذُوقوهُ وأنّ للْكافِرِينَ وقد بيّنته هنالك.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: مُوهِنُ.فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين: «مُوَهّنٌ» بالتشديد, من وهّنت الشيء: ضعّفته. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: مُوهِنُ من أوهنته فأنا موهنه, بمعنى أضعفته. والتشديد في ذلك أعجب إليّ لأن الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه, عقدا بعد عقد, وشيئا بعد شيء, وإن كان الآخر وجها صحيحا.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ يعني: إن تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم وأظلم الفئتين, وتستنصروه عليه, فقد

جاءكم حكم الله ونصره المظلوم على الظالم, والمحقّ على المبطل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12373ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ قال: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء.
12374ـ قال: حدثنا سويد بن عمرو الكلبي, عن حماد بن زيد, عن أيوب, عن عكرمة: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ قال: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء.
12375ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ يعني بذلك المشركين, إن تستنصروا فقد جاءكم المدد.
12376ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني عبد الله بن كثير, عن ابن عباس, قوله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا قال: إن تستقضوا القضاء, وإنه كان يقول: وَإنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئا قلت: للمشركين؟ قال: لا نعلمه إلاّ ذلك.
12377ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ قال: كفار قريش في قولهم: ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه, ففتح بينهم يوم بدر.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.
12378ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ قال: استفتح أبو جهل, فقال: اللهمّ يعني محمدا ونفسه أينا كان أفجر لك اللهمّ وأقطع للرحم فأحِنْهُ اليوم قال الله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الزهري, في قوله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ قال: استفتح أبو جهل بن هشام, فقال: اللهمّ أينا كان أفجر لك وأقطع للرحم فأحنه اليوم يعني محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه. قال الله عزّ وجلّ: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ فضربه ابنا عفراء: عوف ومعوّذ, وأجهز عليه ابن مسعود.
12379ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني الليث, قال: ثني عقيل, عن ابن شهاب, قال: أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدويّ حليف بني زهرة, أن المستفتح يومئذٍ أبو جهل, وأنه قال حين التقى القوم: أينا أقطع للرحم وآتانا بما لا يُعرف فأحِنْهُ الغداة فكان ذلك استفتاحه, فأنزل الله في ذلك: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ... الآية.
12380ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ... الآية, يقول: قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر.
12381ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: كان المشركون حين خرجوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة, أخذوا بأستار الكعبة, واستنصروا الله,

وقالوا: اللهمّ انصر أعزّ الجندين, وأكرم الفئتين, وخير القبيلتين فقال الله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ يقول: نصرت ما قلتم, وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

12382ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ... إلى قوله: وأنّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ وذلك حين خرج المشركون ينظرون عيرهم, وإن أهل العير أبا سفيان وأصحابه أرسلوا إلى المشركين بمكة يستنصرونهم, فقال أبو جهل: أينا كان خيرا عندك فانصره وهو قوله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا يقول: تستنصروا.

12383ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ قال: إن تستفتحوا العذاب, فعذّبوا يوم بدر, قال: وكان استفتاحهم بمكة, قالوا: اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ قال: فجاءهم العذاب يوم بدر. وأخبر عن يوم أحد: وَإنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئا وَلَوْ كَثُرَتْ وأنّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ.

12384ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن مطرف, عن عطية, قال: قال أبو جهل يوم بدر: اللهمّ انصر أهدى الفئتين, وخير الفئتين وأفضل فنزلت: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ.

قال: حدثنا عبد الأعلى, عن معمر, عن الزهريّ, أن أبا جهل هو الذي استفتح يوم بدر وقال: اللهمّ أينا كان أفجر وأقطع لرحمه, فأحِنْهُ اليوم فأنزل الله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ.

قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن ابن إسحاق, عن الزهريّ, عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير: أن أبا جهل, قال يوم بدر: اللهمّ أقطعنا لرحمه, وآتانا بما لا نعرف, فأحِنْه الغداة وكان ذلك استفتاحا منه, فنزلت: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ... الآية.

قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن إبراهيم بن سعد, عن صالح بن كيسان, عن الزهريّ, عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير, قال: كان المستفتح يوم بدر أبا جهل, قال: اللهمّ أقطعنا للرحم, وآتانا بما لا نعرف, فأحنه الغداة فأنزل الله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن مسلم الزهري, عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير, حليف بني زهرة, قال: لما التقى الناس, ودنا بعضهم من بعض, قال أبو جهل: اللهمّ أقطعنا للرحم, وآتانا بما لا نعرف, فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه.

قال ابن إسحاق: فقال الله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ لقول أبي جهل: اللهمّ أقطعنا للرحم, وآتانا بما لا نعرف, فأحنه للغداة قال: الاستفتاح: الإنصاف في الدعاء.

12385ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, عن يزيد بن رومان وغيره, قال أبو جهل يوم بدر: اللهمّ انصر أحبّ الدينين إليك, ديننا العتيق, أم دينهم الحديث فأنزل الله: إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ... إلى قوله: وَأنّ اللّهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ.

وأما قوله: وَإنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فإنه يقول: وإن تنتهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن الكفر بالله ورسوله, وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم

والـمؤمنـين به, فهو خير لكم فـي دنـياكم وآخرتكم. وَإنْ تَعُودُوا نَعُـدْ يقـول: وإن تعودوا لـحربه وقتاله وقتال أتبـاعه الـمؤمنـين, نَعُـدْ: أي بــمثل الواقعـة التـي أوقعت بكم يوم بدر.

وقوله: وَلَنْ تُغْنِـيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَـيْئا وَلَـوْ كَثُـرَتْ يقـول: وإن تعـودوا نعـد لهلاككم بأيدي أولـيائي وهزيــمتكم, ولـن تغنــي عنكـم عنـد عـودي لقتلكـم بأيديهم وسبـيكم وهزمكم فئتكم شيئا ولو كثرت, يعنــي جنـدهم وجمـاعتهم من الـمشركين, كما لـم يغنوا عنهم يـوم بـدر مـع كـثرة عـددهم وقلـة عـدد الـمؤمنـين شيئا. وأنّ اللّهَ مَعَ الـمُؤْمِنِـينَ يقول جلّ ذكره: وأن اللـه مـع مـن آمن به من عبـاده علـى من كفر به منهم, ينصرهم علـيهم, أو يظهرهم كمــا أظهرهم يوم بدر علـى الـمشركين.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

12386ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, فـي قوله: وَإنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ قال: يقول لقريش: وإن تعودوا نعـد لــمثل الواقعـة التـي أصابتكم يوم بدر. وَلَنْ تُغْنِـيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئا وَلَوْ كَثُرَتْ وأنّ اللّهَ مَــعَ الـمُؤْمِنِـينَ: أي وإن كثر عددكم فـي أنفسكم لن يغنـي عنكم شيئا, وأن الله مع الـمؤمنـين ينصرهم علـى من خالفهم.

وقد قـيـل: إن معنى قوله: وَإنْ تَعُودُوا نَعُدْ وإن تعودوا للاستفتاح نعد لفتـح مـحمد صلى الله عليه وسلم. وهذا القول لا معنى له لأن الله تعالـى قد كان ضمن لنبـيه علـيه الصلاة والسلام حين أذن له فـي حرب أعدائه إظهار دينــه وإعلاء كلـمته من قبل أن يستفتـح أبو جهل وحزبه, فلا وجه لأن يقال والأمـر كذلك إن تنتهوا عن الاستفتاح فهو خير لكم وإن تعودوا نعد لأن الله قـد كـان وعد نبـيه صلى اللـه عليـه وسـلم الفتــح بقـوله: أُذِنَ لِلّـذِينَ يُقـاتَلُونَ بـأنّهُمْ ظُلِـمُوا وإنّ اللّهَ علـى نَصْرِهِمْ لَقَديرٌ استفتـح الـمشركون أو لـم يستفتـحوا. ذكر من قال ذلك:

12387ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السـديّ: وَإنْ تَعُـودُوا نَعُـدْ: إن تستفتــحوا الثانــية نفتــح لـمـحمد صلى الله عليه وسلم. وَلَنْ تُغْنِـيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئا وَلَوْ كَثُــرَتْ وأنّ اللّهَ مَعَ الـمُؤْمِنِـينَ: مـحمد وأصحابه.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: وأنّ اللّهَ مَعَ الـمُؤْمِنِــينَ ففتــحها عامـة قرّاء أهل الـمدينة, بـمعنى: ولن تغنـي عنكـم فئتكـم شـيئا ولـو كـثرت, وأن الله مع الـمؤمنـين. فعطف ب «أنّ» علـى موضع «ولو كـثرت» كـأنه قـال: لكثرتها, ولأن الله مع الـمؤمنـين ويكون موضع «أن» حينئذٍ نصبـا علـى هـذا القول. وكان بعض أهل العربـية يزعم أن فتـحها إذا فتـحت علــى: وأنّ اللّـهَ مُوهِنُ كَيْدَ الكافِرِينَ, وأنّ اللّهَ مَعَ الـمُؤْمِنِـينَ عطفـا بـالأخرى علـى الأولــى. وقرأ ذلك عامة قَرّاء الكوفـيـين والبصريـين: «وإنّ اللّهَ» بكسر الألف علــى الابتداء, واعتلوا بأنها فـي قراءة عبد الله: «وَإنّ اللّهَ لَـمَعَ الـمُؤْمِنِـينَ».

وأولـى القراءتـين بــالصواب, قـراءة مـن كسـر «إن» للابتـداء, لتقضـي الـخبر قبل ذلك عما يقتضي قوله: وَإنّ اللّهَ مَعَ الـمُؤْمِنِـينَ.

الآية : 20

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ أَطِيعُـواْ اللّـهَ وَرَسُـولَهُ وَلاَ تَوَلّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ }..

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه. وَلا تَوَلّوْا عَنْهُ يقول: ولا تُدْبِرُوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, مخالفين أمره ونهيه, وأنتم تسمعون أمره إياكم ونهيه, وأنتم به مؤمنون. كما:

12388ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلّوْا وأنْتُمْ تَسْمَعُونَ: أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله, وتزعمون أنكم مؤمنون.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ }..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: لا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم, قالوا قد سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون يقول: وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم. ولا ينتفعون به لإعراضهم عنه, وتركهم أن يوعوه قلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بآذانهم, بمنزلة من لم يسمعها. يقول جلّ ثناؤه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تكونوا أنتم في الإعراض عن أمر رسول الله وترك الانتهاء إليه وأنتم تسمعونه بآذَانكم كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذَانهم, ويقولون: قد سمعنا, وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون, كمن لم يسمعها.

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك, ما:

12389ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَلا تَكُونُوا كالّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ: أي كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة, ويسرّون المعصية.

12390ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ قال: عاصون.

12391ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وللذي قال ابن إسحاق وجه, ولكن قوله: وَلا تَكُونُوا كالّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ في سياق قصص المشركين, ويتلوه الخبر عنهم بذمهم, وهو قوله: إنّ شَرّ الدّوَابّ عِنْدَ اللّهِ الصّمّ البُكْمُ الّذِينَ لا يَعْقِلُونَ فلأن يكون ما بينهما خبرا عنهم أولى من أن يكون خبرا عن غيرهم.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ شَرّ الدّوَابّ عِندَ اللّهِ الصّمّ الْبُكْمُ الّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ }..

يقول تعالى ذكره: إن شرّ ما دبّ على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ويتعظوا به وينكصون عنه إن نطقوا به, الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه, فيستعملوا بهما أبدانهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12392ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ شَرّ الدّوَابّ عِنْدَ الله قال: الدوابّ: الخلق.
12393ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, عن عكرمة, قال: وكانوا يقولون: إنا صمّ بكم عما يدعونا إليه محمد, لا نسمعه منه, ولا نجيبه به بتصديق. فقتلوا جميعا بأحد, وكانوا أصحاب اللواء.
12394ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الصمّ البكم: الذين لا يعقلون, قال: الذين لا يتبعون الحقّ.
12395ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّ شَرّ الدّوَابّ عِنْدَ اللّهِ الصّمّ البُكْمُ الّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وليس بالأصمّ في الدنيا ولا بالأبكم, ولكن صمّ القلوب وبكمها وعميها. وقرأ: فإنّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التي فِي الصّدُورِ.
واختلف فيمن عني بهذه الآية, فقال بعضهم: عني بها نفر من المشركين. ذكر من قال ذلك:
12396ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قال ابن عباس: الصمّ البكم الذين لا يعقلون: نفر من بني عبد الدار, لا يتبعون الحقّ.
قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الصّمّ البُكُمُ الّذِينَ لا يَعْقِلُونَ قال: لا يتبعون الحقّ. قال: قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.
وقال آخرون: عني بها المنافقون. ذكر من قال ذلك:
12397ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إنّ شَرّ الدّوَابّ عِنْدَ اللّهِ الصّمّ البُكْمُ الّذين لا يَعْقِلُونَ: لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة.
وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن عباس, وأنه عني بهذه الآية مشركو قريش, لأنها في سياق الخبر عنهم.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلّواْ وّهُمْ مّعْرِضُونَ }..
اختلف أهل التأويل, فيمن عني بهذه الآية وفي معناها, فقال بعضهم: عني بها المشركون, وقال: معناه أنهم لو رزقهم الله الفهم لِما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به, لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون. ذكر من قال ذلك:
12398ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أسْمَعَهُمْ لقالُوا ائْتِ بقُرآنٍ غيرِ هَذَا ولقالوا: لولا اجْتَبَيْتَهَا. ولو جاءهم بقرآن غيره لتولّوْا وهُمْ مُعْرِضُونَ.

12399ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ قال: لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك, ولتولوا وهم معرضون.

وحدثني به مرّة أخرى, فقال: لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم, ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به.

وقال آخرون: بل عني بها المنافقون. قالوا: ومعناه: ما:

12400ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرا لأَسْمَعَهُمْ لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بألسنتهم, ولكن القلوب خالفت ذلك منهم, ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون, فأوفوا لكم بشرّ مما خرجوا عليه.

وأولى القول في تأويل ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة, وأن ذلك ليس من صفة المنافقين.

فتأويل الآية إذن: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره, حتى يعقلوا عن الله حججه منه, ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولوا عن الله وعن رسوله, وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على حقيقته مواعظ الله وعبره وحججه معاندون للحقّ بعد العلم به.

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }..

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ فقال بعضهم: معناه: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان. ذكر من قال ذلك:

12401ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط عن السديّ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: أما يحييكم فهو الإسلام, أحياهم بعد موتهم, بعد كفرهم.

وقال آخرون: للحقّ. ذكر من قال ذلك:

12402ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: الحقّ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: الحقّ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد, في قوله: اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: للحقّ.

وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى ما في القرآن. ذكر من قال ذلك:

12403ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: هو هذا القرآن فيه الحياة والعفة والعصمة في الدنيا والآخرة.

وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدوّ. ذكر من قال ذلك:

12404ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ: أي للحرب الذي أعزّكم الله بها بعد الذلّ, وقوّاكم بعد الضعف, ومنعكم بها من عدوّكم بعد القهر منهم لكم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: معناه: استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لِما يحييكم من الحقّ. وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدوّ والجهاد, والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن, وفي الإجابة إلى كلّ ذلك حياة المجيب. أما في الدنيا, فيقال: الذكر الجميل, وذلك له فيه حياة. وأما في الآخرة, فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها.

وأما قول من قال: معناه الإسلام, فقول لا معنى له لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول إذا دعاك إلى الإسلام والإيمان.

وبعد: ففيما:

12405ـ حدثنا أحمد بن المقدام العجلي, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا روح بن القاسم, عن العلاء بن عبد الرحمن, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ وهو يصلي, فدعاه: «أي أبيّ» فالتفت إليه أبيّ, ولم يجبه. ثم إن أبيّا خفف الصلاة, ثم انصرف إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك أي رسول الله قال: «وَعَلَيْكَ ما مَنَعَكَ إذْ دَعَوْتُكَ أنْ تُجِيبَنِي؟» قال: يا رسول الله كنت أصلي. قال: «أفَلَمْ تَجِدْ فِيما أُوحِيَ إلَيّ اسْتَجُيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟» قال: بلى يا رسول الله, لا أعود.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا خالد بن مخلد, عن محمد بن جعفر, عن العلاء, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ وهو قائم يصلي, فصرخ به, فلم يجبه, ثم جاء فقال: «يا أبيّ ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك, أليس الله يقول يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟» قال أبيّ: لا جرم يا رسول الله, لا تدعوني إلاّ أجبت, وإن كنت أصلي.

ما يبين عن أن المعنيّ بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم بإجابتهم إليه من الحقّ بعد إسلامهم, لأن أبيّا لا شكّ أنه كان مسلما في الوقت الذي قال له النبيّ صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين.

القول في تأويل قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وأنّهُ إلَيْه تُحْشَرُونَ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر. ذكر من قال ذلك:

12406ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: بين الكافر أن يؤمن, وبين المؤمن أن يكفر.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أحمد, قالا: حدثنا سفيان, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: حدثنا الثوري, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير, بنحوه.

حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة, قال: حدثنا أبو عاصم, عن سفيان, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله, عن سعيد بن جبير, مثله.

حدثني أبو السائب وابن وكيع, قالا: حدثنا أبو معاوية, عن المنهال, عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر, وبين الكافر وبين الإيمان.

12407ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله.

قال: حدثنا حفص, عن الأعمش, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المؤمن والكفر, وبين الكافر والإيمان.

12408ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, وعبد العزيز بن أبي روّاد, عن الضحاك, في قوله: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين الكافر وطاعته, وبين المؤمن ومعصيته.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي روق, عن الضحاك بن مزاحم, بنحوه.

قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: يحول بين المرء وبين أن يكفر, وبين الكافر وبين أن يؤمن.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي روّاد, عن الضحاك بن مزاحم يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين الكافر وبين طاعة الله, وبين المؤمن ومعصية الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا بن أبي روّاد, عن الضحاك, نحوه.

وحُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم, يقول: فذكر نحوه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن منهال, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت عبد العزيز بن أبي روّاد يحدّث عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المؤمن ومعصيته.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين المؤمن وبين الكفر, ويحول بين الكافر وبين الإيمان.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته, ويحول بين المؤمن وبين معصيته.

12409ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن ليث, عن مجاهد: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر, وبين الكافر وبين الإيمان.

قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي روّاد, عن الضحاك: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته, وبين المؤمن وبين معصيته.

قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل, عن يعقوب القمي, عن جعفر, عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يحول بين المؤمن والمعاصي, وبين الكافر والإيمان.

12410ـ قال: حدثنا عبيدة, عن إسماعيل, عن أبي صالح: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بينه وبين المعاصي.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يحول بين المرء وعقله, فلا يدري ما يعمل. ذكر من قال ذلك:

12411ـ حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي, قال: حدثنا عبد المجيد, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المرء وعقله.

حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ حتى يتركه لا يعقل.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: هي يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله, عن حميد, عن مجاهد: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: إذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن خصيف, عن مجاهد: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين قلب الكافر, وأن يعمل خيرا.

وقال آخرون: معناه يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلاّ بإذنه. ذكر من قال ذلك:

12412ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين الإنسان وقلبه, فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاّ بإذنه.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرّه. ذكر من قال ذلك:

12413ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة, في قوله: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: هي كقوله أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ.

وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله عزّ وجلّ أنه أملك لقلوب عباده منهم, وإنه يحول بينهم وبينها إذا شاء,

حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئا من إيمان أو كفر, أو أن يعي به شيئا, أو أن يفهم إلاّ بإذنه ومشيئته. وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما, وإذا حجز جلّ ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه, لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل, وإذا كان ذلك معناه, دخل في ذلك قول من قال: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان, وقول من قال: يحول بينه وبين عقله, وقول من قال: يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاّ بإذنه لأن الله عزّ وجلّ إذا حال بين عبد وقلبه, لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينت. غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عمّ بقوله: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه, ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئا دون شيء, والكلام محتمل كلّ هذه المعاني, فالخبر على العموم حتى يخصه ما يحب التسليم له.

وأما قوله: وأنّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ فإن معناه: واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه, أن الله الذي يقدر على قلوبكم, وهو أملك بها منكم, إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة, فيوفيكم جزاء أعمالكم, المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته, فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه, وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم, فيوجب ذلك سخطه, وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلّواْ وّهُمْ مّعْرِضُونَ }..

اختلف أهل التأويل, فيمن عني بهذه الآية وفي معناها, فقال بعضهم: عني بها المشركون, وقال: معناه أنهم لو رزقهم الله الفهم لِما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به, لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون. ذكر من قال ذلك:

12398ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أسْمَعَهُمْ لقالُوا ائْتِ بقُرآنٍ غيرِ هَذَا ولقالوا: لولا اجْتَبَيْتَهَا. ولو جاءهم بقرآن غيره لتولّوْا وهُمْ مُعْرِضُونَ.

12399ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْ أسْمَعَهُمْ لَتَوَلّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ قال: لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك, ولتولوا وهم معرضون.

وحدثني به مرّة أخرى, فقال: لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم, ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به.

وقال آخرون: بل عني بها المنافقون. قالوا: ومعناه: ما:

12400ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرا لأَسْمَعَهُمْ لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بألسنتهم, ولكن

القلوب خالفت ذلك منهم, ولو خرجوا معكم لتولوا وهـم معرضـون, فـأوفوا لكم بشرّ مـما خرجوا علـيه.
وأولـى القول فـي تأويـل ذلك بـالصواب عندي ما قاله ابن جريج وابن زيد لـما قد ذكرنا قبل من العلة, وأن ذلك لـيس من صفة الـمنافقـين.
فتأويـل الآية إذن: ولو علـم الله فـي هؤلاء القائلـين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره, حتـى يعقلوا عن الله حججه منه, ولكنه قـد علــم أنـه لا خيـر فـيهم وأنهم مـمن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلـك حتــى يعلـموا ويفهموا لتولوا عن الله وعن رسـوله, وهـم معرضـون عـن الإيــمان بـما دلهم علـى حقـيقته مواعظ اللـه وعـبره وحججـه معانـدون للــحقّ بعـد العلـم به.
القـول فــي تأويــل قــوله تعالــى: {يَأَيّهَـا الّـذِينَ آمَنُـواْ اسْـتَجِيبُواْ لِلّـهِ وَلِلرّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنّـهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }..
اختلف أهل التأويـل فــي تأويــل قـوله: إذَا دَعـاكُمْ لِــمَا يُحْيِــيكُمْ فقـال بعضهم: معناه: استـجيبوا لله وللرسول إذا دعـاكم للإيــمان. ذكـر مـن قـال ذلك:
12401ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط عن السديّ: يا أيّها ا الّـذِينَ آمَنُـوا اسْتَـجِيبُوا لِلّـهِ وللرّسُـولِ إذَا دَعاكُمْ لِـمَا يُحْيِـيكُمْ قال: أما يحيـيكم فهو الإسلام, أحياهم بعـد مـوتهم, بعـد كفرهم.
وقال آخرون: للـحقّ. ذكر من قال ذلك:
12402ـ حدثنا مـحمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: لِـمَا يُحْيِــيكُمْ قـال: الـحقّ.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبــي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: إذَا دَعاكُمْ لِـمَا يُحْيِـيكُمْ قال: الـحقّ.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن مـحمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بزّة, عن مـجاهد, فــي قـوله: اسْتَــجِيبُوا لِلّــهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِـمَا يُحْيِـيكُمْ قال: للـحقّ.
وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلـى ما فـي القرآن. ذكر من قال ذلك:
12403ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَـجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِـمَا يُحْيِــيكُمْ قـال: هـو هذا القرآن فـيه الـحياة والعفة والعصمة فـي الدنـيا والآخرة.
وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلـى الـحرب وجهاد العدوّ. ذكـر مـن قـال ذلك:
12404ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَـجِيبُوا لِلّـهِ وللرّسُـولِ إذَا دَعـاكُمْ لِــمَا يُحْيِــيكُمْ: أي للــحرب الـذي أعزّكم الله بها بعد الذلّ, وقوّاكم بعد الضعف, ومنعكم بها مـن عـدوّكم بعـد القهر منهم لكم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: معناه: استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لِما يحييكم من الحقّ. وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدوّ والجهاد, والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن, وفي الإجابة إلى كلّ ذلك حياة المجيب. أما في الدنيا, فيقال: الذكر الجميل, وذلك له فيه حياة. وأما في الآخرة, فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها.

وأما قول من قال: معناه الإسلام, فقول لا معنى له لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول إذا دعاك إلى الإسلام والإيمان.

وبعد: ففيما:

12405ـ حدثنا أحمد بن المقدام العجلي, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا روح بن القاسم, عن العلاء بن عبد الرحمن, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ وهو يصلي, فدعاه: «أي أبيّ» فالتفت إليه أبيّ, ولم يجبه. ثم إن أبيّا خفف الصلاة, ثم انصرف إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك أي رسول الله قال: «وَعَلَيْكَ ما مَنَعَكَ إذْ دَعَوْتُكَ أنْ تُجِيبَنِي؟» قال: يا رسول الله كنت أصلي. قال: «أفَلَمْ تَجِدْ فِيما أُوحِيَ إلَيّ اسْتَجُيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟» قال: بلى يا رسول الله, لا أعود.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا خالد بن مخلد, عن محمد بن جعفر, عن العلاء, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ وهو قائم يصلي, فصرخ به, فلم يجبه, ثم جاء فقال: «يا أبيّ ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك, أليس الله يقول يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وللرّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟» قال أبيّ: لا جرم يا رسول الله, لا تدعوني إلاّ أجبت, وإن كنت أصلي.

ما يبين عن أن المعنيّ بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم بإجابتهم إليه من الحقّ بعد إسلامهم, لأن أبيّا لا شكّ أنه كان مسلما في الوقت الذي قال له النبيّ صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين.

القول في تأويل قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وأنّهُ إلَيْه تُحْشَرُونَ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر. ذكر من قال ذلك:

12406ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: بين الكافر أن يؤمن, وبين المؤمن أن يكفر.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أحمد, قالا: حدثنا سفيان, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: حدثنا الثوري, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير, بنحوه.

حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة, قال: حدثنا أبو عاصم, عن سفيان, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله, عن سعيد بن جبير, مثله.
حدثني أبو السائب وابن وكيع, قالا: حدثنا أبو معاوية, عن المنهال, عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر, وبين الكافر وبين الإيمان.
12407ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله.
قال: حدثنا حفص, عن الأعمش, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المؤمن والكفر, وبين الكافر والإيمان.
12408ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, وعبد العزيز بن أبي روّاد, عن الضحاك, في قوله: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين الكافر وطاعته, وبين المؤمن ومعصيته.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي روق, عن الضحاك بن مزاحم, بنحوه.
قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: يحول بين المرء وبين أن يكفر, وبين الكافر وبين أن يؤمن.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي روّاد, عن الضحاك بن مزاحم يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين الكافر وبين طاعة الله, وبين المؤمن ومعصية الله.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا بن أبي روّاد, عن الضحاك, نحوه.
وحُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم, يقول: فذكر نحوه.
حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن منهال, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت عبد العزيز بن أبي روّاد يحدّث عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المؤمن ومعصيته.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين المؤمن وبين الكفر, ويحول بين الكافر وبين الإيمان.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته, ويحول بين المؤمن وبين معصيته.
12409ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن ليث, عن مجاهد: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر, وبين الكافر وبين الإيمان.
قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي روّاد, عن الضحاك: يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته, وبين المؤمن وبين معصيته.

قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل, عن يعقوب القمي, عن جعفر, عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ يحول بين المؤمن والمعاصي, وبين الكافر والإيمان.

12410ـ قال: حدثنا عبيدة, عن إسماعيل, عن أبي صالح: يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بينه وبين المعاصي.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يحول بين المرء وعقله, فلا يدري ما يعمل. ذكر من قال ذلك:

12411ـ حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي, قال: حدثنا عبد المجيد, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المرء وعقله.

حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ حتى يتركه لا يعقل.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: هي يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا معقل بن عبيد الله, عن حميد, عن مجاهد: يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: إذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا شريك, عن خصيف, عن مجاهد: يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين قلب الكافر, وأن يعمل خيرا.

وقال آخرون: معناه يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلاّ بإذنه. ذكر من قال ذلك:

12412ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَاعْلَمُوا أَنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين الإنسان وقلبه, فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاّ بإذنه.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرّه. ذكر من قال ذلك:

12413ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة, في قوله: يَحُولُ بينَ الـمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: هي كقوله أَقْرَبُ إَلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ.

وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله عزّ وجلّ أنه أملك لقلوب عباده منهم, وإنه يحول بينهم وبينها إذا شاء, حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئا من إيمان أو كفر, أو أن يعي به شيئا, أو أن يفهم إلاّ بإذنه ومشيئته. وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما, وإذا حجز جلّ ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه, لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل, وإذا كان ذلك معناه, دخل في ذلك قول من قال: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان, وقول من قال: يحول بينه وبين عقله, وقول من قال: يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاّ بإذنه لأن الله عزّ وجلّ إذا حال بين عبد وقلبه, لم يفهم العبد بقلبه

الذي قد حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينت. غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عمّ بقوله: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه, ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئا دون شيء, والكلام محتمل كلّ هذه المعاني, فالخبر على العموم حتى يخصه ما يحب التسليم له.

وأما قوله: وأنّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ فإن معناه: واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه, أن الله الذي يقدر على قلوبكم, وهو أملك بها منكم, إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة, فيوفيكم جزاء أعمالكم, المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته, فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه, وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم, فيوجب ذلك سخطه, وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاتّقُواْ فِتْنَةً لاّ تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصّةً وَاعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: اتقوا أيها المؤمنون فتنة, يقول: اختبارا من الله يختبركم, وبلاء يبتليكم, لا تصيبنّ هذه الفتنة التي حذرتكموها الذين ظلموا, وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله, إما أجرام أصابوها وذنوب بينهم وبين الله ركبوها, يحذّرهم جلّ ثناؤه أن يركبوا له معصية أو يأتوا مأثما يستحقون بذلك منه عقوبة. وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهم الذين عنوا بها. ذكر من قال ذلك:

12414ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن إبراهيم, قال: حدثنا الحسن بن أبي جعفر, قال: حدثنا داود بن أبي هند, عن الحسن, في قوله: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً قال: نزلت في عليّ وعثمان وطلحة والزبير, رضي الله عنهم.

12415ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً قال قتادة: قال الزبير بن العوّام: لقد نزلت وما نرى أحدا منا يقع بها, ثم خصتنا في إصابتنا خاصة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة, قال: حدثنا حماد, عن حميد, عن الحسن, أن الزبير بن العوّام, قال: نزلت هذه الآية: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً وما نظننا أهلها, ونحن عنينا بها.

قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن الصلت بن دينار, عن ابن صبهان, قال: سمعت الزبير بن العوّام يقول: قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها, فإذا نحن المعنيون بها وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً وَاعْلَمُوا أن اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ.

12416ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً قال: هذه نزلت في أهل بدر خاصة, وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي خالد, عن السديّ: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ قال: أصحاب الجمل.

12417ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً قال: أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب.

12418ـ قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً قال: هي أيضا لكم.

12419ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً قال: الفتنة: الضلالة.

12420ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن المسعودي, عن القاسم, قال: قال عبد الله: ما منكم من أحد إلاّ وهو مشتمل على فتنة, إن الله يقول: إنّمَا أمْوَالُكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَة فليستعذ بالله من مُضلات الفتن.

12421ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مبارك بن فضالة, عن الحسن, قال: قال الزبير: لقد خوّفنا بها, يعني قوله: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصّةً.

واختلف أهل العربية في تأويل ذلك, فقال بعض نحويي البصرة: اتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا قوله: لا تصيبنّ, ليس بجواب, ولكنه نهي بعد أمر, ولو كان جوابا ما دخلت النون. وقال بعض نحويى الكوفة: قوله: وَاتّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا أمرهم ثم نهاهم, ومنكم ظرف من الجزاء وإن كان نهيا. قال: ومثله قوله: يا أيّها النّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنّكُمْ سُلَيْمانُ أمرهم ثم نهاهم, وفيه تأويل الجزاء. وكأن معنى الكلام عنده: اتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم.

وأما قوله: وَاعْلَمُوا أنّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ فإنه تحذير من الله ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله: وَاتّقُوا فِتْنَةً, يقول: اعلموا أيها المؤمنون أن ربكم شديد عقابه لمن اقتتن بظلم نفسه وخالف أمره, فأثم به.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاذْكُرُوَاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مّسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ تَخَافُونَ أن يَتَخَطّفَكُمُ النّاسُ فَ آوَاكُمْ وَأَيّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مّ نَ الطّيّبَاتِ لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ }..

وهذا تذكير من الله عزّ وجلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناصحة.يقول: أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون, واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم ولا تخالفوا أمره, وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدّة, فإن الله يهوّنه عليكم بطاعتكم إياه ويعجل لكم منه ما تحبون, كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا جميعكم فأوَاكُمْ يقول: فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم. وأيّدَكُمْ بِنَصْرِهِ يقول: وقوّاكم بنصره عليهم, حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر. وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطّيّباتِ يقول: وأطعمكم غنيمتهم حلالاً طيبا. لَعَلّكُمْ تَشْكُرُونَ يقول: لكي تشكروا على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم.

واختلف أهل التأويل في الناس الذين عنوا بقوله: أنْ يَتَخَطّفَكُمُ النّاسُ فقال بعضهم: كفار قريش. ذكر من قال ذلك.

12422ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة, قوله: وَاذكُرُوا إذ أنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضعَفُونَ فِي الأرضِ تَخافُونَ أن يَتَخَطّفَكُمُ النّاسُ قال: يعني بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة.

12423ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الكلبي أو قتادة أو كليهما: وَاذكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ أنها نزلت في يوم بدر, كانوا يومئذٍ يخافون أن يتخطفهم الناس, فآواهم الله وأيدهم بنصره.

12424ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قتادة, بنحوه.

وقال آخرون: بل عُني به غيرُ قريش. ذكر من قال ذلك.

12425ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرني أبي, قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله عزّ وجلّ: تَخافُونَ أنْ يَتَخَطّفَكُمُ النّاسُ قال: فارس.

12426ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد, أنه سمع وهب بن منبه يقول, وقرأ: وَاذْكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ تَخافُونَ أنْ يَتَخَطّفَكُمُ النّاسُ والناس إذ ذاك: فارس, والروم.

12427ـ قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاذْكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ قال: كان هذا الحيّ من العرب أذلّ الناس ذلاً, وأشقاه عيشا, وأجوعه بطونا, وأعراه جلودا, وأبينه ضلالاً من عاش منهم عاش شقيّا, ومن مات منهم ردّي في الناس, يؤكلون ولا يأكلون, والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذٍ كانوا أشرّ منهم منزلاً. حتى جاء الله بالإسلام, فمكّن به في البلاد, ووسّع به في الرزق, وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس, فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم, فاشكروا الله على نعمه, فإن ربكم منعم يحبّ الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب, قول من قال: عُني بذلك مشركو قريش لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم, لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم, وأشدّهم عليهم يومئذٍ مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين.

وأما قوله: فَآوَاكُمْ فإنه يعني: آواكم المدينة, وكذلك قوله: وأيّدَكُمْ بِنَصْرِهِ بالأنصار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12428ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَآوَاكُمْ قال: إلى الأنصار بالمدينة. وأيّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم, أيدهم بنصره يوم بدر.

12429ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة: فَآوَاكُمْ وأيّدَكُمْ بِنَصْرِهِ, وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطيّباتِ يعني بالمدينة.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرّسُولَ وَتَخُونُوَاْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تَخُونُوا الله. وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة, وهو يستسرّ الكفر والغشّ لهم في الباطن, يدلّون المشركين على عورتهم, ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم.

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية, وفي السبب الذي نزلت فيه, فقال بعضهم: نزلت في منافق كتب إلى أبي سفيان يطلعه على سرّ المسلمين. ذكر من قال ذلك.

12430ـ حدثنا القاسم بن بشر بن معروف, قال: حدثنا شبابة بن سوّار, قال: حدثنا محمد بن المحرم, قال: لقيت عطاء بن أبي رباح, فحدثني, قال: ثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة, فأتى جبريل النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: إن أبـا سفيان في مكان كذا وكذا. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إنّ أبا سُفْيانَ فِي مَكانِ كَذَا وكَذَا فاخْرُجُوه إلَيْهِ وَاكْتُمُوا» قال: فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: إن محمدا يريدكم, فخذوا حذركم فأنزل الله عزّ وجلّ: لا تَخُونُوا اللّهَ والرّسُولَ وتخُونُوا أماناتِكُمْ.

وقال آخرون: بل نزلت في أبي لبابة للذي كان من أمره وأمر بني قريظة. ذكر من قال ذلك.

12431ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني أبو سفيان, عن معمر, عن الزهري, قوله: لا تَخُونُوا اللّهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ قال: نزلت في أبي لبابة, بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلى حلقه أنه الذبح. قال الزهري: فقال أبو لبابة: لا والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا, حتى خرّ مغشيّا عليه, ثم تاب الله عليه, فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك قال: والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده. ثم قال أبو لبابة: إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالي, قال: «يُجْزِيكَ الثّلُثُ أنْ تَصَدّقَ بِهِ».

12432ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, قال: سمعت عبد الله بن أبي قتادة, يقول: نزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ في أبي لبابة.

وقال آخرون: بل نزلت في شأن عثمان رضي الله عنه. ذكر من قال ذلك.

12433ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا يونس بن الحرث الطائفي, قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفيّ, عن المغيرة بن شعبة, قال: نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ والرّسُولَ... الآية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله وخيانة أمانته. وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة, وجائز أن تكون نزلت في غيره, ولا خبر عندنا بأيّ ذلك كان يجب التسليم له بصحته, فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12434ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أيهما الّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرّسُولَ قال: نهاكم أن تخونوا الله والرسول, كما صنع المنافقون.

12435ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لا تَخُونُوا اللَّهَ والرّسُولَ... الآية, قال: كانوا يسمعون من النبيّ صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين.

واختلفوا في تأويل قوله: وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ فقال بعضهم: لا تخونوا الله والرسول, فإن ذلك خيانة لأماناتكم وهلاك لها. ذكر من قال ذلك.

12436ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ فإنهم إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم.

12437ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ: أي لا تظهروا لله من الحقّ ما يرضى به منكم ثم تخالفوه في السرّ إلى غيره, فإن ذلك هلاك لأماناتكم وخيانة لأنفسكم.

فعلى هذا التأويل, قوله: وتَخُونُوا أماناتِكُمْ في موضع نصب على الظرف, كما قال الشاعر:

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُعارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ويروى: «وتأتي مثله».

وقال آخرون: معناه: لا تخونوا الله والرسول, ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. ذكر من قال ذلك.

12438ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ يقول: لا تخونوا: يعني لا تنقصوها.

فعلى هذا التأويل: لا تخونوا الله والرسول, ولا تخونوا أماناتكم.

واختلف أهل التأويل في معنى الأمانة التي ذكرها الله في قوله: وتَخُونُوا أماناتِكُمْ فقال بعضهم: هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله. ذكر من قال ذلك.

12439ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وتَخونُوا أماناتِكُمْ والأمانة: الأعمال التي أمن الله عليها العباد, يعني: الفريضة. يقول: لا تَخُونُوا: يعني لا تنقصوها.

12440ـ حدثنا عليّ بن داود, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ يقول: بترك فرائضه والرّسُولَ يقول: بترك سننه وارتكاب معصيته. قال: وقال

مرّة أخرى: لا تَـخُونُوا اللّهَ والرّسُولَ وتَـخُونُوا أماناتِكُمْ والأمانة: الأعمال. ثم ذكر نـحو حديث الـمثنى.

وقال آخرون: معنى الأمانات ههنا: الدّين. ذكر من قال ذلك.

12441ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قـوله: وَتـخُونُوا أماناتِكُمْ دينكـم. وأَنْتُـمْ تَعْلَـمُونَ قـال: قـد فعـل ذلـك الـمنافقون وهم يعلـمون أنهم كفـار, يظهـرون الإيـمان. وقـرأ: وَإِذَا قـامُوا إلـى الصّـلاةِ قـامُوا كُسالـى... الآيـة, قـال: هـؤلاء الـمنافقون أمنهـم اللـه ورسوله علـى دينه فخانوا, أظهروا الإيـمان وأسرّوا الكفر.

فتأويـل الكلام إذن: يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقـوقه علـيكم مـن فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته علـيكم, ولكن أطيعوهما فـيـما أمراكم به ونهياكم عنه, لا تنقصوهما, وتـخونوا أماناتكم, وتنقصوا أديـانكم, وواجـب أعمالكم, ولازمها لكم, وأنتـم تعلـمون أنها لازمـة علـيكم وواجبـة بـالـحجج التـي قد ثبتت لله علـيكم.

الآية : 28

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {وَاعْلَمُـوَاْ أَنّمَآ أَمْـوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }..

يقول تعالـى ذكره للـمؤمنـين: واعلـموا أيهـا الـمؤمنون أنـما أمـوالكم التـي خوّلكموها الله وأولادكم التـي وهبها الله لكم اختبـار وبلاء أعطاكموهـا لـيختبركم بها ويبتلـيكم لـينظر كيف أنتـم عاملون من أداء حـ قّ اللـه علـيكم فـيها والانتهاء إلـى أمـره ونهيـه فـيها. وأنّ اللـه عِنْـدَهُ أَجْـرٌ عَظِيـمٌ يقـول: واعلـموا أن الله عنده خير وثواب عظيـم علـى طاعتكم إيـاه فـيـما أمركـم ونهاكم فـي أموالكم وأولادكم التـي اختبركم بها فـي الدنـيا, وأطيعـوا اللـه فـيـما لكم فـيها تنالوا به الـجزيـل من ثوابه فـي معادكم.

12442ـ حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا الـمسعودي, عن القاسم, عن عبد الرحمن, عن ابن مسعود, فـي قـوله: إنّـمَا أَمْـوَالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ قال: ما منكم مـن أحـد إلاّ وهـو مشتـمل علـى فتنـة, فمـن استعاذ منكم فلـيتعذ بـالله من مُضِلاّت الفتن.

12371حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَاعْلَـمُوا أنّـمَا أَمْوَالُكُم وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ قال: فتنة الاختبـار, اختبـارهم. وقرأ: وَنَبلُوكُمْ بـالشّرّ والـخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَـيْنا تُرْجِعُونَ.

الآية : 29

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إَن تَتّقُـواْ اللّـهَ يَجْعَـل لّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفّرْ عَنكُمْ سَيّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }..

يقول تعالـى ذكره: يا أيّها الّذِينَ صدقوا الله ورسوله إنْ تَتّقُوا اللّهَ بطاعته, وأداء فرائضه واجتناب معاصيه, وترك خيانته, خيانة رسوله وخيانة أمانـاتكم يَجْعَلْ لَكُم فُرْقانا: يقول: يجعل لكم فصلاً وفرقـا بـين حقكـم وبـاطل مـن يبغيكم السوء مـن أعـدائكم الـمشركين بنصـره إيـاكم علـيهم, وإعطـائكم الظفر بهم. ويُكَفّرْ عَنْكُمْ سَيّئاتِكُمْ يقول: ويـمـحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بـينكم وبـينه. ويَغْفِرْ لَكُمْ يقـول: ويغطيها, فـيسترها علـيكم, فلا يؤاخـذكم بها. وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيـمِ يقول: والله الذي يفعل ذلك بكـم, لـه الفضـل العظيـم علـيكم وعلـى غيركم من خـلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله, وإن فعلـه

جزاء منه لعبده على طاعته إياه, لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها حتى استحقّ من ربه الجزاء الذي وعده عليها.
وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عن تأويل قوله: يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا فقال بعضهم: مخرجا, وقال بعضهم: نجاة, وقال بعضهم: فصلاً. وكلّ لك متقارب المعني وإن اختلفت العبارات عنها, وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغني عن إعادته. ذكر من قال: معناه المخرج:
12443ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن منصور: عن مجاهد: إنْ تَتّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا قال: مخرجا.
قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد: إنْ تَتّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا قال: مخرجا.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام عن عنبسة, عن جابر, عن مجاهد: فُرْقانا: مخرجا.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فُرْقانا قال: مخرجا في الدنيا والآخرة.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا هانىء بن سعيد, عن حجاج, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فُرْقانا قال: الفرقان المخرج.
12444ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فُرْقانا يقول: مخرجا.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن منصور, عن مجاهد: فُرْقانا: مخرجا.
حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء البصريّ, قال: حدثنا زائدة, عن منصور, عن مجاهد, مثله.
12445ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: فُرْقانا قال: مخرجا.
حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ قال: سمعت عبيدا يقول: سمعت الضحاك يقول: فُرْقانا: مخرجا.
حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, مثله.
12446ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد, عن زهير, عن جابر: عن عكرمة, قال: الفرقان: المخرج. ذكر من قال: معناه النجاة:
12447ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن جابر, عن عكرمة: إنْ تَتّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا قال: نجاة.
12448ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن رجل, عن عكرمة ومجاهد, في قوله: يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا قال عكرمة: المخرج, وقال مجاهد: النجاة.
12449ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا قال: نجاة.
12450ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا يقول: يجعل لكم نجاة.

12451ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا: أي نـجاة.
ذكر من قال فصلاً:
12452ـ ... يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا قال: فرقان يفـرق فــي قلـوبهم بــين الــحقّ والبــاطل, حتــى يعرفـوه ويهتـدوا بـذلك الفرقان.
12453ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا: أي فصلاً بـين الـحقّ والبــاطل, يظهـر به حقكم ويخفـي به بـاطل من خالفكم.
والفرقان فـي كلام العرب مصدر, من قولهم: فرقت بـين الشيء والشيء أفرق بـينهما فَرْقا وفُرْقانا.

الآية : 30

القول في تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِـكَ الّـذِينَ كَفَـرُواْ لِيُثْبِتُـوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }..
يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم مذكره نعمه علـيه: واذكر يا مـحمد, إذ يـمكر بك الذين كفروا من مشركي قومك كي يثبتوك.
واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قـوله: لِـيُثْبِتُوكَ فقـال بعضـهم: معنـاه: لـيقـيدوك. ذكر من قال ذلك.
12454ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالـح, قـال: ثنــي معاوية, عـن علــيّ, عـن ابـن عبــاس, قـوله: وَإِذْ يَـمْكُرُ بِـكَ الّـذِينَ كَفَـرُوا لِـيُثْبِتُوكَ يعنـي: لـيوثقوك.
12455ـ قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: لِـيُثْبِتُوكَ لـيوثقوك.
12456ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: وَإِذْ يَـمْكُرُ بك الّذِينَ كَفَرُوا لِـيُثْبِتُوكَ... الآيـة, يقـول: لــيشدّوك وثاقا, وأرادوا بذلك نبـيّ الله النبـيّ صلى الله عليه وسلم وهو يومئذٍ بـمكة.
12457ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مــحمد بـن ثـور, عـن معمر, عن قتادة ومِقْسم, قالا: قالوا: أوثقوه بـالوثاق
12458ـ حدثنا مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: لِـيُثْبِتُوكَ قال: الإثبـات: هو الـحبس والوثاق.
وقال آخرون: بل معناه الـحبس. ذكر من قال ذلك.
12459ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: سألت عطاء عن قوله: لِـيُثْبِتُوكَ قال: يَسجنوك. وقالها عبد الله بن كثـير.
12460ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قالوا: اسجنوه
وقال آخرون: بل معناه: لـيسحروك. ذكر من قال ذلك.
12461ـ حدثنـي مـحمد بن إسماعيـل البصريّ الـمعروف بــالوساوسي, قال: حدثنا عبد الـمـجيد بن أبـي روّاد, عن ابن جريج, عن عطاء, عن عبــيد بن عمير عن الـمطلب بن أبـي وداعة, أن أبـا طالب قال لرسول الله صــلى اللــه عليــه وسـلم: مـا يأتــمر بــه قومـك؟ قـال: «يُرِيـدُونَ أنْ يَسْحَرُونِــي ويَقْتُلُونِـي ويُخْرِجُونِـي» فقال: من أخبرك بهـذا؟ قـال: «ربــي» قـال: نعـم

الربّ ربك, فاستوص به خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أسْتَوْصِي بِهِ؟ بَلْ هُوَ يَسْتَوْصِي بِي خَيْرا». فنزلت: وَإِذْ يَمْكُرُ بك الّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ... الآية.

12462ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قال عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه, قال له أبو طالب: هل تدري ما ائتمروا لك؟ قال: «نَعَمْ». قال: فأخبره. قال: من أخبرك؟ قال: «رَبّي». قال: نعم الربّ ربك, استوص به خيرا قال: «أنا أسْتَوْصِي بِهِ, أوْ هُوَ يَسْتَوْصِي بي؟».

وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه, كما:

12463ـ حدثنا سعيد بن يحيى الأموي, قال: ثني أبي, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: وحدثني الكلبي, عن زاذان مولى أم هانىء, عن ابن عباس: أن نفرا من قريش من أشراف كلّ قبيلة, اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة, فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد, سمعت أنكم اجتمعتم, فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح. قالوا: أجل ادخل فدخل معهم, فقال: انظروا في شأن هذا الرجل, والله ليوشِكنّ أن يواثبكم في أموركم بأمره قال: فقال قائل: احبسوه في وثاق, ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء, زهير والنابغة, إنما هو كأحدهم قال: فصرخ عدوّ الله الشيخ النجدي, فقال: والله ما هذا لكم رأي, والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم, فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم قالوا: فانظروا في غير هذا. قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه, فإنه إذا خرج لن يضرّكم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم فقال الشيخ النجديّ: والله ما هذا لكم برأي, ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب, لتجتمعنّ عليكم, ثم ليأتينّ إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا: صدق والله, فانظروا رأيا غير هذا قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرنّ عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره. قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كلّ قبيلة غلاما وسطا شابا نهدا, ثم يعطى كلّ غلام منهم سيفا صارما, ثم يضربونه ضربة رجل واحد, فإذا قتلوه تفرّق دمه في القبائل كلها, فلا أظنّ هذا الحيّ من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها, فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجديّ: هذا والله الرأي القول ما قال الفتى, لا أرى غيره. قال: فتفرّقوا على ذلك وهم مجمعون له. قال: فأتى جبريل النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة, وأذن الله له عند ذلك بالخروج, وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده: وَإِذْ يَمْكُرُ بك الّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ويَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ خَيْرُ واللّهُ المَاكِرِينَ وأنزل في قولهم: «تَرَبّصُوا بِهِ رَيْبَ المَنُونِ» حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: أمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبّصُ بِهِ رَيْبَ

الـمَنُونِ وكان يسمى ذلك الـيوم: «يوم الزحمة» للذي اجتــمعوا علــيه مـن الرأي.
12464ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة ومقسم, فـي قوله: وَإِذْ يَـمْكُرُ بك الّذِينَ كَفَرُوا لِـيُثْبِتُوكَ قالا: تشـاوروا فـيه لـيــلة وهـم بــمكة, فقـال بعضـهم: إذا أصـبح فـأوثقوه بــالوثاق وقـال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل اخرجوه فلـما أصبحوا رأوا علــيّا رضـي الله عنه, فردّ الله مكرهم.
12465ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنـي أبـي, عن عكرمة, قال: لـما خرج النبـيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلـى الغار, أمر علـيّ بن أبــي طـالب, فنـام فــي مضـجعه, فبــات الــمشركون يحرسونه. فإذا رأوه نائما حسبوا أنه النبـيّ صلى الله عليه وسـلم, فـتركوه. فلـما أصبحوا ثاروا إلـيه وهم يحسبون أنه النبـيّ صلى الله عليه وسلم, فـإذا هم بعلـيّ, فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. قال: فركبوا الصعب والذّلول فـي طلبه.
12466ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن معمر, قال: أخبرنـي عثمان الـجزري: أن مقسما مولـى ابن عبـاس أخـبره عـن ابـن عبــاس, فـي قـوله: وَإِذْ يَـمْكُرُ بـك الّـذِينَ كَفَـرُوا لِـيُثْبِتُوكَ قـال: تشـاورت قريـش لـيــلة بــمكة, فقـال بعضـهم: إذا أصـبح فـأثبتوه بــالوثاق يريدون النبـيّ صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل اخرجوه فأطلع الله نبيه علـى ذلك, فبـات علـيّ رضـي اللـه عنـه علــى فراش النبـيّ صلى الله عليه وسلم تلـك الليــلة, وخـرج النبــيّ صـلى اللـه عليه وسلم حتـى لـحق بـالغار, وبـات الـمشركون يحرسون علـيّا, يحسـبون أنه النبـيّ صلى الله عليه وسلم. فلـما أصبحوا ثاروا إلــيه, فلــما رأوه علــيّا رضـي اللـه عنـه, ردّ اللـه مكرهـم, فقـالوا: أيـن صـاحبك؟ قـال: لا أدري. فــاقتصوا أثـره فلــما بلغـوا الــجبل ومـرّوا بــالغار, رأوا علــى بــابه نسـج العنكبوت, قالوا: لو دخـل ههنا لـم يكن نَسْجٌ علـى بـابه فمكث فـيه ثلاثا.
12467ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قـال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وَإِذْ يَـمْكُرُ بك الّذِينَ كَفَرُوا لِـيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ويَـمْكُرُونَ ويَـمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الـمَاكِرِينَ قال: اجتـمعت مشيخة قريش يتشاورون فـي النبـيّ صلى الله عليه وسلم بعـدما أسلــمت الأنصـار وفرقوا أن يتعالـى أمره إذا وجد ملـجأ لـجأ إلـيه. فجاء إبلــيس فــي صـورة رجل من أهل نـجد, فدخـل معهم فـي دار النـدوة فلــما أنكـروه قـالوا: مـن أنت؟ فوالله ما كلّ قومنا أعلـمناهم مـجلسنا هـذا قـال: أنـا رجـل مـن أهـل نــجد أسـمع مـن حـديثكم وأشـير علــيكم. فـاستــحيوا فخــلوا عنـه. فقـال بعضهم: خذوا مـحمدا إذا اصطبح علـى فراشه, فـاجعلوه فـي بـيت نـتربص به ريب الـمنون والريب: هـو الــموت, والــمنون: هـو الـدهر قـال إبلــيس: بئسما قلت, تـجعلونه فـي بـيت فـيأتـي أصحابه فــيخرجونه فــيكون بــينكم قتال قالوا: صدق الشيخ. قال: أخرجـوه مـن قريتكـم قـال إبلــيس: بئسـما قلـت, تــخرجونه مـن قريتكـم وقـد أفسـد سـفهاءكم فـيأتــي قريـة أخـرى فـيفسد سفهاءهم فـيأتـيكم بـالخيـل والرجال. قالوا: صدق الشيخ. قال أبو جهل, وكان أولاهـم بطاعـة إبلــيس: بـل نعمـد إلــى كـلّ بطـن مـن بطـون قريش, فنـخرج منهم رجلاً فنعطيهم السلاح, فـيشدّون علـى مـحمد جميعـا

فيضربونه ضربة رجل واحد, فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشا, فليس لهم إلاّ الدية. قال إبليس: صدق, وهذا الفتى هو أجودكم رأيا. فقاموا على ذلك, وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم, فنام على الفراش, وجعلوا عليه العيون. فلما كان في بعض الليل, انطلق هو وأبو بكر إلى الغار, ونام عليّ بن أبي طالب على الفراش, فذلك حين يقول الله: لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ والإثبات: هو الحبس والوثاق, وهو قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذَنْ لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاّ قَلِيلاً يقول: يهلكهم. فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لقيه عمر, فقال له: ما فعل القوم؟ وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم, وكذلك كان يصنع بالأمم, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أَحْرُوا بالقِتالِ».

12468ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ قال: كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد نحوه.

حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا هانىء بن سعيد, عن حجاج, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد نحوه إلاّ أنه قال: فعلوا ذلك بمحمد.

12469ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بك الّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ... الآية, هو النبيّ صلى الله عليه وسلم مكروا به وهو بمكة.

12470ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بك الّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ... إلى آخر الآية, قال: اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: اقتلوا هذا الرجل فقال بعضهم: لا يقتله رجل إلاّ قُتل به قالوا: خذوه فاسجنوه واجعلوا عليه حديدا قالوا: فلا يدعكم أهل بيته. قالوا: أخرجوه قالوا: إذا يستغويَ الناس عليكم. قال: وإبليس معهم في صورة رجل من أهل نجد. واجتمع رأيهم أنه إذا جاء يطوف البيت ويستسلم أن يجتمعوا عليه فَيَغمّوه ويقتلوه, فإنه لا يدري أهله من قتله, فيرضون بالعقل فنقتله ونستريح ونعقله. فلما أن جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه, فغمّوه. فأتى أبو بكر, فقيل له ذاك, فأتى فلم يجد مدخلاً فلما أن لم يجد مدخلاً, قال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبّي الله وقَدْ جَاءَكُمْ بالبَيّنَاتِ مِنْ رَبّكُمْ؟ قال: ثم فرجها الله عنه فلما أن كان الليل أتاه جبريل عليه السلام, فقال: من أصحابك؟ فقال: فلان وفلان وفلان. فقال: لا نحن أعلم بهم منك يا محمد, هو ناموس ليل قال: وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام. فأتى بهم النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقدم أحدهم إلى جبريل, فكحله, ثم أرسله, فقال: «ما صُورَتُهُ يا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته يا نبيّ الله. ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة, ثم أرسله فقال: «ما صُورَتُهُ يا جِبْرِيلُ؟» فقال: كفيته يا نبيّ الله. ثم أتي بآخر فنقر في ركبته, فقال: «ما صُورَتُه يا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته. ثُم أتي بآخر, فسقاه مذقة, فقال: «ما صُورَتُهُ يا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته يا نبيّ الله. وأتي بالخامس. فلما غدا من بيته مرّ بنبّال, فتعلق مشقص بردائه

فـالتوى, فقطع الأكحل من رجله. وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقـد عمـي وأما الذي سقـي مذقة فأصـبح وقـد استسقــى بطنـه وأمـا الـذي نقـر فـوق رأسه فأخذته النقدة والنقدة: قرحة عظيـمة أخـذته فــي رأسـه وأمـا الـذي طعن فـي ركبته, فأصبح وقد أقعد. فـذلك قـول اللـه: وَإِذْ يَـمْكُرُ بـك الّـذِينَ كَفَرُوا لِـيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُـوكَ أَوْ يُخْرِجُـوكَ ويَـمْكُرُون ويَـمْكُرُ اللّـهُ واللّـهُ خَيْـرُ الـمَاكِرِينَ.

12471ـ حدثنا ابن حميد, قال: حـدثنا سلــمة, عـن ابـن إسـحاق, قـوله: ويَـمْكُرُونَ ويَـمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الـمَاكِرِينَ: أي فمكرت لهم بكيدي الـمتـين حتـى خـلصتك منهم.

12472ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن عكرمة, قوله: وَإِذْ يَـمْكُرُ بك الّذِينَ كَفَرُوا قال: هـذه مكيـة. قـال ابن جريج: قال مـجاهد: هذه مكية.

فتأويـل الكلام إذن: واذكر يا مـحمد نعمتــي عنـدك بــمكري بــمن حـاول الـمكر بك من مشركي قومك, بإثبــاتك, أو قتلـك, أو إخراجـك مـن وطنـك, حتـى استنفذتك منهم وأهلكتهم, فـامْضِ لأمري فـي حـرب مـن حاربـك مـن الـمشركين, وتولـى عن إجابة ما أرسلتك به من الـدين القيــم, ولا يرعبنـك كثرة عددهم, فإن ربك خير الـماكرين بـمن كفر به وعبد غيره وخالف أمــره ونهيه. وقد بـيّنا معنى الـمكر فـيـما مضى بـما أغنــي عـن إعـادته فــي هـذا الـموضع.

الآية : 31

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَـالُواْ قَـدْ سَـمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَآ إِلاّ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ }..

يقول تعالـى ذكره: وإذا تتلـى علـى هؤلاء الذين كفروا آيـات كتـاب اللـه الواضحة لـمن شرح الله صدره لفهمه قالوا جهلاً منهم وعنـادا للــحقّ وهـم يعلـمون أنهم كاذبون فـي قـيـلهم: لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا الذي تلــي علــينا, إنْ هَذَا إلاّ أساطيرُ الأوّلِـين: يعنـي أنهم يقولون ما هـذا القـرآن الـذي يتلــى علـيهم إلاّ أساطير الأوّلـين. والأساطير: جمع أسطر, وهو جمع الــجمع, لأن واحد الأسطر: سطر, ثم يجمع السطر: أسطر وسطور, ثم يجمع الأســطر: أساطير وأسـاطر. وقـد كـان بعـض أهـل العربــية يقـول: واحـد الأسـاطير: أسطورة.

وإنـما عَنـى الــمشركون بقـولهم: إنْ هَـذَا إلاّ أسـاطِيرُ الأَوّلِـينَ: إن هـذا القرآن الذي تتلوه علـينا يا مـحمد إلاّ ما سـطر الأوّلـون وكتبـوه مـن أخبــار الأمـم. كأنهم أضافوه إلـى أنه أخذ عن بنـي آدم, وأنه لـم يوحه الله إلـيه.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

12473ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: وَإِذَا تُتْلَـى عَلَـيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشـاءُ لَقُلْنـا مِثْـلَ هذَا قال: كان النضر بن الـحرث يختلف تاجرا إلـى فـارس, فـيــمرّ بـالعبــاد وهم يقرءون الإنـجيـل, ويركعون ويسجدون. فجاء مكة, فوجد مـحمدا صلى الله عليه وسلم قد أنزل علـيه وهو يركع ويسجد, فقال النضـر: قـد سـمعنا, لو نشاء لقلنا مثل هذا للذي سمع من العِبـاد. فنزلت: وَإِذَا تُتْلَـى عَلَـيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْل هذَا قال: فقصّ ربنا ما كانوا قـالوا بــمكة, وقصّ قولهم: إذْ قالُوا اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الـحَقّ مِنْ عِنْدِكَ... الآية.

12474ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: كان النضر بن الحرث بن علقمة أخو بني عبد الدار يختلف إلى الحيرة, فيسمع سجع أهلها وكلامهم. فلما قدم مكة, سمع كلام النبيّ صلى الله عليه وسلم والقرآن, فقال: قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا إنْ هَذَا إلاّ أساطِيرُ الأوّلِينَ: يقول: أساجيع أهل الحيرة.

12475ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير قال: قتل النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا: عقبةَ بن أبي معيط, وطعيمة بن عديّ, والنضر بن الحارث وكان المقداد أسر النضر, فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّهُ كانَ يَقُولُ فِي كِتابِ اللّهِ ما يَقُولُ». فأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقتله. فقال المقداد: أسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللّهُمّ أغْنِ المِقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ» فقال المقداد: هذا الذي أردت. وفيه نزلت هذه الآية: وَإذَا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا... الآية.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا المطعم بن عديّ, والنضر بن الحرث, وعقبة بن أبي معيط. قال: فلما أمر بقتل النضر, قال المقداد بن الأسود: أسيري يا رسول الله قال: «إنّهُ كانَ يَقُولُ فِي كِتابِ الله وفِي رَسُولِهِ ما كانَ يَقُولُ». قال: فقال ذلك مرّتين أو ثلاثا, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللّهُمّ أغْنِ المِقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ» وكان المقداد أسر النضر.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالُواْ اللّهُمّ إِن كَانَ هَـَذَا هُوَ الْحَقّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مّنَ السّمَآءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }..

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد أيضا ما حلّ بمن قال: اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إذ مكرت لهم, فأتيتهم بعذاب أليم. وكان ذلك العذاب: قتلهم بالسيف يوم بدر. وهذه الآية أيضا ذكر أنها نزلت في النضر بن الحرث. ذكر من قال ذلك.

12476ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَإذْ قالُوا اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ قال: نزلت في النضر بن الحرث.

12477ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ قال: قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة من بني عبد الدار.

قال: أخبرنا إسحاق, قال: أخبرنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ قال: هو النضر بن الحرث بن كلدة.

12478ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلحة بن عمرو, عن عطاء, قال: قال رجل من بني عبد الدار, يقال له النضر بن كلدة: اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فقال الله: وَقالُوا رَبّنا عَجّلْ لَنا قِطّنا قَبْلَ يَوْمِ الحِسابِ وقال: وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فرَادَى كمَا خَلَقْناكُمْ أوّلَ مَرّةٍ وقال: سأَلَ سائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكافِرِينَ قال عطاء: لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله.

12479ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: فقال يعني النضر بن الحرث: اللهمّ إن كان ما يقول محمد هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ قال الله: سأَلَ سائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكافِرِينَ.

12480ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ... الآية, قال: سأَلَ سائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكافِرِينَ.

12481ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذْ قالُوا اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ... الآية, قال: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهَلتها, فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها.

12482ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم ذكر غيرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم, إذ قالوا: اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ أي ما جاء به محمد, فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ كما أمطرتها على قوم لوط أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أي ببعض ما عذّبت به الأمم قبلنا.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «هو» في الكلام. فقال بعض البصريين نصب «الحق», لأن «هو» والله أعلم حوّلت زائدة في الكلام صلة توكيد كزيادة «ما», ولا تزاد إلاّ في كلّ فعل لا يستغني عن خبر, وليس هو بصفة لهذا, لأنك لو قلت: «رأيت هذا هو» لم يكن كلاما, ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة, ولكنها تكون من صفة المضمرة, نحو قوله: وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمينَ تجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيرا وَأعْظمَ أجْرا لأنك تقول: «وجدته هو وإياي» فتكون «هو» صفة. وقد تكون في هذا المعنى أيضا غير صفة, ولكنها تكون زائدة كما كان في الأوّل. وقد تجري في جميع هذا مجرى الاسم, فيرفع ما بعدها إن كان بعدها ظاهرا أو مضمرا في لغة بني تميم, يقولون في قوله: إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ وَلكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمينَ وَ تجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرا وَأعْظَم أجْرا كما تقول: كانوا آباؤهم الظالمون, جعلوا هذا المضمر نحو «هو» و «هما» و «أنت» زائدا في هذا المكان. ولم تجعل مواضع الصفة, لأنه فصل أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفة لما قبله, ولم يحتج إلى هذا في الموضع الذي لا يكون له خبر.

وكان بعض الكوفيين يقول: لم تدخل «هو» التي هي عماد في الكلام إلاّ لمعنى صحيح. وقال: كأنه قال: زيد قائم, فقلت أنت: بل عمرو هو القائم فهو لمعهود الاسم والألف, واللام لمعهود الفعل التي هي صلة في الكلام مخالفة لمعنى «هو», لأن دخولها وخروجها واحد في الكلام,

وليست كذلك هو وأما التي تدخل صلة في الكلام, فتوكيد شبيه بقولهم: «وجدته نفسه» تقول ذلك, وليست بصفة كالظريف والعاقل.

الآية : 33-34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوَاْ أَوْلِيَآءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاّ الْمُتّقُونَ وَلَكِنّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }..

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: تأويله: وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْت فِيهِمْ: أي وأنت مقيم بين أظهرهم. قال: وأنزلت هذه على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة. قال: ثم خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم, فاستغفر من بها من المسلمين, فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها: وَما كانَ اللهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرونَ. قال: ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم, فعذّب الكفار. ذكر من قال ذلك.

12483ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن ابن أبزي, قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة, فأنزل الله: وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ. قال: فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة, فأنزل الله: وَما كانَ اللّهُ مُعَذبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. قال: فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون, يعني بمكة فلما خرجوا أنزل الله عليه: وَما لَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَما كانُوا أوْلِياءَهُ قال: فأذن الله له في فتح مكة, فهو العذاب الذي وعدهم.

12484ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن أبي مالك, في قوله: وَما كانَ الله لِيُعَذّبَهُمْ وأنْت فِيهِمْ يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم. وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يعني: من بها من المسلمين. وَمَا لَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ يعني مكة, وفيها الكفار.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن حصين, عن أبي مالك, في قول الله: وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ يعني: أهل مكة. وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وفيهم المؤمنون, يستغفرون يغفر لمن فيهم من المسلمين.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الرازي وأبو داود الحفري, عن يعقوب, عن جعفر, عن ابن أبزى: وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: بقية من بقي من المسلمين منهم, فلما خرجوا, قال: وَما لَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ.

قال: حدثنا عمران بن عيينة, عن حصين, عن أبي مالك: وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ قال: أهل مكة.

12485ـ وأخبرنا أبيّ, عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك: وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: المؤمنون من أهل مكة. وَما لَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ قال: المشركون من أهل مكة.

12486ـ قال: حدثنا أبو خالد, عن جويبر, عن الضحاك: وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم.

12487ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يقول: الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة, حتى أخرجك والذين آمنوا معك.

12488ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قال: ابن عباس: لم يعذّب قرية حتى يخرج النبيّ منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر. وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يعني المؤمنين. ثم أعاد إلى المشركين, فقال: وَما لَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ.

12489ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ قال: يعني أهل مكة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كان الله ليعذّب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد, حتى أخرجك من بينهم. وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهؤلاء المشركون يقولون: يا ربّ غفرانك وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول. قالوا: وقوله: وَما لَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ في الآخرة. ذكر من قال ذلك.

12490ـ حدثنا أحمد بن منصور الرمادي, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا عكرمة, عن أبي زميل, عن ابن عباس: إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك, فيقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «قَدْ قَدْ» فيقولون: لا شريك لك إلاّ شريك هو لك تملكه وما ملك, ويقولون: غفرانك غفرانك. فأنزل الله: وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. فقال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبيّ الله والاستغفار, قال: فذهب النبيّ صلى الله عليه وسلم, وبقي الاستغفار. وَما لَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَما كانُوا أوْلِياءَهُ إنْ أوْلِياؤُهُ إلاّ المُتّقُونَ قال: فهذا عذاب الآخرة, قال: وذاك عذاب الدنيا.

12491ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ, فَأمْطِرْ عَلَيْنا... الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا, فقالوا: غفرانك اللهمّ فأنزل الله: وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ... إلى قوله: لا يَعْلَمُونَ.

12492ـ حدثني ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كانوا يقولون يعني المشركين: والله إن الله لا يعذّبنا ونحن نستغفر, ولا يعذّب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قوله ورسول لله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم, فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر له جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم, إذ قالوا اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِ نَ السّماءِ كما أمطرتها عل ى قوم لوط, وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم: وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ, أي بقولهم, وإن كانوا يستغفرون كما قال: وَهُمْ يَصُدّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرامِ من آمن الله وعبده, أي أنت ومن تبعك.

12493ـ حدثنا الحسن بن الصباح البزار, قال: حدثنا أبو بردة, عن أبي موسى, قال: إنه كان فيكم أمانان: قوله: ومَا كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ

فِـيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: أما النبـيّ صلى اللـه عليـه وسلم فقد مضى, وأما الاستغفـار فهو دائر فـيكم إلـى يوم القـيامة.

12494ـ حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا يـونس بـن أبـي إسحاق, عن عامر أبـي الـخطاب الثوريّ قال: سمعت أبـا العلاء يقول: كان لأمة مـحمد صلى اللـه عليـه وسـلم أمَنتـاه: فـذهبت إحـداهما, وبقـيت الأخرى: وَما كانَ لِـيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِـيهِمْ... الآية.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان الله لـيعذّبهم وأنت فـيهم يا مـحمد, وما كان الله معذّب الـمشركين وهم يستغفرون, أي: لو استغفروا. قالوا: ولـم يكونوا يسـتغفرون فقـال جـلّ ثنـاؤه إذ لـم يكونـوا يسـتغفرون: وَمـالَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدّونَ عَنِ الـمَسْجِدِ الـحَرَامِ. ذكر من قال ذلك.

12495ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة: وَمـا كـانَ اللّـهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وأنْـتَ فِـيهِمْ وَمـا كـانَ اللّـهُ مُعَـذّبَهُمْ وهُـمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: إن القوم لـم يكونوا يستغفرون, ولـو كـانوا يسـتغفرون مـا عذّبوا. وكان بعض أهل العلـم يقول: هما أمانان أنزلهما اللـه, فأمـا أحـدهما فمضى نبـيّ الله, وأما الآخر فأبقـاه اللـه رحمـة بـين أظهركـم, الاستغفـار والتوبة.

12496ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قال: قال الله لرسوله: وَما كـانَ اللّـهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِـيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وهُمْ يَسْـتَغْفِرُونَ يقـول: مـا كنـت أعـذبهم وهم يستغفرون, ولو استغفروا وأقرّوا بـالذنوب لكـانوا مؤمنـين, وكيـف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون, وما لهم ألا يعذّبهم الله وهم يصدّون عـن مـحمد وعن الـمسجد الـحرام

12497ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قـوله: وَمـا كـانَ اللّـهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وَأنْـتَ فِـيهِمْ وَمَـا كـانَ اللـهُ مُعَـذّبهُمْ وَهُـمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: يقول: لو استغفروا لـم أعذّبهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان الله لـيعذّبهم وهـم يسلـمون. قـالوا: واستغفـارهم كان فـي هذا الـموضع: إسلامهم. ذكر من قال ذلك.

12498ـ حدثنا سوّار بن عبد الله, قال: حـدثنا عبـد الـملك بـن الصبـاح, قال: حدثنا عمران بن حدير, عن عكرمة, فـي قوله: وَما كانَ اللّـهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وَأنْتَ فِـيهِمْ وَما كانَ اللّـهُ مُعَـذبَهُمْ وَهُـمْ يَسْـتَغْفِرُونَ. قـال: سـألوا العـذاب, فقال: لـم يكن لـيعذبهم وأنت فـيهم, ولـم يكن لـيعذّبهم وهم يدخـلون فـي الإسلام.

12499ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, قـوله: وأنْـتَ فِـيهِمْ قـال: بـين أظهرهم. وقوله: وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: يسلـمون.

حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وما كان الله لـيعذبهم وأنـت فـيهم بـين أظهرهـم وَمـا كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: وهم يسلـمون. وَمـا لَهُـمْ ألاّ يُعَـذّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدّونَ عَنِ الـمَسْجِدِ الـحَرَامِ.

حدثنـي الـحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مـحمد بن عبـيد الله, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد: وَما كانَ اللّـهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وَأنْـتَ فِـيهِمْ قـال:

بين أظهرهم. وَما كان اللّـهُ مُعَـذّبَهُمْ وهـم يَسْـتَغْفِرُونَ قـال: دخـولهم فـي الإسلام.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيهم مَن قد سبق له من الله الدخول فـي الإسلام. ذكر من قال ذلك.
12500ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَما كانَ اللّهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وَأنْتَ فِـيهِمْ يقـول: مـا كان الله سبحانه يعذّب قوما وأنبـياؤهم بـين أظهرهـم حتـى يخرجهـم. ثـم قال: وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يقول: ومنهم من قد سبق له من الله الدخول فـي الإيـمان, وهو الاستغفـار, ثم قال: وَمالَهُمْ ألاّ يُعَـذّبَهُمُ اللّـهُ فعذّبهم يوم بدر بـالسيف.
وقال آخرون: بل معناه: وما كان الله معذّبهم وهم يصلّون. ذكر مـن قـال ذلك.
12501ـ حدثنـي الـمثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صالـح, قـال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عـن ابـن عبـاس, قـوله: وَمـا كـانَ اللّـهُ مُعَـذّبَهُمْ وَهُـمْ يَسْتَغْفِرُونَ يعنـي: يصلون, يعنـي بهذا أهل مكة.
12502ـ حدثنـي موسى بن عبد الرحمن الـمسروقـيّ, قال: حدثنا حسين الـجعفـيّ, عن زائدة, عن منصور, عن مـجاهد, فـي قول الله: وَما كانَ اللّـهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِـيهِمْ وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: يصلون.
12503ـ حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قـال: سـمعت أبـا معـاذ, قـال: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فـي قوله: وَما كانَ اللّهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِـيهِمْ يعنـي: أهل مكة, يقول: لـم أكن لأعذّبكم وفـيكم مـحمد. ثـم قـال: وَمـا كـانَ اللّـهُ مُعَـذّبَهُمْ وَهُـمْ يَسْـتَغْفِرُونَ يعنـي: يؤمنون ويصلون.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مـجاهد, فـي قـوله: وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: وهم يصلون.
وقال آخرون: بل معنـى ذلـك: ومـا كـان اللـه لـيعذّب الـمشركين وهـم يستغفرون. قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله: وَمالَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ وَهُـمْ يَصُـدّونَ عَنِ الـمَسْجِدِ الـحَرَامِ. ذكر من قال ذلك.
12504ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عـن الـحسين بـن واقد, عن يزيد النـحويّ, عـن عكرمـة والـحسن البصـريّ, قـالا: قـال فـي الأنفـال: وَما كانَ اللّـهُ لِـيُعَذّبَهُمْ وأنْـتَ فِـيهِمْ وَمـا كـانَ اللّـهُ مُعَـذّبَهُمْ وَهُـمْ يَسْتَغْفِرُونَ فنسختها الآية التـي تلـيها: وَمالَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ... إلـى قـوله: فَذُوقُوا العَذَابَ بِـمَا كُنْتُـمْ تَكْفُـرُونَ فقوتلـوا بـمكة, وأصـابهم فـيها الـجوع والـحصر.
وأولـى هذه الأقوال عندي فـي ذلك بـالصواب قول من قال: تأويـله: ومـا كان اللـه لـيعذبهم وأنـت فـيهم يـا مـحمد وبـين أظهرهـم مقـيـم, حتـى أخرجك من بـين أظهرهم لأنـي لا أهلـك قريـة وفـيها نبـيها. ومـا كـان اللـه معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم, ولكنهم لا يستغفرون من ذلك, بل هم مصرّون علـيه, فهم للعذاب مستـحقون, كما يقال: ما كنـت لأحسـن إلـيك وأنت تسيء إلـيّ, يراد بذلك: لا أحسن إلـيك إذا أسأت إلـيّ ولو أسأت إلـيّ لـم أحسن إلـيك, ولكن أحسن إلـيك لأنك لا تسيء إلـيّ وكـذلك ذلـك. ثـم قـيـل: وَمـالَهُمْ ألاّ يُعَـذّبَهُمُ اللّـهُ وَهُـمْ يَصُـدّونَ عَـنِ الـمَسْجِدِ الـحَرَامِ

بـمعنى: وما شأنهم وما يـمنعهم أن يعذّبهم الله وهم لا يستغفرون اللـه مـن كفرهم فـيؤمنوا به, وهم يصدّون الـمؤمنـين بـالله ورسـوله عـن الـمسجد الـحرام.

وإنـما قلنا هذا القول أولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب, لأن القوم أعنـي مشركي مكة كانوا استعجلوا العذاب, فقالوا: اللهمّ إن كان ما جاء به مـحمد هو الـحقّ, فأمطر علـينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليـم فقـال اللـه لنبـيه: ما كنت لأعذّبهم وأنت فـيهم وما كنت لأعذّبهم لو استغفروا, وكيـف لا أعذّبهم بعد إخراجك منهم وهم يصدّون عن الـمسجد الـحرام فأعلـمه جـلّ ثناؤه أن الذين استعجلوا العذاب حائق بهم ونازل, وأعلـمهم حال نزوله بهم, وذلك بعد إخراجه إياه مـن بـين أظهرهـم. ولا وجـه لإيعـادهم العـذاب فـي الآخرة, وهم مستعجلوه فـي العاجل, ولا شكّ أنهم فـي الآخرة إلـى العذاب صائرون, بل فـي تعجيـل الله لهم ذلك يـوم بـدر الدلـيـل الواضـح علـى أن القول فـي ذلك ما قلنا. وكذلك لا وجه لقول مَن وجّـه قـوله: وَمـا كـانَ اللّـهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ إلـى أنه عنـي به الـمؤمنـين, وهو فـي سياق الـخبر عنهم وعما الله فـاعل بهـم, ولا دلـيـل علـى أن الـخبر عنهـم قـد تقصّـى, وعلـى أن ذلك به عنوا, ولا خلاف فـي تأويـله من أهله موجود. وكـذلك أيضـا لا وجه لقول من قال: ذلك منسـوخ بقـوله: وَمـا لَهُـمْ ألاّ يُعَـذّبَهُمُ اللّـهُ وَهُـمْ يَصُدّونَ عَنِ الـمَسْجِدِ الـحَرَامِ... الآية, لأن قـوله جـلّ ثنـاؤه: وَمـا كـانَ اللّـهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ خبر, والـخبر لا يجـوز أن يكـون فـيه نسـخ, وإنـما يكون النسخ للأمر والنهي.

واختلف أهل العربـية فـي وجه دخول «أن» فـي قوله: وَما لَهُمْ ألاّ يُعَذّبَهُمُ اللّهُ فقال بعض نـحويـي البصرة: هي زائـدة ههنـا, وقـد عملـت كمـا عملـت «لا» وهي زائدة, وجاء فـي الشعر:

لَوْ لَـمْ تكُنْ غَطَفـانُ لا ذُنُوبَ لَهَاإلـيّ لامَ ذَوُو أحْسابِها عُمَرَا

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربـية, وقـال: لـم تدخـل «أن» إلاّ لـمعنى صحيح, لأن معنى وَما لَهُمْ ما يـمنعهم من أن يعذّبوا, قـال: فدخـلت «أن» لهذا الـمعنى, وأخرج ب «لا», لـيعلـم أنه بـمعنى الـجحد, لأن الـمنع جحد. قال: و «لا» فـي البـيت صحيح معناها, لأن الـجحد إذا وقع علـيه جحـد صار خبرا. وقـال: ألا تـرى إلـى قولـك: مـا زيـد لـيس قائمـا, فقـد أوجبـت القـيام؟ قال: وكذلك «لا» فـي هذا البـيت.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: وَما كانُوا أوْلِـياءَهُ إنّ أوْلِـياؤُهُ إلاّ الـمُتّقُونَ وَلكِنّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَـمُونَ.

يقول تعالـى ذكره: وما لهؤلاء الـمشركين ألا يعذّبهم الله وهم يصدّون عن الـمسجد الـحرام, ولـم يكونوا أولـياء الله إنْ أوْلِـيَاؤُهُ يقول: ما أولـياء اللـه إلاّ الـمتقون, يعنـي: الـذين يتقـون اللـه بـأداء فرائضـه, واجتنـاب معاصـيه. وَلكِنّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَـمُونَ يقول: ولكن أكثر الـمشركين لا يعلـمون أن أولـياء الله الـمتقون, بل يحسبون أنهم أولـياء الله.

وبنـحو ما قلنا قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

12505ـ حدثنـي مـحمد بن الـحسين, قال: حدثنا أحمد بن الـمفضل, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ: وَما كانُوا أوْلِـياءَهُ إنْ أوْلِـياؤُهُ إلاّ الـمُتّقُونَ هـم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

12506ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: إنْ أوْلِياؤُهُ إلاّ المُتّقُونَ مَن كانوا وحيث كانوا.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
12507ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَما كانُوا أوْلِياءَهُ إنْ أوْلِياؤُهُ إلاّ المُتّقُونَ الذين يخرجون منه, ويقيمون الصلاة عنده, أي: أنت يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن آمن بك. وَلكِنّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ }..
يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه, ولم يكونوا لله أولياء, بل أولياؤه الذين يصدّونهم عن المسجد الحرام وهم لا يصلون في المسجد الحرام. وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ يعني: بيت الله العتيق, إلاّ مُكاءً وهو الصفير, يقال منه: مكا يمكو مَكْوا ومُكاءً, وقد قيل: إن المكو: أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح, ويقال منه: مكت استُ الدابة مُكاءً: إذا نفخت بالريح, ويقال: إنه لا يمكو إلاّ استُ مكشوفة, ولذلك قيل للاست المَكْوَة, سميت بذلك ومن ذلك قول عنترة:
وَحَلِيلِ غانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كشِدْقِ الأعْلَمِ
وقول الطرماح:
فَنَحا لاِولاها بِطَعْنَةِ مُحْفَظِيّ تَمْكُو جَوَانِبُها مِنَ الإنهَارِ
بمعنى: تصوّت. وأما التصدية فإنها التصفيق, يقال منه: صَدّى يُصَدّي تَصْدِية, وصفّق وصفّح بمعنى واحد.
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12508ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن موسى بن قيس, عن حجر بن عنبس: إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: التصفير, والتصدية: التصفيق.
12509ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: قوله: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً المكاء: التصفير, والتصدية: التصفيق.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً يقول: كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء, يعني: التصفير, وتصدية يقول: التصفيق.
12510ـ حدثني محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا فضيل, عن عطية: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: التصفيق والصفير.
12511ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن قرّة بن خالد, عن عطية, عن ابن عمر, قال: المكاء: التصفيق, والتصدية: الصفير. قال: وأمال ابن عمر خده إلى جانب.

12512ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا وكيع, عن قرة بن خالد, عن عطية, عن ابن عمر: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء والتصدية: الصفير والتصفيق.

حدثني الحرث, قال: حدثنا القاسم, قال سمعت محمد بن الحسين يحدّث عن قرة بن خالد, عن عطية العوفي, عن ابن عمر, قال: المكاء: الصفير, والتصدية: التصفيق.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن عطية, عن ابن عمر, في قوله: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: الصفير, والتصدية: التصفيق. وقال قرة: وحكى لنا عطية فعل ابن عمر, فصفّر وأمال خده وصفق بيديه.

12513ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني بكر بن مضر, عن جعفر بن ربيعة, قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول في قول الله: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال بكر: فجمع لي جعفر كفيه, ثم نفخ فيهما صفيرا, كما قال له أبو سلمة.

حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: المكاء: الصفير, والتصدية: التصفيق.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سلمة بن سابور, عن عطية, عن ابن عمر: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال تصفير وتصفيق.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا فضيل بن مرزوق, عن عطية, عن ابن عمر, مثله.

12514ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حبوية أبو يزيد, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون, فأنزل الله: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ فأمروا بالثياب.

12515ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد, قال: كانت قريش يعارضون النبيّ صلى الله عليه وسلم في الطواف يستهزئون به, يصفرون به ويصفقون, فنزلت: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد: إلاّ مُكاءً قال: كانوا ينفخون في أيديهم, والتصدية: التصفيق.

12516ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: إدخال أصابعهم في أفواههم, والتصدية: التصفيق, يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله, إلاّ أنه لم يقل صلاته.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: المكاء. إدخال أصابعهم في أفواههم, والتصدية: التصفيق. قال نفر من بني عبد الدار كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاته.

12517ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلحة بن عمرو, عن سعيد بن جبير: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً

قال: من بين الأصابع. قال أحمد: سقط عليّ حرف وما أراه إلاّ الخذف والنفخ والصفير منها وأراني سعيد بن جبير حيث كانوا يمكون من ناحية أبي قبيس.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان, قال: أخبرنا طلحة بن عمرو, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها, فذلك المكاء. قال: وأراني سعيد بن جبير المكان الذي كانوا يمكون فيه نحو أبي قبيس.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا محمد بن حرب, قال: حدثنا ابن لهيعة, عن جعفر بن ربيعة, عن أبي سلمة بن عبد الرحمن, في قوله: مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: النفخ, وأشار بكفه قِبَل فيه, والتصدية: التصفيق.

12518ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربيّ, عن جويبر, عن الضحاك, قال: المكاء: الصفير, والتصدية: التصفيق.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, مثله.

12519ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: كنا نحدّث أن المكاء: التصفيق بالأيدي, والتصدية: صياح كانوا يعارضون به القرآن.

12520ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: التصفير, والتصدية: التصفيق.

12521ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً والمكاء: الصفير, على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز والتصدية: التصفيق.

12522ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: صفير كان أهل الجاهلية يعلنون به. قال: وقال في المكاء أيضا: صفير في أيديهم ولعب.

وقد قيل في التصدية: إنها الصدّ عن بيت الله الحرام. وذلك قول لا وجه له لأن التصدية مصدر من قول القائل: صدّيت تصدية. وأما الصدّ فلا يقال منه: صدّيت, إنما يقال منه صَدَدْت, فإن شدّدت منها الدال على معنى تكرير الفعل, قيل: صَدّدت تصديدا, إلاّ أن يكون صاحب هذا القول وجّه التصدية إلى أنه من صدّدت, ثم قلبت إحدى داليه ياء, كما يقال: تظنيت من ظننت, وكما قال الراجز:

(تَقَصّي البازِي إذَا البازِي كَسَرْ)

يعني: تق البازي, فقلب إحدى ضاديه ياء, فيكون ذلك وجها يوجه إليه. ذكر من قال ما ذكرنا في تأويل التصدية:

12523ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلحة بن عمرو, عن سعيد بن جبير: وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً: صدّهم عن بيت الله الحرام.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان, قال: أخبرنا طلحة بن عمرو, عن سعيد بن جبير. وَتَصْدِيَةً قال: التصدية: صدّهم الناس عن البيت الحرام.

12524ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَتَصْدِيَةً قال: التصدية عن سبيل الله, وصدّهم عن الصلاة وعن دين الله.

12525ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق:وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً قال: ما كان صلاتهم التي يزعمون أنها يدرأ بها عنهم إلاّ مكاء وتصدية, وذلك ما لا يرضي الله ولا يحبّ, ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به.

وأما قوله: فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ فإنه يعني العذاب الذي وعدهم به بالسيف يوم بدر, يقول للمشركين الذين قالوا: اللّهُمّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ... الآية, حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب: ذوقوا: أي اطعموا, وليس بذوق بفم, ولكنه ذوق بالحسّ, ووجود طعم ألمه بالقلوب. يقول لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون أن الله معذّبكم به على جحودكم توحيد ربكم ورسالة نبيكم صلى الله عليه وسلم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12526ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ: أي ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل.

12527ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ قال: هؤلاء أهل بدر يوم عذّبهم الله.

12528ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكفُرُونَ يعني أهل بدر عذّبهم الله يوم بدر بالقتل والأسر.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمّ يُغْلَبُونَ وَالّذِينَ كَفَرُوَاْ إِلَىَ جَهَنّمَ يُحْشَرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم, فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوّوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به, ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله, عن الإيمان بالله ورسوله, فسينفقون أموالهم في ذلك ثم تَكُونُ نفقتهم تلك عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يقول: تصير ندامة عليهم, لأن أموالهم تذهب, ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله, وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله, لأن الله معلي كلمته, وجاعل كلمة الكفر السفلى, ثم يغلبهم المؤمنون, ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم, فيعذّبون فيها, فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك أما الحيّ فخُرِب ماله وذهب باطلاً في غير درك ولا نفع ورجع مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا وأما الهالك: فقُتل وسُلب وعجل به إلى نار الله يخلد

فيها, نعوذ بالله من غضبه وكان الذي تولى النفقة التي ذكرها الله في هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان. ذكر من قال ذلك.

12529ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفر, عن سعيد بن جبير, في قوله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ... الآية وَالّـذِينَ كَفَـرُوا إلى جَهَنّـمَ يُحْشَرُونَ قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة, فقاتل بهم النبيّ صلى الله عليه وسلم, وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك:

وَجِئْنا إلى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُأحابِيشُ مِنْهُمْ حاسِرٌ وَمُقَنّعُ

ثَلاثَةُ آلافٍ ونَحْنُ نَصِيّةٌثَلاثُ مِئِينَ إنْ كَثُرْنا فَأرْبَعُ

12530ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل, عن يعقوب القمي, عن جعفر, عن ابن أبزى: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ قال: نزلت في أبي سفيان, استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب.

12531ـ قال: أخبرنا أبي عن خطاب بن عثمان العصفري, عن الحكم بن عتيبة: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ قال: نزلت في أبي سفيان, أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب, وكانت الأوقية يومئذٍ اثنين وأربعين مثقالاً.

12532ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ... الآية, قال: لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة, أنشد الناس ودعاهم إلى القتال حتى غزا نبيّ الله من العام المقبل, وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان, وكانت أحد في شوّال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه في العام الرابع.

12533ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قال الله فيما كان المشركون ومنهم أبو سفيان يستأجرون الرجال يقاتلون محمدا بهم: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وهو محمد صلى الله عليه وسلم فَسَيُنْفِقُونَها ثُمّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يقول: ندامة يوم القيامة وويلاً ثم يُغْلَبُونَ.

12534ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ... الآية, حتى قوله: أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ قال: في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

12535ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قالا: حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ قالوا: لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فَلّهم إلى مكة, ورجع أبو سفيان بعيره, مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش

أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر, فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة, فقالوا: يا معشر قريش, إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم, فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ففعلوا. قال: ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... إلى قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنّمَ يُحْشَرُونَ.

12536ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ... إلى قوله: يُحْشَرُون يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة, فسألوهم أن يعينوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففعلوا.

12537ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب, عن عطاء بن دينار, في قول الله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ... الآية, نزلت في أبي سفيان بن حرب.

وقال بعضهم: عني بذلك المشركون من أهل بدر. ذكر من قال ذلك.

12538ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ... الآية, قال: هم أهل بدر.

والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا, وهو أن يقال: إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش أنهم ينفقون أموالهم, ليصدوا عن سبيل الله, لم يخبرنا بأيّ أولئك عنى, غير أنه عمّ بالخبر الذين كفروا, وجائز أن يكون عنى: المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد, وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر, وجائز أن يكون عنى القريقين.

وإذا كان ذلك كذلك, فالصواب في ذلك أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه الذين كفروا من قريش.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطّيّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }..

يقول تعالى ذكره: يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم, وينفقون أموالهم للصدّ عن سبيل الله إلى جهنم, ليفرّق بينهم وهم أهل الخبث كما قال وسماهم الخَبِيثَ, وبين المؤمنين بالله وبرسوله, وهم الطيبون, كما سماهم جلّ ثناؤه. فميز جلّ ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته, وأنزل أهل الكفر ناره.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12539ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لِيَمِيزَ اللّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطّيّبِ فميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.

12540ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: ثم ذكر المشركين, وما يصنع بهم يوم

القيامة, فقال: لِيَمِيزَ اللّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطّيّبِ يقول: يميز المؤمن من الكافر. فَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ.
ويعني جلّ ثناؤه بقوله: ويجعل الخَبِيثَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض. فَيَرْكُمَهُ جَمِيعا يقول: فنجعلهم ركاماً, وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا, كما قال جلّ ثناؤه في صفة السحاب: ثُمّ يُؤَلّفُ بَيْنَهُ ثُمّ يَجْعَلْهُ رُكاما: أي مجتمعا كثيفا. وكما:
12541ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَيَرْكُمَهُ جَميعا قال: فيجمعه جميعا بعضه على بعض.
وقوله: فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنّمَ يقول: فيجعل الخبيث جميعا في جهنم, فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله: لِيَمِيزَ اللّهُ الخَبِيثَ, ثم قال: أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ فجمع ولم يقل: ذلك هو الخاسر, فردّه إلى أوّل الخبر.
ويعني ب «أولئك» الذين كفروا, وتأويله: هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون. ويعني بقوله: الخَاسِرُونَ الذين غبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم وذلك أنهم شروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة, وتعجلوا بإنفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبيّ الله والمؤمنين به الخزي والذلّ.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لِلّذِينَ كَفَرُوَاْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُمْ مّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنّةُ الأوّلِينِ }..
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين كفروا من مشركي قومك: إن ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين فينيبوا إلى الإيمان, يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم. وإنْ يَعُودُوا يقول: وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر, فقد مضت سنتي في الأوّلين منهم ببدر ومن غيرهم من القرون الخالية إذ طغوا وكذّبوا رسلي ولم يقبلوا نصحهم من إحلال عاجل النقم بهم, فأحلّ بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك مثل الذين أحللت بهم.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12542ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَقَدْ مَضَتْ سُنّةُ الأوّلِينَ في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم قبل ذلك.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
حدثني المثنى, قال: حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَقَدْ مَضَتْ سَنّةُ الأوّلِينَ قال: في قريش وغيرها من الأمم قبل ذلك.
12543ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال في قوله: قُلْ للّذِينَ كَفَرُوا إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَإنْ يَعُودُوا لحربك, فَقَدْ مَضَتْ سُنّةُ الأوّلِينَ: أي من قُتل منهم يوم بدر.

12544ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وإن يعودوا لقتالك, فقد مضت سنة الأوّلين من أهل بدر.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتّىَ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لله فَإِنِ انْتَهَوْاْ فَإِنّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: وإن يعد هؤلاء لحربك, فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر, وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم, فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يُعبد إلاّ الله وحده لا شريك له, فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة, ويكُونَ الدّينُ كُلّهُ لله يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12545ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ يعني: حتى لا يكون شرك.

12546ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن يونس, عن الحسن, في قوله: وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: الفتنة: الشرك.

12547ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ: يقول: قاتلوهم حتى لا يكون شرك, و وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لِلّهِ حتى يقال: لا إله إلاّ الله, عليها قاتل النبيّ صلى الله عليه وسلم, وإليها دعا.

12548ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: ختى لا يكون شرك.

12549ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مبارك بن فضالة, عن الحسن, في قوله: وَقاتُلوهُم حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: حتى لا يكون بلاء.

12550ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لِلّهِ: أي لا يفتُر مؤمن عن دينه, ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك, ويخلع ما دونه من الأنداد.

12551ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: حتى لا يكون كفر, وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لِلّهِ لا يكون مع دينكم كفر.

12552ـ حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن أبيه, أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء, فكتب إليه عروة: سلامٌ عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو أما بعد: فإنك كتبت إليّ تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة, وسأخبرك به, ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله:

كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة, أن الله أعطاه النبوّة, فنعم النبي ونعم السيد, ونعم العشيرة فجزاه الله خيرا وعرّفنا وجهه في الجنة, وأحيانا على ملته, وأماتنا عليها, وبعثنا عليها. وإنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه, لم ينفروا منه أوّل ما دعاهم إليه, وكانوا يسمعون له حتى ذكر طواغيَتهم. وقدم ناس م ن الط ائف من قريش لهم أموال, أنكر ذلك عليه ناس, واشتدّوا عليه, وكرهوا ما قال, وأغروا به من أطاعهم, فانعطف عنه عامة الناس, فتركوه, إلاّ من حفظه الله منهم وهم قليل. فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث, ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم, فكانت فتنة شديدة الزلزال, فافتتن من افتتن, وعصم الله من شاء منهم. فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة, وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يُظلم أحد بأرضه, وكان يُثْنَى عليه مع ذلك. وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها, ومساكن لتجارتهم يجدون فيها رتاعا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا. فأمرهم بها النبيّ صلى الله عليه وسلم فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة, وخافوا عليهم الفتن, ومكث هو فلم يبرح, فمكث ذلك سنوات يشتدّون على من أسلم منهم. ثم إنه فشا الإسلام فيها, ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه, وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال. فلما استرخى عنهم ودخل في الإسلام من دخل منهم, تحدث بهذا الاسترخاء عنهم, فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة وأنهم لا يفتنون, فرجعوا إلى مكة وكادوا يأمنون بها, وجعلوا يزدادون ويكثرون. وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير, وفشا بالمدينة الإسلام, وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما رأت قريش ذلك, توامرت عل ى أن يفتنوهم, ويشدّوا عليهم, فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم, فأصابهم جهد شديد, وكانت الفتنة الآخرة, فكانت ثنتين: فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأذن لهم في الخروج إليها, وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفس ا رءؤس الذين أسلموا, فوافوه بالحجّ, فبايعوه بالعقبة, وأعطوه على: أنا منك وأنت منا, وعلى: أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا. فاشتدت عليهم قريش عند ذلك, فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة, وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج هو, وهي التي أنزل الله فيها: وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لِلّهِ.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد, عن أبيه, عن عروة بن الزبير, أنه كتب إلى الوليد: أما بعد, فإنك كتبت إليّ تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة,

وعندي بحمد الله من ذلك علم بكلّ ما كتبت تسألني عنه, وسأخبرك إن شاء الله, ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله, ثم ذكر نحوه.

12553ـ حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا قيس, عن الأعمش, عن مجاهد: وَقاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: يَسَاف ونائلة صنمان كانا يُعبدان.

وأما قوله: فإن انْتَهَوْا فإن معناه: فإن انتهوا عن الفتنة, وهي الشرك بالله, وصاروا إلى الدين الحقّ معكم. فإنّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يقول: فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام لأنه يبصركم ويبصر أعمالكم والأشياء كلها متجلية له لا تغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين.

وقد قال بعضهم: معنى ذلك: فإن انتهوا عن القتال.

والذي قلنا في ذلك أولى بالصواب, لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال, فإنه كان فرضا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن تَوَلّوْاْ فَاعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىَ وَنِعْمَ النّصِيرُ }..

يقول تعالى ذكره: وإن أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم إليه أيها المؤمنون من الإيمان بالله ورسوله وترك قتالكم على كفرهم, فأبوا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم, فقاتلوهم وأيقنوا أن الله معينكم عليهم وناصركم. نِعْمَ المَوْلَى هو لكم, يقول: نعم المعين لكم ولأوليائه, وَنِعْمَ النّصِير وهو الناصر.